

الغروب على النيل
[تصوير الدكتور احمد موسى]

المقتطف

الجزء الاول من المجلد التسعين

١٨ شوال سنة ١٣٥٥

١ يناير سنة ١٩٣٧

العلم في خدمة الانسان

الغدد والحياة

مساهمات رائعة من المباحث الحديثة

في علم المفرزات الداخلية

— ١ —

في سنة ١٤٧٤ باض ديك في مدينة بال فاستولى الهلع على قلب صاحبه فانبأ بالحكام فحوم الديك متها بالسحر فحكم عليه بالاعدام حرقاً . وفي سنة ١٩٢٣ أي بعد انقضاء اربعة قرون ونصف قرن على حادثة الديك ، اعلن العلامة كرو Crew احد اساتذة جامعة ادنبره ان دجاجة بيوضاً تحولت ديكاً يفرز نطقاً منوية . ولكن قوله هذا لم يحدث حدثاً ما ، لان الثام كان قد اميط خلال نصف القرن الاخير عن طائفة من اسرار الشق Sex في الطيور والمواشي بل وفي الانسان كذلك ، بتقديم علم المفرزات الداخلية (اندوكريولوجي : endocrinology)

وفي الولايات المتحدة الاميركية رجلٌ ناهز الثمانين الآن ، يدعى آيل John Jacob Abel عاش خلال هذا الانقلاب بل وكان احد زعمائه لانه أوّل من حضر خلاصة نقية لاحدهذه المفرزات ولد آيل في قرية على مقربة من مدينة كليفلند من والدين هاجرا الى الولايات المتحدة الاميركية من قريتمبرج بالمانيا . لم يكن بين اسلافه من ناحيه ابيه او من ناحيه امه من اشهر بالعلم ، فنشأ فتى عادياً وتقى العلوم كسائر الفتيان الاميركيين ، فلما كان مدرّكاً غادر الكلية

التي كان يتلقى العلم فيها لرأس مدرسة انشئت في لاپورت بولاية انديانا حيث درس اللغة اللاتينية وعلمي الطبيعة والكيمياء . ولكنه لم يلبث طويلاً هناك ، فانتظم بعد ثلاث سنوات في جامعة ميشيغن وتخرج منها وهو في السادسة والعشرين من العمر . وكان في خلال ذلك قد عني بتطبيق الطب على القانون الجنائي فعزم على دراسة الطب والقانون . ولكنه اتصل وهو في جامعة جونز هبكنز بالعالم الفسيولوجي نيول مارتن Newell Martin فاستهواهُ البحث في الكيمياء الفسيولوجية ثم رحل الى اوربا ف قضى سبع سنوات يتلقى العلوم من اساطينها — الطب السريري والجراحة والباثولوجية وعلم الاعصاب وعلم امراض العيون والكيمياء الحيوية — وفي سنة ١٨٨٨ أحرز رتبة دكتور في الطب M. D. من جامعة ستراسبورج

في خلال هذه السنوات ، تنبّه الى بؤادر الانقلاب في علوم الطب . فقد ذكر قول براسلس اذ قال : « ان في جسم الانسان صيدلية خفية وطيباً متوارياً عن العيون يصنع الادوية ويصفها ويستعملها بحسب ما تقتضي الحال . ولو لم يخلق الله تلك الصيدلية وهذا الطبيب لما أجبت مساعي جميع الاطباء ولعجز أي مخلوق على البسيطة عن الحياة » . كان براسلس قد أبعد بمباحثه علم الكيمياء عن السعي الى تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، وعن البحث عن اكسير الحياة ، ويؤمن ان الكيمياء هي الطريق السوي الى تطبيق حقائق الطب على حاجة الانسان فأحسن آيل صدق هذه الكلمات ، واقتنع بأن معرفة الطبيعة والكيمياء معرفة صحيحة ، ولا سيما طبيعة السوائل المختلفة في الجسم والانساج والأعضاء ، وكيمياءها ، تساعد على فهم وظائفها وان هذا الفهم يضيف أداة جديدة فعالة الى حقبة الطبيب . أي ان آيل ، رأى بعين بصيرته في أواخر العقد التاسع من القرن الماضي ، كيف يمكن ان تحوّل كيمياء الأعشاب والاملاح ، الى الكيمياء الفسيولوجية ، كيمياء الانساج والأعضاء في الجسم الحي

وكان آيل لا يزال في ثينا ، يتلقى ما يستطيع تلقيه من علوم الطب ، إذ هزّ العالم الاستاذ برون سيكار بتجاربه العجيبة . كان برون سيكار خليطاً غريباً من العالم المدقق والخيالي المثالي . ولد في جزيرة على شاطئ افريقية من أم فرنسية وأب أميركي فظم الشعر وألف المسرحيات ثم مارس الطب . وذهب الى نيويورك وهو يظن انه أخفق ، فتزوج فتاة تمّت الى دانيال وبستر الخطيب الأميركي المشهور بنسب ، وتقلد منصب أستاذ الامراض العصبية في جامعة هارفرد ثم انتقل أستاذاً للفسيولوجيا في كوليج ده فرانس ، فلما بلغ السنة الثانية والسبعين من عمره ، أحسّ بديبب الشيخوخة يدبّ فيه ، وكان له رأي بأن مفرزات الخصيتين تعيّن نشاط الجسم وتحول دون ما يصيب الانساج من الهرم ، فعزم ان يتمحّن بنفسه صحة رأيه هذا وفي ٣١ مايو سنة ١٨٨٩ قرّر امام جمعية علماء الحياة انه حقن نفسه تحت الجلد بخلاصة

مائية من المفرزات التي تفرزها خصيلتنا كلب . وقال ان هذا العلاج قد صدَّ أثر الشيخوخة عنه فاستعاد نشاطه وتورَّدت وجفاته وتحسنت ذاكرته . أما بحاث اليوم فيرجحون ان ما شعر به برون سيكار لم يكن الا وهماً لان التجارب الدقيقة التي جربت في العهد الاخير بالحيوان والانسان لم تثبت ما قال ، ولكن تجربته على كل حال ، كانت مستهلِّ بحث جديد ، صاغ له الاستاذ كلود برنار — وهو العالم الذي احتل منصب أستاذ الفسيولوجيا بعد برون سيكار — كلمة تستهوي وكانت تلك الكلمة « المفرزات الداخلية internal secretions »

— ٢ —

لما عاد آيل الى أميركا دعي الى جامعة مشيغن ليكون أستاذاً للصيدة فيها ، على ان ينفق كل وقته اما في تعليم الموضوع وإما في البحث العلمي . فلما انشئت كلية الطب بجامعة جونز هبكنز سنة ١٨٩٣ انتقل اليها أستاذاً للصيدة ورئيساً لقسم الكيمياء الفسيولوجية بدأ آيل بحته الخاص بتحليل البول فكان أول من فصل الحامض الكرباميك من جسم الانسان

واذ كان يبحث في تركيب المادة الملونة في بشرة الانسان قرأ تجربة طريفة قام بها عالمان من علماء الانكليز اوليفر وشايفر . فعلم من وصف تجربتهما ان خلاصة مائة من الكظرين (شرف) اي الغدتين الادرينايتين ، اذا حققت في عروق حيوان رفعت ضغط دمه . ثم وردت الاباء بان عالين بولونيشين اثبتا الحقيقة نفسها على حدة . فعزم في الحال ان يواصل البحث حتى يفوز بتحضير المادة التي تفعل هذا الفعل ، نقيّة من الشوائب

والكظران فصّان صغيران صفراوان قائمان فوق الكليتين ويبلغ وزن كل منهما في الانسان البالغ اربعة غرامات وكان اول من وصفهما عالم مشرّح ايطالي يدعى برطولوميو اوستاكي وذلك في سنة ١٥٦٣ وكان العلماء يعلمون بما اكتشافهما ان مقداراً كبيراً من الدم يجوزها ولكن وظيفتهما ظلمت سرّاً مغلقاً

اقبل آيل على عمله وهو يعلم انه لا بد له من كميات كبيرة من هذه الغدد للقيام بتجاربه فاختار غدد الغنم لسهولة الحصول على ما يحتاج اليه منها . فكان يتناول هذه الغدد ويصنع منها شرائح رقيقة ثم يحفظها بتبريدها لحرارة درجتها ستون بالمقياس المئوي ثم يذيب المادة الدهنية التي فيها بالايثر فيحصل على مسحوق رمادي اللون يرفع محلوله المائي ضغط الدم في الحيوان

وفي سنة ١٨٩٧ تمكن آيل بمساعدة البرت كروفورد من تحضير خلاصة نقيّة من الشوائب او تكاد تكون نقيّة في شكل مركّب سلفات المونونبزويل . وهذا المركّب هو اول مركّب حضّر

لمفرزات احدى الغدد الصم . وأعلن آيبل ذلك في ٦ مايو ١٨٩٧ لجمعية الاطباء الاميركية . الا ان المادة التي حضرها لم تكن المادة الصافية التي ترفع ضغط الدم بل كانت مركباً منها . واذ هو ماضٍ في البحث عن طريقه تمكنه من تحضير المادة الصافية زاره كيميائي ياباني يدعى جوكيشي تاكامين وذلك في خريف سنة ١٩٠٠ فطلب اليه ان يطلعه على طريقته وان يرسم المركب الذي يحضره . فأصغى تاكامين بعناية الى شرح آيبل ثم عاد الى معمله الخاص في نيوجرزي وبعد قليل تمكن من عزل المادة الصافية باحداث تعديل يسير في طريقة آيبل فتسنى له ان يحضر البلورات الاولى لهذه المادة ودعاها ادرينالين وشرع يبيعها . وقد تمكن ستولز Stolz بعد انقضاء خمس سنوات على عمل تاكامين من تحضير هذه المادة بالتركيب الصناعي في مصنع للاصباغ بالمانيا فكان عمله هذا نهاية تامة لمباحث الفسيولوجيين والصيدليين والكيميائيين الحيويين مدة خمسين سنة هل ينشط آيبل الى اثبات انه سابق لتاكامين ؟ ذلك ما اجمع اصداؤه عليه . ولكنه انى

كان في وسعه حينئذ ان يصيب ثروة وافرة ، لشدة إقبال الناس على ما كان يعرض في السوق من خلاصات الغدد المختلفة . ولكنه رفض أن يسخر المكتشفات العلمية للنفع الخاص . فقال في سنة ١٩١١ انه لقي احسن الجزاء عن عمله عند ما قبل الاسم الذي اختاره هو للعادة التي اشتهرت بالادرينالين . ذلك انه كان قد اختار لها اسم اينفرين (اللفظ من اصل يوناني يعني فوق الكلية) فاعترف بهذا الاسم اعترافاً رسمياً في قائمة المواد الطبية (فرماكوبيا) الاميركية واهم من هذا كله ان الطب اصاب في هذه المادة ، عقاراً يمكن القلب الضعيف من المضي في عمله بعد ان يبلغ حالة الاعياء . وحياة الوف من الناس تنقذ كل سنة من الموت باستعماله . ثم ان فعله في قبض جدران الاوعية الدموية يحول دون النزف في الاثف والاذن والحلق ويقف النزف الحاد ويمنع التشنج في النزلة الشعبية

لم يقف العلماء في بحث الادرينالين عندهذا الحد فاكشف كنن (W. B. C. Cannon) سنة ١٩١٠ ان الكظرين يزيدان ما تفرزانه من هذه المادة عند ما يتعرض الجسم لانفعال عنيف . فهي مادة البطل والحيان . تؤثر في الاول فيقدم وفي الثاني فيحجم ويفر من التزال . وبهذا فسرت العادة القديمة في بعض الشعوب البدائية وهي عادة الجنود ان يأكلوا الكلى قبل القتال . ولكي يتأكد كنن من هذا الرأي امتحنه امتحاناً بديماً في هرّة . اخذ من عروق الهرّة وهي ساكنة مطمئنة قليلاً من الدم وحقنه في قطعة من عضلة المعدة في ارنب فلم يلاحظ اي تأثير له في قبض العضلة . ثم اتى بكلب شديد النباح وواجه الهرّة به فأخافها وأغضبها ، فاخذ كنن من عروقها وهي منفعلة هذا الانفعال العنيف قليلاً من دمها واعاد تجربته بعضلة الارنب ، فوجد العضلة تنقبض انقباضاً ظاهراً . فثبت ان الادرينالين زاد افرازه في

الدم في حالة الانفعال عند ما دخل الكلب الناجح الحجره . ولكنه لم يكتف بهذا . بل احب ان يرى بعينه فعل الادرينالين في عضل الهره نفسها . فقدم لها غذاء فيه املاح البرموت ، حتى يتمكن من رؤية حركة العضلة بالاشعة السينية . فلما دخل الكلب وهاجت الهره رأى انقباض العضلات بعينه ثم حصل على النتيجة نفسها بحقن هرة بمحلول يحتوي على جزء من الادرينالين في ٢٠٠ مليون جزء من الماء

والمعروف الآن ان جزءا من مليون جزء من الغرام من الادرينالين يرفع ضغط الانسان البالغ عشرة مليمترات

— ٣ —

واذ كان آيل مكبا على البحث في الادرينالين ، اعلان اكتشاف مفرز داخلي آخر . وقد كان هذا الاكتشاف نتيجة البحث عن الاسلوب الذي تعتمد عليه الغدة الحلوة (البكرياس) في افراز عصارتها الهضمية . كان بافلوف الفسيولوجي الروسي المشهور احد العلماء الذين تصدوا لهذا البحث ، فاعتقد ان هناك اسلوبا عصبيا بالغاً من التعقيد درجة تدق معرفتها عن عقل الانسان . ولكن عالما يدعى بايليس Bayliss كان في المعمل الفسيولوجي التابع لجامعة لندن وكان له مساعد يدعى ستارلنغ Starling فشرعا في دراسة هذا الموضوع . وكان عملهما الاول ان يقطعا جميع الاعصاب الواصلة الى الغدة الحلوة ومراقبة افرازها ، فدهشا عند ماتين لها انها ماضية في الافراز بعد قطع الاعصاب . واذن فالاسلوب ليس عصبيا . قال ستارلنغ لبايليس : انه كيميائي ولكن من يأخذ بالرأي اذا لم يستند الى تجربة ؟ فاعدا معدّات التجربة وشرعا فيها في ١٦ يناير من سنة ١٩٠٢

فثبت لها من الامتحان ان الخلايا التي تغطي جدار القسم الاول من المعى الصغير تفرز مادة كيميائية تدخل الدم من دون قناة معينة تسير فيها وتتصل بالحلوة فتحملها على افراز عصارتها الخاصة بالهضم

فأطلق ستارلنغ على هذه المادة اسما انكليزيا مركبا من كلمتين معناها « رسول كيميائي » chemical messenger وصاغ هاردي W. B. Hardy لها اسم Hormone من أصل يوناني معناه « أحرّك » أو « أثير » . وقد استعمل هذا اللفظ على وجوه شتى في اللغة العربية . فعرّبته بعضهم فقيل « هرمون » و « هرمونات » وترجم بعضهم لفظي ستارلنغ واكتفى أحيانا باستعمال لفظ « رسول » و « رسل » . واقترح الدكتور محمد شرف بك تخصيص لفظ « تور » — والجمع « أتوار » ، ومعناه الرسول بين القوم . ولعل لفظ تور والجمع أتوار خير ما يستعمل لكلمة

هرمون لان فيه معنى الرسول وعدم استعماله لهذا المعنى المؤلف يمكننا من تخصيصه للمعنى العلمي والتور يطلق الآن على كل مادة كيميائية تفرز في ناحية من نواحي الجسم وتتصل بالدم مباشرة من دون قناة وتسير فيه الى مختلف اطراف الجسم فتؤثر في الجسم تأثيراً عاماً . فاذا تكلمنا الآن عن الجهاز العصبي في الجسم وجب كذلك ان نتكلم عن الجهاز الكيميائي او التورزي لانه من أساليب الطبيعة في محاولتها ربط أعضاء الجسم وتنسيق افعالها بعد ذلك حضرت خلاصة قوية من هذا التور دعيت « سكريتين » (من secreta اي يفرز) فاستعملها بايلس وغيره في تجربة تجارب أخرى ، فصب عليه معارضو تشریح الحيوانات للبحث الطبي جام غضبهم وسخريتهم حتى اضطر ان يرفع على سيدة قضية قذف رجها ووهب المال الذي حُكِمَ له به تعويضاً لاحدى الجمعيات الخيرية وما يذكر ان هذا التور لم يحضر نقياً بعد كما حضر الادرينالين ، مع ان بعضهم زعم في سنة ١٩٣٣ انه فاز بذلك

— ٤ —

وانقضت على اكتشاف السكريتين اثنتا عشرة سنة قبلما اكتشف تور آخر . ففي يوم عيد الميلاد من سنة ١٩١٤ أعلن العالم كندل E. C. Kendall اكتشافه للتور المعروف باسم ثيروكسين وهو تور الغدة الدرقية كان البحث عن هذا التور طريقاً وعراً مرصوفاً بحطام النظريات المهتمة . ومع ان ما يوجد منه في الجسم في وقت ما لا يزيد على قدر يسير جداً ، الا أنه كاف ليميز الذكي عن الابله . والحلي النشيط عن الضعيف المتهدل السائر الى القبر . بدأ كندل بحثه في معمل الباثولوجيا في مستشفى سانت لوقا بمدينة نيويورك سنة ١٩١٠ فبز وهو شاب علماء العالمين القديم والجديد ، ولكنه سار الى غرضه على اكتاف عشرات من الباحثين بل مثاهم وصف احد الاطباء الانكليز قبل مائة وخمسين سنة ثلاثة اعراض مرضية — جحوظ العينين وخفقان القلب وتضخم العنق — تفترن في الظاهر بتضخم الغدة الدرقية القائمة على جانبي الحنجرة والقصبه . ويبلغ متوسط وزن الغدة الدرقية في الانسان البالغ اوقية (ounce) ورويتها مستطاعة بمرآة . وكان يعرف المرض الذي يحدث هذه الاعراض باسم « مرض بيزدو » في المانيا وباسم « مرض غريف » في انكلترا . وحوالي سنة ١٨٥٠ درس طبيب انكليزي آخر طائفة من المصابين بالكريتينسم ومن اعراضه البلادة العقلية فوجد هذه الحالة مقترنة بمرض غدهم الدرقية او حوؤها التام . والمصابون بهذا المرض كانوا معروفين في القرون السابقة

فعرف ان في بلدة بوزيل Bozil وسكانها لا يزيدون على ١٤١٢ نفساً ١٩٠٠ مصاباً به . بطونهم متفتحة متهذلة وعيونهم باردة جامدة ، وليس في اي عمل يعملونه دلالة لنشاط او بارقة رجاء . خاب الطب في معالجتهم وماتوا على الغالب قبل بلوغ العاشرة من العمر . وفي سنة ١٨٥٨ بدأ الباحثون يجربون هذه التجارب في الحيوانات ليعلموا حقيقة الصلة بين الداء وحالة الغدة الدرقية فوجدوا انه اذا سُلِّت الغدة من حيوان مات ، ثبت ان هذه الغدة لاندحة عنها للحياة

ولكن العالم حذر . والحكم بان ازالة الغدة الدرقية سبب الموت لا يمكن ان يصبح مبرماً حتى تعاد التجربة ، ويتأكد الجرب ، انه لم يسلم من جسم الحيوان اي عضو حيوي غير الغدة الدرقية ، فأعيدت التجارب بالقرود . وعني المجربون بان لا يسلموا منها الا الغدة الدرقية ، فوجدوا ان القرود لم تمت ، ولكنها اصبحت باعراض كاعراض المصابين بضعف هذه الغدة — وهي اعراض الخرج (شرف) اي «مكسيديما» وهو ينتج عن ضعف هذه الغدة او نقص افرازها ومن اعراضه علاوة على البِلادة العقلية كثافة البشرة وجفافها وانخفاض حرارة الجسم وضعف الفعل الجنسي . ثم جرب طبيب سويسري تجربة من هذا القبيل برجل فوصل الى النتيجة نفسها ولكن الطبيب السويسري عوض الذي سلّت غدته الدرقية ، باعطائه قطعاً من درقيات الغنم وخلاصات منها ، فتحسنت حالته قليلاً ثم توفي ويرجح ان الباعث على وفاته اختلاط الخلاصة التي اعطيتها بشوائب

فكانت هذه النتائج ، باعثاً على موالاة البحث والتجربة ، فصنع احد اطباء انكلترا خلاصة من الغدة الدرقية محلوله في الغليسرين وحقن بها امرأة مصابة « بالخرج » فنجت من الموت وعاشت حتى بلغت الرابعة والسبعين من العمر وعند ما توفيت سنة ١٩١٩ كانت قد استنفدت خلاصة الغدد الدرقية في ٨٧٠ خروفاً

ومع ذلك لم يكن احد يدري كيف نجت هذه السيدة من الموت

فكانت الخطوة التالية ان بومان Baumann تمكن من استخلاص مركب يودي Iodine من خلاصة الدرقية فأثبت بذلك ان اليود عنصر اساسي في مادة الدرقية الفعالة . فاعاد اكتشافه هذا الى الذهن استعمال الحشائش البحرية في معالجة الجحوظ (الفوار) من قرون متعددة . كان الناس في تلك الايام ، على شواطىء اميركا الجنوبية ، يجمعون حشائش البحار ويحفظونها ويستعملونها في علاج الفوار . ثم ان سكان كولومبيا بجنوب اميركا كانوا يستعملون مياه بعض الينابيع في هذا العلاج ايضاً . وقد ثبت الآن ان في الحشائش المذكورة وفي مياه تلك الينابيع يوداً الا ان المركب الذي حضره بومان كان غير متقن الصنع . فتعس على الباحثين ان يسعوا الى تحضير المادة الفعالة في الغدة الدرقية نقية صافية . ومضت السنوات والصالاة لا تزال ضالة . وكان

العلماء يعرفون ان هذا القدر الذي تفرزه الدرقية يزيد افعال الجسم الحيوية . فاستعملت هذه الحقيقة لقياس قوة الخلاصات التي تستخرج من الغدة . ولكن القياس لم يكن دقيقاً . واذن فالحاجة تقتضي قياساً اداق . وفي سنة ١٩١٢ اكتشف غودرناتش Gudernatsch ان الشراغيف (معلوف) وهي صفار الصفادع اذا غذيت بمقادير يسيرة من خلاصة الدرقية تحولت الى صفادع تامة النمو تحولاً سريعاً بل بلغ من سرعة هذا التحول انها اصبحت صفادع تامة النمو وهي لا تزال في حجم الذبان . ولما كان اول تحول في هذه الصفادع قصر ذيلها ، ولما كانت هذه الناحية من التحول تتبع مقدار الخلاصة التي تغذي بها ، اتخذ العلماء من سرعة قصر الذيل في الشراغيف مقياساً لقوة خلاصات الدرقية وصفاتها

على اكتاف هؤلاء العلماء وعشرات غيرهم سار كندل الى هدفه توّاً ، فاستخلص الثيروكسين نقيّاً صافياً . استعمل في تجاربه ثلاثة اطنان من غدد درقية غضة استلّت من المواشي الذبيحة فاستخلص منها ٣٥ غراماً من المركب الصافي . نعم اخطأ كندل اولاً في تقرير تركيب هذه المادة من الوجهة الكيميائية ، ولكن هر نغتن وبارجر توصلا في سنة ١٩٢٧ الى صنع بلوراتها بالتركيب الصناعي . وقد امتحن الثيروكسين الصناعي ، بكل اسلوب من اساليب الامتحان والتجربة بحقنه في المصايين بالخزج ومراقبة تأثيره ، فثبت انه لا يختلف عن الثيروكسين التي المستخلص من غدد الغنم والانسان

وكذلك افضى اكتشاف وظيفة الغدة الدرقية واستفراد مادتها الفعالة وتركيب تلك المادة بالتأليف الصناعي ، الى نصر جديد في كفاح الانسان ضدّ المرض فتغلّب على الكرتينيسم والمكسيديما والغواتر وغيرها من الحالات المرضية التي ترتدّ الى خلل في الغدة الدرقية . فبلد العقل (cretin) يصبح بالثيروكسين نشيطاً ، والمصاب بالخزج يتحوّل به من تهديّل وتراخ وجفاف في البشرة شخصاً جديداً تنقد فيه شعلة الحياة ، والمصاب بنشاط الغدة الدرقية التي تفرز في دمه من مادتها اكثر مما يجب فتزيد سرعة افعاله الحيوية زيادة غير سوية ، يعود الى السواء بازالة الغدة كلها او بعضها . والمصاب بالغواتر البسيط فتنتفخ عنقه ويحفظ عيناه بعض الجحوظ ، تخف فيه هذه الاعراض باضافة املاح فيها يودّ الى طعامه . ولقد استعملت خلاصة الدرقية في علاج الذبحة القوادية Angina Pectoris وضعف القلب الناشئ عن الاحتقان فأفادت . بل ان الطيبين بلومغار Blumgart وبرلين Berlin من اطباء بوسطن عالجوا بعض هؤلاء المصايين بازالة الغدة الدرقية تماماً واعطاء من ازيلت غدته هكذا خلاصتها بمحقن ولكن بمقدار ، وفقاً لما يحتاج اليه منها

عودة المحارب

أنشودة إفريقية
« إلى الذين قهروا الحياة
بتقديس الموت . . . »

إمرحي يا وحوشُ في الغابِ حولي واهتفي للدمِ المكَلَّلِ نصلي
وارقصي يا نجومُ فوقِ شعاعاً واتبعي يا جبالُ في الأرضِ ظِلِّي
واصدحي يا جنادلَ النهرِ تحتي بأناشيدِ مائكِ المنهَلِ
واحلي يا رياحُ صوتي إلى الوادي وضجتي بكلِ حَزَنٍ وسهل
وارفعي يا رُبى إليَّ وأدني زهراتٍ من عَشْبِكِ الخَصَلِ
صَمِّخِي من عيبرها ونداها قَدَمًا لم تَطَأْكِ يوماً بذل
هزأتِ بالجراحِ من مِخْلَبِ الليثِ وأنيابِ كلِ أفعى وصل
وانسمي بالغرامِ يا نسمةَ الليلِ وكوني إلى الأبدِ رَسلي
إِنَّ في حومةِ القبيلةِ ناراً ضوأتْ لي على مضاربِ أهلي
رَقِصْتُ حولها العذارى وغنَّتْ بأغاني شبابهَا المستهلِ
صوتُ إفريقيبا ووحى صباها ونداءُ القرونِ بعدي وقبلي
باسمها الخالدِ امتشقتْ سنائي يَسْدُ تَخْفِضُ الحظوظِ وتُعْلي
وشربتُ الحميمَ من كلِّ شمسٍ نارها تَنْضِجُ الصخورَ وتُبْلي
وقهرتُ الحياةَ حتى كَأَنِّي قَدَرْتُ تَكْتَبُ الخوفَ ويُسْلي
يا عذارى القبيلِ اتنَّ للمجدِّ على عِفَّةٍ صواحبُ بذلِ
حسبِ روحي الظامي وحسبِ جراحي رشقةً من عيونكِ النُجْلِ
وابتساماتكِ فوقِ شفاهِ بعماني الحياةَ كمِ أوْمأتْ لي
حينَ أَلْقَى زوجي على بابِ كوخِي وأناغِي على ذراعي طفلي
وأنامُ الليلَ القصيرَ لأجلِ صارمي في سنى الصباحِ المطِيلِ

المارستانات العربية

للككتور سامي هراد

عضو الكلية الجراحية الاميركية وأحد

اساتذة العلوم الجراحية بجامعة بيروت الاميركية (١)

من تصفح تاريخ المارستانات العربية لا يسعه إلا أن يعترف بانها مظهر باهر من مظاهر الثقافة العربية ومفخرة من مفاخرها . وكان اول ما اتصل العرب بهذا النوع من العمران قبل الاسلام . فان الحرث بن كلده الثقفي زوج خالة النبي العربي الكريم وابنه الفضر قد رادا البلاد في طلب العلم . فوصلا في ايام كسرى أنو شروان الى جنديساپور من اعمال فارس وتعلما الطب في مارستانها الذي كان يديره نطس اطباء النساطرة^(٢) . ولا شك في ان الكثيرين من العرب الذين جاءوا بعد الحرث وابنه قد حذوا حذوها . فالماوا بادارة المارستانات وفهموا منافعها واغراضها في تخفيف آلام البشرية . فعادوا الى بلادهم واسسوا في اول فرصة سنحت لهم معاهد شبيهة بها مما يؤسف له انه لم يصلنا الا القليل عن وصف هذه المعاهد واساليب ادارتها وغير ذلك من اخبارها التي تتشوق اليوم الى معرفتها . ولكن ما نعرفه عنها كافٍ لينبئنا بان الخلفاء والحكام واولي الامر قد ادركوا ما لهذه المعاهد من الشأن مما دفعهم الى بذل العناية في تشييدها والانفاق عليها بسخاء فائق والسعي في توفير ما يلزم لها لتؤدي الغرض المقصود منها . ففاقت اذ ذاك كل ما سبقها من المعاهد وصارت موضوع اعجاب الكثيرين من الرحالين الذين افاضوا في مدحها في كتب اسفارهم . وشيّد اكثرها في المدن الكبيرة الآهلة العامرة كمكة والمدينة وبغداد ودمشق وطرابلس وحلب وانطاكية والقاهرة ومدن المغرب والاندلس وبذلت العناية التامة في انتقاء المواقع الصحية الملائمة . فن جميل ما ورد في هذا الصدد « أن عضد الدولة لما همّ بإنشاء المارستان العضدي ببغداد استشار الرازي في الموضع الذي يجب

(١) المقتطف : جرى المؤلف على الطريقة المتبعة بين علماء الغرب في الاستناد فوضع بياناً في آخر رسالته بالمراجع التي اعتمدها ورقاً لكل مرجع ، لكي يتجانبى التكرار في الحواشي ، فالرقم الذي يظهر في المتن يشير الى كتاب معين في بيان المراجع ، وهو بيان سننشره في خاتمة هذا البحث الناقص

ان يبنى فيه . فأمر الرازي بعض غلمانه ان يعلق في كل ناحية من نواحي بغداد شقة لحم ثم اعتبر الناحية التي لم يتغير ولم يسهك (يخنتر) فيها اللحم بسرعة فأشار بأن يبنى فيها المارستان وكان كذلك » اهـ ^(٣٢) . « ولما ملك صلاح الدين الايوبي الديار المصرية واستولى على القصر ، كان فيه قاعة بناها العزيز بن المعز في سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) فجعلها صلاح الدين مارستاناً لانه كان يقال ان فيها طليساً يمنع دخول الملأ اليها » اهـ ^(٣٣)

اختلفت انواع المارستانات باختلاف الغاية التي وضعت لها . فان « الوليد بن عبد الملك كان اول من اتخذ مارستاناً في دمشق وذلك سنة ٨٨ هـ (٧٠٦ م) حين كانت الحاجة ماسة الى انشاء ملاجئ لحبس المجذمين فيها ومنعهم أن يخرجوا على الناس . فأقام لهم هذا المأوى وأجرى عليهم الارزاق » اهـ ^(٣٤)

وكان للعرب عناية فائقة بالمجاذيب والزمنى والعجزة والعميان فخصصوا المعاهد بابوابهم . ففي فاس وقف سيدي ابي العباس السبتي للعميان والزمنى وفي مراکش وقف سيدي فرج لا يواء المجاذيب والعناية بهم ^(٣٥) . فأين الفرق بين معاملة العرب لمن اخنى عليهم الدهر وأوقع بهم الرزايا والمصائب من معاملة الافرنج في القرون الوسطى لمثلهم . فانهم كانوا يحرقون المجذمين ويذيقون المجانين اصناف العذاب فيلاقون أجلاً عاجلاً

وقد اهتم اولو الامر بمن كانوا يعيشون بعيداً عن العمران والمدن الكبيرة لصعوبة السفر وتعذر وسائل النقل فبنوا لهم مارستانات نقالة تصل اليهم وتقوم بمحاجاتهم . « ففي ايام عضد الدولة كتب الوزير علي ابن عيسى الى سنان بن ثابت رئيس الاطباء توقيعاً يقول فيه : — « فكرت في من في السواد من اهله . فتقدم ، امد الله في عمره ، بانقاذ متطبين وخزانة للدوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينقلون الى غيره » اهـ ^(٣٦)

ولم يحرم المسجونون والمجرمون حظ العناية بأجسادهم في ايام محنتهم . فان الوزير علي بن عيسى نفسه كتب الى طبيبه المار ذكره توقيعاً آخر يقول فيه : — « فكرت ، امد الله في عمره ، في امر من في الحبوس وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أمانتهم ان تنالهم الامراض لوهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم فيبغى ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم وتحمل اليهم الادوية والاشربة ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيجون علمهم » اهـ ^(٣٧) وكل ذلك جرى في القرن الثالث الهجري وكان للجيش الحظ الوافر من هذه الوسائل الطبية . ذكر عن عزيز الدين ابو نصر احمد ابن حامد لما تولى منصب الاستفتاء في أيام مغيث الدنيا والدين محمد « انه من جملة مبتدعاته في

الخير جعل للعسكر السلطاني مارستاناً يحمل آلاته وخيمته وأدوية والأطباء والمرضى مثلاً
يحتي « اه^(١٥) وفي رواية أخرى أربعون جملاً . وقد جعل عزيز الدين الطبيب أبا الحكم المغربي
طبيباً على هذا المارستان^(١٥)

وكانت توجد المستوصفات وخزانات الشرابات والأدوية للإسعافات الأولية والحوادث
الفجائية : منها ما أسسه أحمد بن طولون فإنه أول من أنشأ مستوصفاً من هذا النوع أقامه في
مؤخر الجامع الطولوني . « ووضع فيه خزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وجعل عليها
خداماً وأقام فيها طبيباً يجلس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة » اه^(٨)

اما المارستانات العمومية فشيد بعضها خاصة لهذا الغرض على أحسن هندسة وترتيب وأوفى
اتقان . والبعض الآخر كان في بادئ الأمر قصوراً نفحة تحولت الى ما يوافق حاجات المارستان
ولم يكن يراعى في هذه المارستانات الفرق بين غني وفقير وكبير وصغير وحقير . اذ انها
فتحت ابوابها للجميع على السواء ويعامل الجميع فيها أحسن معاملة وبكل ما يمكن من الاعتناء
والدقة . ومن الأدلة على ذلك ما ذكره الظاهري حيث قال : — « وفي دمشق مارستان لم
يُرمَ مثله في الدنيا قط . وافقت نكتة أحببت ذكرها وهي اني دخلت دمشق في سنة ٨٣١ هـ
(١٤٢٧ م) وكان يصحبني شخص عجمي من أهل الفضل والذوق واللاطف . وكان قاصداً الحج
في تلك السنة فلما دخل المارستان المذكور ونظر ما فيه من المأكل والتحف واللاطف التي
لا تحصى قصد اختبار حاله . فتضاعف وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الطب يتردد عليه ليختبر ضعفه
فلما جسد نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلو والاشربة
والفواكه المتنوعة ثم بعد ثلاثة ايام كتب له ورقة معناها ان الضيف لا يقيم فوق ثلاثة ايام وهذا
في غاية الحذافة والظرافة . وقيل ان المارستان المذكور منذ عمر لم يطفأ فيه النار » اه^(١٤)

وكانت هذه المارستانات كاملة العدة والعدد فيها الاسرة الكاملة الكسبي ، الفائقة النظافة .
خصصت فيها امهات وحجرات بالرجال وغيرها بالنساء وبكل من الامراض على انواعها . وجرت
فيها المياه بغزارة . وأفرد فيها مكان لطبخ الطعام وآخر لاعداد الادوية

وليس كل منها اوقاف دائرة ومنايع رزق ينفق منها عليها عن سعة . ووضعت تحت مراقبة
شديدة لتأمين نفقاتها حتى لا يقع حيف على المرضى الذين يلجأون اليها . ذكر ثابت بن سنان في
تاريخه عن والده سنان وكان رئيس المارستان العسدي ما يأتي : — « وكانت النفقة عن المارستان
الذي لبدر المعتضدي بالحرم من ريع وقف سجاعة ام الخليفة المتوكل على الله وكان الوقف في يد
ابي صقر وهب بن محمد الكلوزاني وكان قسط من ريع هذا الوقف يصرف الى بني هاشم وقسط
منه ينفق على المارستان . وكان ابو الصقر يعجل على بني هاشم ما لهم ويؤخر نفقة المارستان



صورة ما يظن أنه موقع المارستان الذي بناه الوليد بن عبد الملك بدمشق
[تصوير الدكتور سامي حداد]

ويضيئها فكتب والذي الى ابي الحسن علي بن عيسى يشكو اليه هذه الحال ويعرفه ما لحق المرضى من الضرر بذلك وقصور ما يقيم لهم من الفحم والمؤن والذئار وغير ذلك عن مقدار حاجتهم . فوقع على ظهر رفقته الى ابي الصقر توقيعاً صورته : — أنت اكرمك الله تقف على ما ذكره وهو غايظ جداً والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك ويلزمك وما أحسبك تسلم من الاثم فيه وقد حكيت عني في الهاشميين قولاً لست اذكره . وكيف تصرفت الاحوال في زيادة المال او نقصانه ووفوره او قصوره فلا بد من تعديل الحال فيه بين ان تأخذ منه وتجعل المارستان قسطاً بل هو احق بالتقديم على غيره لضعف من يلجأ اليه وعظيم النفع به . فرفني اكرمك الله ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة المارستان هذه الشهور المتتابعة وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد . فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من في المارستان من المرضى والمرورين بالذئار والكسوة والفحم ويقام لهم القوت ويتصل لهم العلاج والخدمة واجبي بما يكون منك في ذلك وأنقذ لي عملاً يدلني على حجتك وأعني بأمر المارستان فضل عناية ان شاء الله تعالى . اه (٢٥) فتأمل

وكان منصب ناظر المارستان من أجل المناصب وأعلاها . « وكانت بالديار المصرية عادة النظر فيها من اصحاب السيوف لا كبر الامراء » . (١٩) اه « وبدمشق لنيابة السلطنة وهي من اجل نيابات المملكة وارفعتها رتبة » . اه (٢٥)

وتوفر عدد الخدمة والمشتغلين للمرضى بالمارستان فتأمنت بذلك راحتهم . ومن ادesh ما ذكر انه اقيم لبعضها المؤذنون الذين كانوا يحيون ليايهم بالنوبة بتسبيح الله نحو ساعة بصوت رخيم . وأطلق على هؤلاء لقب « مؤنس الغرباء او المرضى » . فالمرضى الذي لا يقدر ان ينام ولا يجبد في كل الاحيان من يحيي الليل لاجله كان يشجيه المؤذن بصوته الرخيم في تسبيح الباري تعالى في ساعات الليل الاخيرة (٧)

ومما هو جدير بالذكر ان أكثر هذه المعاهد كانت تشاد بالقرب من مسجد ويقام بجوارها حمام وتكية فكان اولي الامر ارادوا بذلك ان تكون جميع هذه المعاهد الخيرية متجاورة متلاصقة ليصير من مجموعها وحدة كاملة على مداواة الاجسام والنفوس وضامنة للرفق المدني والديني معاً وكانت رتبة رئيس الاطباء في المارستان من الدرجة الاولى في مناصب الدولة . وكان لكل منها رئيس واطباء عديدون وجراح وكحال وفاسد وصيدي . وكان عمل رئيس الاطباء الاشراف على اعمال المارستان وامتحان سائر الاطباء وسمح لكل منهم ان يعمل في دائرة اختصاصه متى نجح في امتحانه . والاجازات الطبية قديمة العهد في تاريخ الطب العربي . واول ما تجدها في ايام الخليفة المقتدر بالله « الذي جرى في مارستانه في بغداد غلط على رجل

من العامة من بعض الاطباء فئات الرجل . فامر المقتدر بالله وزيره ابراهيم بن محمد بن بطحان ان يمنع سائر المتطبين من التطيب الا من امتحنه سنان بن ثابت وأذن له بذلك وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة . فسار الاطباء الى سنان وامتحانهم واطلق لكل منهم ما يصلح ان يتصرف فيه وذلك في سنة ٣١٥ هـ « (٩٢٧ م) . اهـ (٢٦) . ولنا مثال آخر من هذا النوع في عهد الملك العادل نور الدين زنكي . فانه فوض الى ابن ابي خليفة « النظر في امر الكحالين واعتبارهم وان من يصلح منهم لمعالجة امراض العين ويرتضيه يكتب له خطه بما يعرفه عنه » . اهـ (٢٧) اما معاينة المرضى ومعالجتهم فكانت تجري في المارستان على الصورة الآتية : —

كانت الاطباء تجلس على دكة وتعان المرضى في ايام معينة من الاسبوع . فكتب لمن يستوصف منهم أوراقاً يعتمدون عليها يأخذون بها من المارستان الاشربة والادوية التي يصفونها لهم . اهـ (٢٨)

« ومن كان بحاجة الى الاستشفاء يسجل اسمه في سجل المارستان وتنزع ثيابه ويلبس ثياب المارستان ويوضع في سرير خاص وكل يوم يدور الأطباء على المرضى ويتفقدون أحوالهم ويعتبرون أمورهم وبين يديهم المشارفون والقوام لخدمة المرضى فيكتبون لكل منهم ما يلزمه من المداواة والتدبير فلا يؤخر عنه ولا يتوانى في شيء من ذلك » . اهـ (٢٩) وكان الدليل على شفاء المريض مقدرته على أكل فرث ورج وورغيف خبز فيأمر له بالانصراف ويعطى بدلة ثياب ونفقة تكفيه مدة بعد خروجه من المارستان

وكانت في كثير من هذه المارستانات غرفة خاصة فيها مكتبة تحتوي على الكتب الطبية يجلس فيها الرئيس وسائر الاطباء بعد الفراغ من معالجة المرضى ويجلس التلامذة معهم فيتذاكرون في كيفية الاستدلال على الأمراض وجملة ما وصف وكتب للمرضى ثم يبحثون في كثير من الأمراض ومعالجتها . فكانت المارستانات بتوفر هذه الوسائل معاهد علم يتلقن فيها التلامذة العلوم الطبية علماً وعملاً

مارستانات دمشق

ذكر التاريخ انه كان بدمشق خمسة مارستانات وربما كان هناك اكثر منها لكن لم يذكر شيئاً عنها الا أول مارستان الوليد بن عبد الملك . الثاني المارستان الدقاقي . الثالث المارستان النوري . الرابع المارستان القيسري . الخامس المارستان الركني

مارستان الوليد بن عبد الملك

اندثرت معالم هذا الأثر . وذهب البعض الى ان موقعه خارج أحد أبواب دمشق المعروف بباب شرقي قرب ما يدعى اليوم « الاطالة » ومعالمه عبارة عن بناية لبن متداعية ذات غرف

صغيرة جداً قليلة النوافذ معدومة كل الوسائل الصحية ظلَّ يحبس فيها المجذومون الى آخر شهر ايلول من سنة ١٩٣٦ م . وقد ادرك اولو الامر عدم ملائمة هذا الموقع لايواء المرضى فبنوا مؤسسة جديدة خارج دمشق نقلوهم اليها . والاعاطلة اليوم مهجورة . والى ناحيتها الشرقية الجنوبية آثار قديمة هي عبارة عن حائط يبلغ طوله نحواً من خمسة عشر متراً . مبني بحجارة ضخمة عريضة وفيه فتحة بابين كبيرين . وقد طمر التراب هذا الحائط الى منتصف فتحة الابواب . وفي جنوبيه طريق وشماله ساحة واسعة تبلغ مساحتها نحواً من الف متر مربع فيها بقايا أعمدة رخامية ضخمة . والى الجهة الشمالية من هذه الساحة بستان فسيح الارعاء . فهل هي بقايا هيكل قديم حوله الوليد الى مارستان . ام الامر غير ذلك ؟ ان البحث لم يصل بنا الى معرفة الحقيقة

المارستان الرقائى

ذكر هذا المارستان بعدة اسماء هي العتيق والقديم وباب البريد والنوري الصغير . فهل يأتى هذه الاسماء هي لمارستان واحد ام لا كثر من واحد ؟ فان دقاق بن تثنس الذي يظن انه منشىء هذا المارستان عاش في القرن الخامس الهجري ولكن ورد ذكر هذا المارستان في حوادث القرن الرابع^(١٠) ويذهب العلوي^(٢) والعماد^(١٦) الى انه من عمارة الامويين وان الذي عمره معاوية بن ابي سفيان او ابنه يزيد وهذا لا يتفق مع قول المؤرخون الذين سبقوا العماد وافرقوا على ان اول من أسس مارستاناً في دمشق هو الوليد بن عبد الملك^(١١) ولا يخفى ان الوليد اثنى بعد معاوية

اما موقعه فكان غربي الجامع الاموي المشهور تحت المنارة الغربية . الى الجنوب من المراحيض في سوق المسكية ويفصل بينه وبين الجامع سوق القوافين . بقي عامراً الى اوائل القرن التاسع الهجري وقال العماد والعلوي ان اول من خرب معالمة وجعله بيتاً ابو الفضل الأختاني ، ثم ملكه بعده اخوه برهان الأختاني ، ثم سكنه الشيخ كمال العجمي ، ثم اتصل بالياس كتحدا عيسى باشا فعمره وغير معالمة . وقد ذكر ابن جبير في رحلته : « وبها (اي بدمشق) مارستان قديم وحديث والقديم هو غربي الجامع المكرم » . اهـ^(١١) وقال ابن ابي اصيبعة في ترجمة رشيد الدين ابن خليفة : « وفي الخامس من المحرم سنة ٦١٥ هـ . استدعاه (اي رشيد الدين) الملك العادل ابو بكر ايوب لما سمع بتحصيله وسيرته وولاه طب المارستانين بدمشق والذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي » . اهـ^(١٢) وفي ترجمة عز الدين السويدي قال : « وخدم ايضاً في المارستان باب البريد » . اهـ^(١٣)

اقوى من الزمن

لفيك تورو هو هو

منذ مسّت شفتاي كأسك المترع يا حبيبي
وألقيت بوجهي الشاحب على راحتك الرقيقتين
واستشفّت روحي أعماق نفسك ، وقيّات
يانع أزهارها وتنسّمت نادر عطرها المسجّي
الآن تحت هذي الظلال

او منذ تلك اللحظة السعيدة التي
تسمّعت فيها الى كلماتك الطاخة بأسرار قلبك
ومنذ رقت شفتاك على شفتي وحنت عيناك
على عيني بين دموعك وابساماتك

ومنذ أحسست على جبهتي تحدّر لمحّة واحدة من شعاع
نجمك الخابي الآن ، واضطرب نهر حياتي لورقة واحدة
ساقطتها عليه ازهار أيامك

منذ ذلك يا حبيبي تعاظمت الزمن وأنا الآن أهتف
بالساعات المتقلبة العابرة : سيري في طريقك
واسرعي خطاك فلن تدركني الشيخوخة ،
وهرولي الى الوهدة المظلمة بكل ما جمعت من أزهارك الذابلة
فاني احتفظ في قلبي بزهرة لن ينال قطافها أحد
ان اجنحتك الخافقة قد تصيب كاسي المفعم بالحب
ولكها لن تكفأه ، فشفتاي نديتان بخمره !
ان في قلبي ناراً لا يستطيع بردك ان يطفئها
وفي نفسي حباً فلن تستطيعي قهري على نسيانه !

التعليم الجامعي في مصر

عرض آثار وآمال

— عمل الجامعة : للفيلسوف هوبنهر —

١ — كلية الآداب : للدكتور طه حسين بك

٢ — كلية الحقوق : للدكتور المصري

٣ — كلية الهندسة : للدكتور عبد الرحمن الساوي بك

٤ — كلية التجارة : للمحمر صحرى بك

٥ — كلية الزراعة : للمحمر نوبس الحفناوى بك

٦ — جامعة القاهرة الاميركية : للدكتور رسل بولت



يسر المقتطف ان يقدم لقرائه في مفتتح السنة
الجديدة هذه الفصول النفيسة بقلم طائفة من اكبر
اقطاب التعليم الجامعي في مصر ، وأملنا ان تتمكن في
الشهر القادم من ان نستوفي آراء اقطاب المعاهد
العالية الاخرى ، ككلية الطب وكلية العلوم ، ومعهد
التربية ودار العلوم ، ومدرسة الفنون ودار
الكتب الملكية

عمل الجامعة

تلخيص رأي الفيلسوف هويتهد

د سماعيل مظهر

نظام الجامعات يكاد يكون نظاماً غريباً بحتاً ، اخذ الشرق يفتحه منذ زمان غير بعيد .
واذا قضينا بأن نظام الجامعات غربي ، فليس من قصدنا ان نقضي بأن الشرق قد تجرد من
فكرة اقامة البحث والدرس العلمي والادبي والفلسفي على معاهد تربي عقول النشء الحديث في امة
من الامم . كذلك لست اريد ان أقول إن الشرق قد تجرد من المذاهب المدرسية التي قامت بين
جدران معاهد خلال ازمان مديدة . بل اريد ان اقضي بأن فكرة « الجامعة » باعتبارها فكرة
« حرة » أحدثت نظاماً جديداً من الدرس واسلوباً حديثاً في البحث الحر ، هي من مخترعات
العصر الحديث

انحصرت المعرفة في العصور القديمة في التاريخ بين جدران المعابد والهيكل حيث تفرد
الكهان ورؤساء الدين بالعلم دون بقية الناس ، وحرصوا على ان يكون العلم وفقاً عليهم ، فظل
قاصراً على فئة من الفئات لم يتعدّها . وقد استنشق العلم شيئاً من ريح الحرية في المدينة اليونانية
حيث قامت الاكاديميات من حول فلاسفة عظام كسقراط وأفلاطون وأرسطو ، فلم يفرقوا بين
الناس في تلقي العلم ، بل اوسعوا في افق الدرس العلمي والفلسفي في حين ان ارسطو رغمًا عن
هذا قد اوصى بأن تكون الفلسفة العليا وفقاً على الخاصة ، وان العامة يكفي فيهم ان يكونوا ملهمين
ببعض مبادئ المعرفة المأماً اولياً

فلما انتشر الدين المسيحي اقتصرت المدارس على المعاهد التي اقامها آباء الكنيسة واقتصر
العلم فيها على ما سمي حين ذاك « بالعلم السلمي » المحصور في التفاسير التي فسرت بها الكتب المقدسة
وفي المبادئ الغراما طيكية واللغوية التي ساعدت على وضع تلك التفاسير وعلى منطق أرسطو كأساس
لضبط العقل عن الخطأ . وعقب ذلك انتشار الدين الاسلامي فاقصرت معاهده على تدريس

المبادئ التي وضعها الفقهاء في التفسير والحديث والأصول وبقية فروع العلم الثانوية التي كانت تتخذ أساساً للوصول الى التوسع في تلك الأسس العلمية ، كما عرفت في ذلك العهد . وكما تعرف الآن في كثير من معاهد العلم الاسلامي

اما فكرة « الجامعة » باعتبارها معهداً حراً قائماً على فكرة حرية ، فبدأت تتكوّن في اوائل القرن السابع عشر ، عندما بدأ كوبرنيكوس وغاليليو يثبان مذهبهما العلمي في نظام الكون ، وعندما بدأ جيوردانو برونو يبشر بحرية الفكر

غير ان تحرير الفكر تحريراً حقيقياً لم يبدأ الا بعد ان تحدّد الاسلوب العلمي الحديث في اواسط القرن التاسع عشر ، وبعد ان ظلّ العراك بين الاوضاع والتقاليد القديمة وبين الفكرة الحديثة ، سجالاً أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان . وهذا التمهيد التاريخي ضروري لمن يريد ان يستوعب هذا البحث استيعاباً يستعين به على تفهم حقيقة الفكرة من « الجامعة » ، وقد بدأنا نتخذها أساساً لتقدمنا العلمي

ان كثرة الجامعات والتوسع في اختصاصها من الاحداث الظاهرة في الحياة الاجتماعية في هذا العصر . ولقد اشتركت جميع الاقطار في نتيجة هذه الحركة ، وعلى الاخص اميركا التي تمتاز على غيرها من هذه الناحية امتيازاً يوليها الشرف . على ان نماء الجامعات العلمية في عدد الكليات والمعاهد التابعة لها وفي اتساع احجامها وتخالط نظاماتها الداخلية ينطوي على خطر قد يمكن ان يقضي على موارد النفع التي تنتظر منها اذا لم نفهم تمام الفهم حقيقة الوظائف الاولى التي يجب ان تؤديها الجامعات في خدمة الامة

ولا يجب علينا ان نبالغ في جدّة هذه المدارس العملية . فانه لم يمرّ عهد من الزمان اقتصرت فيه الجامعات على درس المجرّدات الصرفة . فان جامعة « سالرنو » في ايطاليا مثلاً ، وهي أقدم الجامعات الاوربية ، قد وجهت غالب همها الى درس الطب . كذلك نجد في انجلترا ان جامعة كامبردج قد أنشأت كلية سنة ١٣١٦ لغرض خاص ، هو تخرج « كسبة يعينون في خدمة الملك » . وقد خرّجت الجامعات رجالاً درسوا اللاهوت والطب والحماية والهندسة . والحاجات العملية في هذا العصر من المهن التي تحتاج الى مقدرة عقلية فائقة ، ولهذا نقدر انها تستحق ان تشغل مكاناً في هذا السباق العملي . اما جدّة هذه الفكرة فتتخصّر في ان البرنامج الذي يتسق وحاجات معهد عملي ، واساليب العمل المختلفة فيه ، لا تزال في طور التجربة . من هنا اضطر الى الكلام تعميماً لا تخصيصاً ، في المبادئ التي يجب ان تقوم عليها هذه المعاهد

تتكوّن الجامعات من معاهد للدرس، ومعاهد للبحث. أما السبب الاول الذي يسوّغ وجود الجامعات فلسّته تجده في نقل المعرفة من رأس الاستاذ الى رؤوس الطلبة، ولا في الفرص التي تهيئها لاعضاء الكليات المختلفة لكي يبحثوا وينقبوا عن الحقائق ان هذين الغرضين من الممكن تحقيقهما في معاهد أقلّ من الجامعات نفقة. فالكاتب رخيصة الأثمان، وطريقة « التلمذة » والدرس معروفة ومنذ اخترعت الطباعة في القرن الخامس عشر، لم يبق للجامعات ما يسوّغ وجودها، اذا اقتصرّت وظيفتها على مجرد التلقين واعطاء المعلومات. اما الدوافع التي حفزت الامم الى تكوين جامعاتها فقد جدّت بعد ذلك التاريخ، وقد ازدادت في العصر الحديث قوة

أما المسوّغ الذي تقوم عليه « الجامعة » فينحصر في أنها تحتفظ بالصلة القائمة بين المعرفة وبين ما يتذوق الناس من طعم الحياة اذ توحد بين الصغار الذين يتعلمون والكبار الذين يعلمون باعتبار تصوري في الدرس والبحث. ان الجامعات تدلي بمعلومات للمتعلمين بين جدرانها، ولكنها تدلي بها بطريق يذكي التصوّر. وفي هذا تنحصر وظيفتها التي يجب ان تقوم بها للجامعة. اما جوّ القلق والاضطراب الذي يخلقه ذلك الاعتبار التصوري، فهو الذي يكيّف المعرفة. هنالك لا تصبح اية حقيقة ما، مجرد حقيقة عارضة عن المعنى. انها تكون حقيقة تلابسها جميع ممكناتها واحتمالاتها. انها لا تضجّ عبثاً ثقيلاً على الذاكرة. بل تصبح مبدعاً باعثاً على القوة والنشاط، مثيراً للخيال. تصبح الشاعر الذي يعبر عن احلامنا، والمهندس الذي يرتب اغراضنا ويرسم غاياتنا. كذلك لا تفرق بين التصوّر وبين الحقيقة. لان التصوّر يكون طريقاً لتبيان الحقيقة. إنه يستخرج المبادئ العامة التي تنطبق على الحقائق كما هي موجودة، ثم يلجأ الى استعراض عقلي لكل الاحتمالات المتنوعة التي تسير تلك المبادئ

وهذا مما يساعد الباحثين على ان يكونوا تصوراً عقلياً في دنيا جديدة عليهم، فضلاً عن انه يحفظ لهم ما يتذوقون من طعم الحياة، وما يرضون به من ألوانها الكثيرة، بما يحفزهم اليه من العمل على سد اغراضهم واشباع مطامعهم

ان الشباب قوّة متصورة. فاذا قوي التصوّر بالتزام النظام، أمكن في الغالب الاحتفاظ بنشاط التصوّر مدى الحياة. اما مأساة الحياة الكبرى، فنحصر في ان الذين هم أقوياء التصوّر يكونون قلبي الخبرة، والذين هم كاملو الخبرة، يكونون ضعاف التصوّر. ان الحلقى اما يعتمدون على التصوّر دون المعرفة. اما الادعياء فيعتمدون على المعرفة دون التصوّر. لهذا تنحصر وظيفة « الجامعة » في ان ترأب الصدع القائم بين التصوّر والخبرة

أما النتيجة التي تنتظر من هذا فهي ان يزود الشباب منذ فتوتهم بالخبرة العملية التي يحرزها الشيوخ في شيخوختهم. وبهذا تكون الوظيفة التي تقوم من اجلها الجامعات محصورة في الحصول

على معرفة قائمة على التصور . فاذا لم تقم الجامعة على أساس « التصور » فهي اذن لا شيء ، او على الاقل تكون معدومة النفع

« التصور » مرض معد في حين انه لا يمكن ان يقاس بالبوصة والقدم ، ولا يمكن ان يوزن بميزان ادائه الرطل او الاقّة ، حتى يستطيع ان يجرعه اساتذة الكليات لطلبة العلم جرعات سائلة او يفرضونه عليهم حقناً تحت الجلد . انه ليس شيئاً من هذا . انه صفة لا يمكن ان تنقل الى طلبة كلية نشأ اساتذتها بعيدين عن فكرة تشرب العلم من طريق التصور . واني ان قلت بهذا فانما اكرر القول بمشاهدة من اقدم المشاهدات . فن الـي سنة مثل الاقدمون للعلم بمشعل مضيء ينتقل من يد الى اخرى خلال الاحيال . وما هذا المشعل المضيء الا « التصور » الذي اتكلم فيه الآن . اني لاعتقد ان كل ما في النظام الجامعي من فن ينحصر باشادة معاهد يضيئها نور التصور . وهذا لدى الحقيقة مشكلة المشاكل في التعليم الجامعي . فاذا لم نعتن بدرس هذه المشكلة ، واذا لم نقيم التعليم في الجامعات على هذا الاساس ، فان الجامعات على كثرتها في هذا الزمان ، ستخفق حتماً في الوصول الى النتائج التي نتظرها منها

إن اتحاد التصور والدرس يحتاج الى بعض التّطرية والتحرر من القيود ومن متاعب الحياة ، مع قليل من الخبرة المتنوعة ، ومعاونة عقول اخرى مشبعة بالفكرات كثيرة المعارف . كذلك هو يحتاج الى استهواء التطلع والاعتماد على النفس القائم على الفخر والزهو بما احرزت الجمعية القائمة من تقدم في فروع المعرفة . كما ان التصوّر لا يمكن ان يجاز دفعة واحدة اولاً و آخراً ثم يحتفظ به في صندوق من الثلج يستولد منه كلاماً دعا الحاجة . فان حياة قائمة على الدرس وعلى التصور ، هي طريقة تعرف منها كيف تعيش ، وليست سابعة من السلع التجارية تباع ثم تشتري ، وتشتري ثم تباع من الاتّفاع بهذه الحالات ومن الاحتفاظ بها في كلية من الكليات التي استكملت كل المعدات الضرورية للتعليم ، تستخلص الوظيفة الحقيقية التي تنشأ من اجلها جامعة من الجامعات ، ولعني بها المعاونة على الدرس من ناحية والبحث من ناحية اخرى . فانك اذا اردت ان يكون اساتذتك اقوياء التصور ، شجعهم اذن على البحث ، وساعدهم على ان يكونوا احساس العطف العقلي على الصغار الذين يعلمونهم ، في ذلك العهد الذي يكون التصور فيه اشد ما يكون يقظةً وانتباهاً ، عصر الشباب والفتوة ، عندما تكون قوى العقل قد اخذت تدلف الى نظام الاكتمال والنضج . دع الباحثين يعبرون عن آرائهم لعقول نشيطة مرنة مندبجة في الدنيا الخافه بهم ، وارك نشاك في عهد التحصيل العقلي يتوج جهده بالاتصال بعقول ملائها الخبرة العقلية . ذلك لان التعليم في الواقع ليس الا نظاماً يواجه به الانسان خطورة الحياة ، كما ان البحث مخاطرة عقلية ، لهذا وجب ان تكون الجامعات بيوتاً للمخاطرة والاقدام تعاوناً بين الشيب والشباب

١ - كلية الآداب

هريث الراكشور طه حسين بك

عميد كلية الآداب



وجه مكتب تحرير المقتطف الى الاستاذ الدكتور طه حسين بك عميد
كلية الآداب السؤاين التاليين
اولاً — ما هو القسط الذي قدمته كلية الآداب لنهضة الفكر في مصر
خلال السنوات العشر الماضية ؟
ثانياً — ما هي الصورة المثالية التي تريدونها لكلية الآداب ؟ تفضل
بالجواب التالي

— ١ —

أثرت كلية الآداب في تطور الفكر المصري تأثيراً واضحاً جداً يبدو في ناحيتين هامتين :
في طريقة تصور الأشياء والحكم عليها . وفي الحياة العملية ، ذاتها
وفي الانتاج . وعلى الرغم من غرابة هذه الكلمة ، فانها بالنسبة لنا حقيقة واقعة
فالطلبة والمتخرجون انتجوا في ميدانهم كترجمين ومؤلفين وصحفيين ، وكذلك بالطبع
انتج اساتذتهم
واريد ان اعرف مدرسة أخرى في الشرق كله ، وصلت في فترة قصيرة الى ما وصلنا اليه . .
وقد نكون ، في فترة السنين العشرة الماضية امتصصنا — كما نقول — خير ما في المعاهد السابقة لنا
من مقومات .. ولكن اليس «الامتصاص» في ذاته دليلاً على القوة والحياة ..
فان اردت بعض مثل ، على ما نحن بسبيله ، فلتعلم أن اللغة العربية مدينة الآن لكلية الآداب
باحسن تاريخ عمل حتى الآن للحياة العقلية في القرنين الاول والثاني للهجرة . ولولا ان احمد
امين عمل في كلية الآداب ، لما انتج هذا الانتاج الذي عجزت عن تحقيقه القرون الماضية كلها
واوجدت كلية ، الآداب شيئاً اسمه التنقيب عن آثار مصرية ، خالصة ، وآثار اغريقية ،

ورومانية ، فهي وحدها التي اوجدت اشتراك المصريين العالمي في علوم الآثار والاجتياولوجي وما قبل التاريخ

وكلية الآداب هي التي اوجدت اول التأليف العلمية العربية في الجغرافيا ، فكتابا حوض النيل ، وسكان هذا الكوكب من أحسن الآثار التي تجمع بين اللذة العلمية والادبية . واني اتحدى اي مدرسة اشتغلت بالعلوم الجغرافية ووصلت إلى مثل ما وصل إليه قسم الجغرافيا عندنا

وبخيل إلي ايضاً ان كلية الآداب هي اول معهد أظهر في العربية ترجمة ادبية لفوست وهرمان ودورتيه لحيته عن الالمانية مباشرة ، لا نقلاً عن لغة اخرى . ثم ان كليتنا هي التي انشأت معهد الآثار الاسلامية ، ولم يكن موجوداً قبل الآن ، ولاول مرة في تاريخ مصر أدخلت كلية الآداب الدراسات القديمة اللاتينية واليونانية لتساهم في الكشف والاسفاداة من أعظم حضارتين فكريتين في العالم القديم

ولا يمكن أن ننسى أن كلية الآداب ساهمت مساهمة خطيرة في الحركات الادبية العامة لم تكن لمعهد آخر ، فقد احتفلنا بالعيد الالفى العتني ، في اسبوع اقناه لدراسته دراسة وافية . واكثر من هذا انتجنا كتابين احدهما للدكتور عبد الوهاب عزام ، والثاني لي سيظهر قريباً . ولولا كلية الآداب ما كنت افكر في دراسة المتنبي والكتابة عنه

وهناك في خارج الكلية يشترك الاساتذة اشتراكاً جدياً في الحياة العلمية العامة . . واظنك تعلم ان الذي يقوم بتحقيق كتاب السلوك وطبعه هو الدكتور زيادة احد اساتذة التاريخ . كما ان لمعهدنا قسطاً وافراً في توجيه السياسة التعليمية العامة ، بما تقدمه في لجان وزارة المعارف من آراء وما نشترك فيه من كتب ومقررات للدراسات الثانوية والخاصة

وكلية الآداب هي التي مثلت مصر في المؤتمرات العلمية المختلفة التي تمس الاداب . فقد مثلنا في مؤتمرات المستشرقين ثلاث مرات تمثيلاً رفيع المكانة الادبية للبلاد كلها . وكذلك اشترك الاستاذان مصطفى عبد الرازق والحولي في مؤتمرات تاريخ الاديان واشترك الاستاذان مصطفى عامر وعوض في مؤتمرات الجغرافيا والسكان

وكلية الآداب هي أول معهد أدخل في روع الحكومة والشبان فائدة الرحلات الى البلاد الشرقية ، فقامت من أساتذتنا وطلابنا رحلات الى الشام والعراق ، وأرسلنا من ينوب عن معهدنا في حفلات الفردوسي بطهران

وهناك أمر خطير جداً لا يعرفه الناس تماماً حتى الآن فبعثة الجامعة الى بلاد اليمن مشروع من مشاريع أحد المتخرجين من قسم الجغرافيا الدكتور حزين . وقد وصلت الى نتائج هامة جداً أولها — الاكتشافات الجيولوجية ذات القيمة الخطيرة . وكذلك الاكتشافات المتعلقة بالحشرات وأنواع النباتات

ثانياً — أحضرت البعثة معها نحو مائة وخمسين نقشاً أثرياً جديداً سيتخذها أحد أعضاء البعثة موضوعاً لرسالة دكتوراه

ثالثاً — ملأت البعثة (اسطوانات) للهجات جنوب اليمن ، وهو العمل الأول من نوعه في هذه الناحية

وقبل هذا وذاك أظهر أعضاء البعثة انهم على استعداد تام لاقتحام الاخطار ، فقد أدركهم من المرض والآلام ما يدرك عادة المغامرين في سبيل الغايات الكريمة وشعروا جميعاً بلذة هذا الألم لتحقيق أغراضهم العلمية

هذا ما يتصل بالأساتذة . ويمكن ان تراجع في مكتبة الجامعة قائمة الكتب التي أنفقت عليها كلية الآداب وعاونت على ظهورها

وأما ما يتصل بالطلاب والمتخرجين بالنشاط الفكري ، فأترك للمتحدث (وهو من خريجي الكلية) احصاءه ، فهو أعرف به ^(١) ولا تنسى رسالات الماجستير والدكتوراه ، ولعل كليتنا هي التي عرفت المصريين والشرقين بالشهامة ، وقدمتها لهم مطبوعة منقحة

وفي سنة ١٩٣٢ اشتركت كلية الآداب في الحركة العقلية الصرفة حين اخرج عميد كلية

(١) يشير الدكتور طه الى مجهودات الهيئات الجامعية التي تعمل على نشر الثقافة العامة مثل لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ولجنة الجامعيين لنشر العلم ولجنة البردي ومجهودات موفقة لكثير من الطلاب والمتخرجين في التأليف والترجمة والصحافة

الجامعي للشبان

الآداب من كليته فنهض الجامعيون نهضتهم الخطيرة للذود عن كرامة الجامعة واستقلالها وقاوموا الحكومة شهراً وضربوا في ذلك أمثالاً لن تدسى . وكان لهذه الثورة تأثير خطير في التفكير الجامعي للشبان

وأما الرقي العام للأمة فقد شاركت فيه كليتنا مشاركة واضحة ، فهي التي فتحت ابواب التعليم العام للفتيات ، وفيها الآن ١٨٧ قناة يشتغلن في جميع اقسام الكلية . كما أنها خطت خطوة أخرى بأن ادخلت ضمن هيئة تدريسها ثلاث سيدات هن الآنسة سهير القلماوي (للغة العربية) والسيدة درية فهمي (للغة الفرنسية) والآنسة فاطمة سالم (للدراسات القديمة) وهن يدرسن الطلاب والطالبات

والنتيجة ان لطلبة كلية الآداب واساتذتها ان يفاخروا بأثر كليتهم في هذه المدة القصيرة ، وان ينتظروا ان تعظم هذه الآثار كلما مضى الزمن ، ولا يحفلوا بما يقول الكاشحون ، فالقافلة تمضي موفقة على الرغم من المصاعب التي تلقاها ، وهي تعتمد على هذه المصاعب لان قيامها شرط اساسي لنجاحها . فهي الامتحان الذي يروّضها ، ويعلمها ، ويمحص رجالها تمحيصاً . وهي لا تريد النجاح السهل انما تريد النجاح العسير الذي يبعث الشجاعة والثقة ، بالنفس والامل في المستقبل ، وما يحقق الرجولة التي تحتاج اليها مصر في هذا العهد الجديد

— ٢ —

الذي أرجوه وأعمل لتحقيقه هو ان تؤدي كلية الآداب الى اغراض ثلاثة

الأول — احياء قديمنا المصري والعربي

الثاني — تحقيق الصلة الواضحة القوية ، بينا وبين الحضارة الغربية

الثالث — اظهار أوربا على ما يجب ان تعرفه من استعدادنا الصحيح للحياة الخصبه والمساهمة

في ترقية الحضارة الانسانية ومهما تبلغ كلية الآداب من تحقيق هذه الاغراض فلن ترضى ، ولن يرضى رجالها طلاباً ، واساتذة . . لان الرضى آية الخمول والخمود ، وهما أبغض الأشياء اليها

٢ - كلية الحقوق

مدير الكونرس المشهور

عميد كلية الحقوق

— ١ —

س . اي شأنٍ ينتظر لكلية الحقوق في تمصير القانون ؟

ج . أعتقد ان كلية الحقوق تستطيع ان يكون لها شأن كبير في تمصير القانون . فأساندة القانون هم أكثر الناس اتصالاً بالفقهاء ، وإذا أريد تمصير القانون تمصيراً يقوم على اساس صحيح ، فلا بد ان يسبق هذا التمصير حركة فقهية ، يرفع لواءها أساندة القانون ، لينيروا الطريق امام العاملين ، ويكونوا طلائع هذه النهضة المباركة

واول ما يجب ان نفكر فيه لتمصير القانون هو بحث الاساس الذي يقوم عليه هذا التمصير . وينبغي ان نتلمس هذا الاساس فيما يتصل بنا أوثق الاتصال ، في تقاليدنا الماضية وفي تاريخنا القديم . فنحن اذا كنا عيالاً على الفقه اللاتيني في الوقت الحاضر ، فقد كنا أمة فقه قوي الأركان ، اطل امبراطورية ، من أضخم الامبراطوريات التي عرفها العالم ، قروناً عديدة . ولا يزال الفقه الاسلامي حتى اليوم ثابتاً في وجه الزمن ، لم تبل جدته ، ولم تخلق أديمته . فإنا علينا الا ان نرجع الى تراث اجدادنا ، فننفض التراب من فوقه ، ونقدم الى عالم القانون شيئاً من صنع أيدينا ، يكون حجراً جديداً في البناء الذي تتضافر جهود الأمم على إقامته

وينبغي أن نعرف أن الفقه الاسلامي لا يقل ، في إحكام الصياغة ولا في متانة الاسلوب ، عن الفقه الروماني . وهو يشتمل على نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي ولا في مجارة التطور عن أحدث النظريات القانونية التي يعرفها الغرب في العصر الحاضر

على انه ينبغي ايضاً أن نعرف أن هذا الفقه في حاجة الى جهود كبيرة ، حتى نبرزه للناس في ثوبه الجديد . وحركة احياء الفقه الاسلامي يجب أن تمر في نظري على مرحلتين : (المرحلة الاولى) مرحلة الدراسة والترتيب . وفي هذه المرحلة نتناول كتب الفقهاء في المذاهب المختلفة ، وندرسها دراسة عميقة ، ونرتبها على أسلوب يتفق مع طرائق البحث الفقهي التي اهتدى اليها فقهاء الغرب . (والمرحلة الثانية) مرحلة الاجتهاد والابتكار . وفي هذه المرحلة نخطو خطوة جريئة

بالفقه الاسلامي ، ففتتح باب الاجتهاد الذي أقفل منذ زمن طويل ، لغير ما سبب ، الا ركود الحركة الفكرية في الشرق ، والا هذا المحول الذي سقط في وهدته العالم العربي والفقه الاسلامي ، منذ وضعه مؤسسه ، مبني على فكرة الاجتهاد . فاقفال باب الاجتهاد في هذا الفقه انكار صريح للأسس التي بني عليها . وما دام الاجماع مصدراً معترفاً به ، وما دام هذا الاجماع يختلف باختلاف الامة والحيل ، فقد كفل الاجماع للفقه الاسلامي دوام التطور ومجاراة الزمن ويجب ، قبل ان أنهي من الاجابة على هذا السؤال ، أن أزيل وهماً قد يعلق بذهن القارئ . فليس في الرجوع الى الفقه الاسلامي شيء من الرجعية تحسب غير متفقة مع ما نحن في سبيله من الغاء الامتيازات الأجنبية . فقد يظن أن الرجوع الى هذا الفقه يقلق الاجانب ، إذ يعتقدون أننا نريد ان نأخذهم بأحكام يخالف أحكام قوانينهم الغربية . اذ الواقع كما قدمت أن الفقه الاسلامي اذا درس على النحو الذي أشرنا اليه أصبح نظاماً قانونياً لا يقل في الخصب وفي المتانة عن أحدث النظم الغربية المعروفة في الوقت الحاضر . ويكون دعامة من دعائم القانون المقارن . ولا أكون مبالغاً اذا قلت ان الدول الغربية نفسها تستمد منه أحكاماً قانونية تراها فيه أرقى منها في غيره من النظم الأخرى . ولما كان العلم لا وطن له ، والفقه علم ، فنحن لا نكون مغالين اذا توقعنا للفقه الاسلامي هذا المستقبل الزاهر

— ٢ —

س . هل جاء الوقت الذي يمكن فيه لمعهد العلوم القانونية في مصر أن يساهم في رقي الفقه العالمي اذا لم يكن قد ساهم في ذلك منذ الآن . وما هي الاحتمالات المتوقعة في هذه الناحية ؟

ج . أعتقد ان الوقت الحاضر صالح للمساهمة في رقي الفقه العالمي . وعلى كلية الحقوق ان تنشط لذلك ، وان تعد له ما استطاعت من عدة . وخير سبيل تسلكه هو الاشتراك في المؤتمرات العلمية ، والتقدم الى هذه المؤتمرات بأبحاث فقهية مبتكرة . وأفضل ان تتناول هذه الابحاث بنوع خاص مسائل من الفقه الاسلامي على النحو الذي قدمت في الاجابة على السؤال الاول وعندي أنه ينبغي ان توثق كلية الحقوق صلاتها العلمية بكلليات القانون في العالم العربي . ففي العواصم العربية ، كبغداد ودمشق ، معاهد للقانون تعيش منعزلة احداها عن الاخرى . وواجب على كلية الحقوق بمصر ان تتصل بهذه المعاهد اتصال تعاون ، وان تتبادل معها الاساتذة والطلبة على وجه يكفل للعالم العربي ان يسير في نهضته الفقهية متكاتفاً متسانداً . وأرى ان كسبنا الادبي من التوجه ناحية الشرق العربي لا يقل عما نكسبه من الاتجاه صوب الغرب

٣ - كلية الهندسة

ميريت الركنور عبر الرحمن الساوي بك
وكيل كلية الهندسة

تلقيت بالترحيب أسئلة المقتطف الغراء وأشكر لمجائكم العريقة في خدمة العلوم حرصها على تتبع تطور التعليم الهندسي في مصر ويسرني أن أحيي بالآتي :

— ١ —

فعن السؤال الأول وهو « ما هي أهم الابحاث الهندسية التي يقوم بها معهدكم الآن وهل شارك هذا المعهد في التطور الفني للأعمال المصرية خلال السنوات العشر الماضية وما هو مدى هذه المشاركة » أقول — ان الغرض من كلية الهندسة هو أولاً ترقية العلوم الفنية في مصر وثانياً تكوين مهندسين ومعماريين للمصالح والصناعة فسؤالكم ينصب على ما سمع من الأعمال في سبيل تحقيق غرض الكلية الأول . والحديث في ذلك يطول لذلك سأكتفي هذه المرة بذكر لمحة عن الابحاث التي قامت بها معامل الكلية وطبقت نتائجها فعلاً في مصر

(١) أبحاث معمل الري — الغرض منها الوصول الى أنسب شكل وأقصر طول لأعمال الري المختلفة من قناطر وخزانات وسحارات وهدارات الخ وذلك بعمل التجارب على نماذج لهذه الأعمال . وقد قام الاستاذ حسين حفي بسلسلة من هذه التجارب وازن فيها بين تصميمات مختلفة لفرش القناطر وقد أثبت أنه بتعديل في تصميم قناطر نجع حمادي كان يمكن الاكتفاء بفرش طوله ٦٠ متراً بدلاً من ١٠٦ متراً كما جرى ذلك التعديل ولا يخفى ان في ذلك وفراً لا يستهان به (ما يربو على المائة ألف جنيه) وقد نشرت هذه الابحاث بجمعية المهندسين الملكية في ابريل سنة ١٩٣٤ وناقشها مهندسو مصلحة الري . ومن بواعث السرور أن نجد نتائجها قد طبقت على التصميمات الجديدة للقناطر ونفذت فعلاً في كثير من الأعمال بعد ذلك التاريخ مثال ذلك قناطر قم الرياح العباسي الجديدة وقنطرة حوض الدجاوي وغيرها . كذلك قد عدل فرش سد جبل الأولياء بما يتفق ونتيجة هذه الابحاث

وقد حقق الاستاذ حفي ظاهرة دخول الهواء بالسحارات اذا وجد أمامها هدار وكان مدخلها غير مغمور بالمياه وهذا الهواء قد يسبب ضغطاً ينتج منه كسر السحارات وخاصة اذا تسرب اليها الهواء في مقادير كبيرة وزاد ضغطه داخلها عما تتحمله جدرانها ويقوم معمل الري من حين لآخر باجراء تجارب على نماذج لمختلف الأعمال ليتمكن الطلبة

من معرفة مدى تأثير المياه في قعر المجرى وجوانبه وتأثير منشآت الري في سير المياه وما يتبع ذلك من تيارات مختلفة وفقدان للمنسوب الخ وتقرير تلك الحقائق الى أذهانهم بطريقة عملية (٢) معمل البحوث الأساسيات والبحاث الحرسانة — الى عهد غير بعيد (منذ عشر سنوات تقريباً) لم يكن لعلم الأساسيات ضوابط غير القواعد التجريبية ويرجع الفضل في تركيز هذا العلم على أسس علمية الى جهود الاستاذ ترزاكي الذي أنشأ أول معمل لاختبار تربة الاساسيات بجامعة فينا. وقد كانت كلية الهندسة في طليعة السكليات التي أخذت عنه وعادته في هذا السبيل باكتشاف قواعد علمية يمكن تطبيقها على أساسيات التربة المصرية. فأنشأت منذ ثلاث سنوات معملاً لهذا الغرض. ولما كان هذا الموضوع لا يمكن حله باجراء أبحاث داخل المعمل فحسب بل لا بد للوصول الى نتائج علمية مع القيام بتجارب على مختلف المباني كبيرها وصغيرها فالبحت يصطدم بعقبة كاداء، فلا المهندسون ولا المقاولون داخل الحكومة أو خارجها براغبين في عمل من شأنه اظهار عيوب هذه المباني بالرغم من التأكيد بأن نتائج هذه الابحاث تحفظ سرية ولا يجوز افشاؤها لغير أصحاب المباني أنفسهم، وبالرغم من ان نتائج هذه الابحاث ذات قيمة عظيمة للمهندس والمقاول ومع ذلك فقد امكن مع الوقت تذليل تلك العقبات واصبح المعمل يقوم بتجارب على خمسة وعشرين مبنى من أكبر مباني القاهرة والاسكندرية وغيرها من مدن القطر المصري الكبرى ففي داخل المعمل تجري تجارب على نماذج من التربة المقام عليها المبنى من شأنها توجيهنا الى حساب مقدار هبوط هذا المبنى وكيفيته كنتيجة لاجهاد التربة وبذلك يمكن التنبؤ بمقدار تأثر البناء بهذا الهبوط أو عدم تأثره كلية بذلك. ثم يراقب المبنى ويقاس تحركه اثناء البناء وبعده وبمقابلة النتائج النظرية بالنتائج الفعلية يتسنى لنا ايجاد قواعد عامة للاساسيات في مصر. ويسرني ان أقرر ان هذا المعمل قد وفق في السنوات الثلاث الاخيرة الى ايجاد قواعد هامة في هذا الموضوع وتعد مصر الآن من الممالك العشر الاولى التي غنيت بمثل تلك الابحاث وقد نال عمل السكلية تقدير هيئة المؤتمر الدولي الاول لميكانيكا التربة وهندسة الاساسيات الذي عقد بأمریکا في الصيف الماضي ومثل السكلية فيه الدكتور سليم حنا رئيس هذا المعمل (٣) معمل الحرارة — يقوم هذا المعمل بعدة أبحاث في الالات ذات الاحتراق الداخلي وطرق اختبارها وقد عرضت على مؤتمر الميكانيكا الدولي المنعقد في كامبردج سنة ١٩٣٤ نتائج بحثي في هذا الموضوع (ص ١٤٤ من مجموعة أعمال المؤتمر)

وهناك كثير من الأبحاث العلمية التي وان كانت لم يتم تطبيقها بعد الا أن لها قيمتها والسكلية حريصة على تشجيعها لأن البحوث العلمية البحتة وان ظهرت في اول عهدها بعيدة كل البعد عن التطبيق العملي لا تلبث ان تصير من أكبر الأسس التي تبني عليها الاختراعات والأعمال الهندسية

الكبرى والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر بحث مكسويل في نظرية الكهرومغناطيسية الموجية وقد ظل هذا البحث لا يتفتح به عدة سنوات ولكنه أدى بعد ذلك الى اختراع الراديو وملحقاته من الصناعات التي تعد الآن في مقدمة الأعمال الهندسية . ويدخل في نطاق هذا النوع أبحاث الدكتور رلتن والدكتور كونستابل الأستاذين بالكلية ولعلي أتمكن في فرصة أخرى من اراد نبذ عن بعضها لقراء مجلتكم الغراء

— ٢ —

عن السؤال الثاني وهو: « يطالب الكثيرون بتمصير الدراسات الهندسية وصنع بعض نواحيها بصيغة خاصة تلائم ماضينا العملي وحاضرنا الفني فما هو رأيكم في ذلك » ؟
 أقول — لقد استقرت الطرق المتبعة في تكوين المهندسين بدليل ان المفاهيم والنظم المتبعة في جميع الممالك تكاد تكون واحدة ومع ذلك لا يفوت الكلية ان تكون الدراسة بها ملائمة لحاجات البلاد وذلك بتخصيص وقت أكبر وتوجيه عناية اعظم الى الدراسات التي تمت الى تلك الحاجات الخاصة بصله اما عن تدريس العلوم بلغة البلاد فهذا غرض سام لم تغفله الكلية وهي دائبة على تنفيذه تدريجياً بقدر المستطاع دون طفرة ولا ابطاء
 وقد تم ذلك في العلوم التي يسهل وجود مراجع عربية لها او التي لها مصطلحات عربية مثل علوم الري والمساحة والرياضة الابتدائية

وتعني الكلية بالناحية العملية من الدراسة سواء أكان ذلك في معاملها أم عن طريق الرحلات والزيارات لأهم الأعمال الهندسية ولا يغرب عن البال انه ليس من الميسور أن يعنى بهذه الناحية عناية تامة مع عدم تضحية شطر عظيم من الجانب النظري منها إلا اذا اطيئت مدة الدراسة اطالة كبيرة. وفي السكليات يجب ان توفي أولاً دراسة المبادئ النظرية الأساسية ثم يخصص ما يبقى بعد ذلك من الوقت لمتابعة التطبيقات العملية. وعندي ان الخبرة الهندسية تكتسب في ميدان العمل ولا تدرس في السكليات . فيجب ألا يتناول الجانب العملي في الجامعات والمدارس الفنية سوى ما كان منه مبنياً وموضحاً للمبادئ الأساسية السليمة
 وألمي أن يطرد تقديم الكلية بعد انضمامها للجامعة ، فما من شك في فوائد التعارف والارتباط وتبادل الثقافة التي يسهل تحقيقها باختلاط طلاب السكليات المختلفة

واعتقد انه اذا اقتصر تعليم المهندس على الناحية الفنية فحسب فانه يشعر عند ما يمارس الحياة العملية بنقص من الوجهة الثقافية العامة لذلك قد حتمت بعض الجامعات على طلبة الهندسة ان يحصلوا على بكالوريوس في الآداب قبل منحهم درجتهم في الهندسة لأن التثقيف العام من اكبر العوامل التي تعد الانسان في حياته للاضطلاع بأوفر قسط من المسؤوليات

٤ — كلية التجارة

مديرية محمد صحرى بك

عميد كلية التجارة

أَسْئَلُهُ الْمُهَنْظَفَ

- (١) ما هي أهم فروع الثقافة التي تقدمها كليتك لطلابها
- (٢) هل هناك صلة بين معهدكم وبين نظائره من المعاهد الغربية
- (٣) ما هي مدى المساهمة التي قدمتها كلية التجارة لرفع مستوى الاقتصاد في الامة المصرية
- (٤) ما هي الصورة المثالية التي ترجونها لكلية التجارة في عهدها الجامعي الجديد



الاجابة عن السؤال الاول

كان — ولا يزال — الغرض الاساسي من انشاء هذا المعهد اعداد فئة من الشبان تصلح في المستقبل لتحمل المسؤوليات في تنظيم المشروعات التجارية والاقتصادية في المجتمع المصري وإدارتها . لذلك كانت الثقافة التي تقدمها كلية التجارة لطلابها هي ثقافة عالية عميقة في فرعين من الدراسات : دراسة العلوم التجارية ، ودراسة العلوم الاقتصادية

وقد أخذت الكلية منذ العام الماضي تجري على سنة التخصص في هذين الفرعين ابتداء من السنة الثالثة الدراسية ، وأصبح هناك : (١) قسم العلوم التجارية : وهذا قوامه علم المحاسبة والمراجعة وعلم ادارة الاعمال ، وتشوبه دراسة بعض العلوم الاقتصادية والمالية والقانونية (٢) قسم العلوم الاقتصادية : وهذا قوامه علم الاقتصاد وعلم المالية العامة . وتشوبه دراسة بعض العلوم التجارية والسياسية والقانونية

واليك على سبيل المثال بياناً لبعض المواد التي يشتمل عليها منهج الدراسة في الكلية : علم الاقتصاد من الوجهتين النظرية والتطبيقية — علم المحاسبة — علم الاحصاء — علم تنظيم الاعمال — رياضة تجارية ومالية — جغرافيا اقتصادية — تاريخ اقتصادي — قانون تجاري —

اقتصاد اجتماعي — اقتصاد زراعي — نظام الصناعة الحديثة — اعمال المصارف — بورصات البضائع والاوراق المالية — صناعة وتجارة القطن — التأمين — الاعلان — علم نظريات الحكومة الخ

ولئن كان علم الاقتصاد يدرس ايضاً في مصر في كلية الحقوق كما هي الحال في فرنسا الا ان دراسته في كلية التجارة اوسع وأعمق ، كما انها مدعمة فيها بمجموعة من علوم اخرى تجارية وجغرافية وتاريخية تمت الى علم الاقتصاد بصلات قوية لذلك كانت كلية التجارة هي التي تعتبر بحق المعهد الاقتصادي في مصر ، ومنها وحدها يتخرج الاختصاصيون في العلوم الاقتصادية والتجارية وتعى كلية التجارة عناية خاصة باللغتين الانجليزية والفرنسية ، فتكثر من عدد حصصها في سني الدراسة الاربع وتقل من عدد الطلبة في فصولها الى أدنى حد وتجعل الامتحان فيهما اجبارياً في كافة السنين ، وفوق هذا فهناك طائفة كبيرة من المواد الفنية تدرس باللغتين الانجليزية والفرنسية

الاجابة عن السؤال الثاني

لا شك في ان هناك صلة وثيقة بين كلية التجارة في مصر وبعض المعاهد العلمية التي تناظرها في البلاد الغربية . وهذا ما تم عليه الحقائق الآتية :

(١) انه روعي في تنظيم كلية التجارة في مصر ان تكون على غرار مدرسة العلوم الاقتصادية في لندن ومدرسة العلوم السياسية في باريس ، وذلك مع ملاحظة احوال البيئة المصرية . وكثير من المواد التي تدرس في المعهدين الانجليزي والفرنسي لها مثيل في المعهد المصري

(٢) ان أعضاء هيئة التدريس في المعهد المصري تخرجوا جميعاً من الجامعات الاوربية وقضوا بين جذرائها سنين طويلة وتشبعوا بنظم المعاهد الغربية وطرائق التدريس فيها ونشروا رسائلهم وبحوثهم العلمية الاولى في ظل تلك المعاهد ، كما ان منهم من ظل محتفظاً بصلاته الشخصية ببعض أساتذته الأوربيين السابقين ، فيكاتبهم من وقت لاخر ويستطلع رأيهم في بعض بحوثه العلمية التي يعدها للحصول على درجة أعلى

(٣) ان جميع أعضاء هيئة التدريس في كلية التجارة ينتمون الى بعض الجمعيات الاوربية التي تعنى بشئون التعليم التجاري كالجمعية الدولية للتعليم التجاري ، وهم بوساطة الاجتماعات السنوية التي تعقدتها هذه الجمعية والمجلات والنشرات الدورية التي تصدرها يقفون على حركة التعليم التجاري وتطورها في بلدان العالم المختلفة

ان كلية التجارة في مصر قد اخذت منذ العام الماضي توفد بعض مدرسيها في اثناء العطلة
ببعثات صيفية الى بعض البلاد الاوربية للوقوف على التطورات الاخيرة في بعض العلوم والفنون
كفن الاعلان والبيع والتأمين ، وزيارة المعاهد والشركات الخاصة بذلك

الاجابة عن السؤال الثالث

تشعر الهيئة المشرفة على التعليم في كلية التجارة بأن في عنقها رسالة خطيرة يجب ان تؤديها على
احسن وجه ، هي ايجاد الكفاءة المصرية التي تستطيع ان تغلغل في دوائر المال والاعمال والشركات
فتمصرها بعد ان ظل الغنصر المصري مقصياً عنها زمناً طويلاً والتي تستطيع ان تفتح للاقتصاد
القومي ابواباً جديدة بما تؤسس من مشروعات وتنشئ من شركات . وان كلية التجارة لتفخر
اليوم بأن عدداً كبيراً من خريجيها يشغلون خلف الوظائف الفنية في بنك مصر وشركاته ، وان
على عواتقهم يقوم صرح هذه المؤسسة القومية العظيمة . ومثل ذلك يقال عن بنك التسليف وعن
المجالس الحسبية أخيراً

وقد كانت الوظائف الحكومية دائماً مغرية لخريجي كلية التجارة شأنهم في ذلك شأن خريجي
المعاهد الاخرى ، فتوظف منهم في وزارات الحكومة ومصالحها المختلفة عدد كبير ، ومنهم من يتولى
الآن أرقى الوظائف والدرجات . ولكن لما ان تكاثر عددهم في العهد الاخير وضاعت بهم سبل
التوظيف في الحكومة اخذوا يطرقون ابواب الشركات الاجنبية كما كان منظرأً ويلحون في
الطرق ، ومن ورائهم ادارة المعهد وبعض الرجال المسؤولين يؤيدونهم ويشدون ازهم ويوجهون
نظر مديري هذه الشركات الى واجههم نحو ابناء البلد الذين يعملون فيه ، وقد استطاع فريق من
الخريجين ان ينفذ الى بعض الوظائف في هذه الشركات ولكن عددهم في الجملة قليل . وهم هنا
يرتطمون بعقبين كبيرتين (الاولى) ان المرتبات التي تعرضها هذه الشركات على الخريجين
قليلة لا تتناسب مع درجتهم الجامعية وثقافتهم العالية . (الثانية) ان هذه الشركات تفضل استخدام
خريجي المدارس الاجنبية ولاسيما الفرنسية ، وذلك لان امساك الدفاتر في هذه الشركات
وأعمالها المختلفة لا تزال باللغة الاجنبية . على انه ليس ثمة شك في ان محصول خريج كلية التجارة
في بعض اللغات الاجنبية كبير ولكنه لا يضارع في ذلك خريج المدارس الفرنسية الذي يتلقى
علومه كلها باللغة الفرنسية والذي تعلمها منذ نعومة اظفاره ويتحدث بها في بيتته الخاصة . وعنده
ان الوقت قد حان لكي تعدل هذه الشركات عن مخاطبة المصريين والتعامل معهم بلغة غير لغتهم

القومية مما ليس له مثيل في اي بلد مستقل آخر ، وللحكومة في هذا الميدان مجال واسع للتدخل كما ان شيئاً من الاعلان عن قيمة الدراسة في معهدنا ورفي مستواه العلمي قد يكون كفيلاً باقناع هذه الشركات بان تدفع الى الخريجين اجوراً مقابل ما سوف يؤدونه لها من خدمات جليلة ونحن نعتقد اعتقاداً راسخاً أنه متى تقدّمت السنون واكتسب خريجو كلية التجارة من التجارب قسطاً كافياً — ومعظمهم لا يزال في مسهل حياته العلمية — فسوف يظهر منهم رجال أقوياء يقدمون على انشاء المشروعات الاقتصادية الخطيرة التي تقتصر اليها البلاد ، ويوجهون اقتصادياتها في الاتجاه الصحيح ، ويكونون هم قادة الحركة الاقتصادية في مصر

الاجابة عن السؤال الرابع

نرجو لكلية التجارة في عهدنا الجامعي اطراد التقدم والرفي ، وان تكون بحق في الشرق كله أكبر معهد للدراسات التجارية والاقتصادية رد مناهله من جميع الاقطار الشرقية الشبان الأقوياء الذين يريدون ان يزجوا بأنفسهم في ميادين الاعمال الاقتصادية المنتجة فينافسون وزاحمون وينجحون

ونرجو من الناحية العلمية ان يخطط المعهد خطوات جديدة في البحث والتأليف واخراج أدق البحوث في الموضوعات التجارية والاقتصادية ، وتنظيم المحاضرات العامة لنشر الثقافة الاقتصادية بين الجمهور

ومن الناحية العملية نرجو ان يزيد الاتصال بين رجال التعليم في هذا المعهد وبين رجال الاعمال البارزين ، فيكون هؤلاء ممثلون في مجلس الكلية يمدونه بأرائهم العملية فيما يعالج من مسائل وما يرسم من خطط دراسية ، ويوجهون نظره بالاخص الى انواع الدراسات التي منهم في الحياة العملية اكثر من سواها والى الصفات والمساكن التي يجب بالاخص تسميتها في طالب التجارة ، وان يتفضلوا من وقت الى آخر بالقاء بعض المحاضرات على طلبة المعهد . ويقابل ذلك من الجهة الاخرى ان يكون من اساتذة المعهد اعضاء في اللجان الفنية التي تؤلف في مختلف الوزارات لمعالجة بعض شؤون الاقتصاد القومي ، كما يكون منهم مستشارون فنيون لبعض الشركات ومراقبون لحساباتها واطرافها في مجالس ادارتها ، وبذلك يستطيعون ان يكونوا داعمي الاتصال بالحياة العملية والى يشرحو آراءهم النظرية في ظل التجارب الشخصية والاحوال الاقتصادية المحلية ومن ثم يرتفع مستوى دروسهم ويزيد نفعها لطلابهم

٥ - كلية الزراعة

مربي محمد توفيق الحفناوي بك

عميد كلية الزراعة

— ١ —

كلية الزراعة معهد علمي بدأ صغيراً وسار قوانين النمو على مرور الزمن فتناولته يد الإصلاح والتعمير والتوسع وشملت روح التجديد ولا يزال هذا المعهد متابعاً نموه ولما يبلغ الغرض الذي تتوخاه له بعد

ذلك أن أي معهد علمي يبدأ حياته متواضعاً إثر فكرة طارئة أو إحساس عميق بضرورته . فان كان وليد الفكرة الطارئة أو البحث السطحي يغلب فيه أن يولد ميتاً . اما ان كان إنشائه نتيجة شعور صحيح بأن وجوده لا بد منه ليسد نقصاً في إحدى نواحي النشاط العام للبلاد فانه لا يلبث أن يسوِّغ وجوده وأن يقوم كالبنيان الراسخ فوق أساس ثابت الدائم وأن تدب فيه روح الحياة فيكبر بتوالي الايام ويزيد الاقبال عليه والانهال من موره وقد كان هذا شأن معهدنا إذ بدأ كمدرسة زراعية أنشأها المغفور له محمد علي باشا وجلب لها الاختصاصيين من الأجانب بقصد إدخال الأساليب الحديثة في الزراعة فواجهت هذه المدرسة حملات قوية من دعاة الرجعية وقد إحتقت من الوجود مدةً وأخيراً غلبت هذه الحملات واستقرت بالحيزة متواضعة يقصدها كثيرون من الاجانب لدراسة الزراعة المصرية . على ان هذه المدرسة لم تلبث ان سوِّغت وجودها بما صادفت من النجاح في تجاربها الزراعية التي شاركت فيها الجمعية الزراعية وكانت تصدر باسم الهيئتين مجلة شهرية كما ان خريجي المدرسة المذكورة إنتشروا في مختلف الأوساط الزراعية فأفادوا فائدة كبرى

لهذا اتجهت أنظار أولي الامر الى العناية بهذه المدرسة والرتقي بمستوى التعليم فيها فكان من ذلك أن أصبحت في سنة ١٩١١ مدرسة عالية

وتابع المعهد بعد ذلك سيره حثيثاً متلمساً وسائل النهوض ولكن لم يحاول خريجه أن يوجهوا أنظارهم الى ما وراء أفق الوظائف والتوظيف . ولم يكن في ذلك عيب أو غشاضة بل كان أمراً طبيعياً في ذلك الوقت إذ تعددت المصالح الزراعية الحكومية كصلحة الاملاك ووزارة

الاوراق وديوان الخاصة الملكية فضلاً عن مصلحة الزراعة نفسها التي أصبحت وزارة منذ سنة ١٩١٣ لما للعمل التي تقوم بها من الشأن الكبير في خدمة البلاد . وكانت الوظائف الزراعية شاغرة بهذه المصالح تستنفد خريجي المدرسة عاماً بعد عام ، بل كثيراً ما كانت تزيد عن عددهم

على أنه عقب استقرار الامور بعد الحرب العالمية نشط معهدنا من عقاله ودبت فيه روح جديدة تمشياً مع النهضة التي سرت في شرايين الحياة في مصر . وكان من نواحي هذا النشاط إيفاد البعث للخارج حتى يقوم بالتدريس فيما بعد إخصائون في مختلف المواد التي تدرس بالمدرسة وقد عاد كثير من أعضاء هذه البعث وأخذوا بالتدريس وبالبحث في جميع الفروع الزراعية وقامت المدرسة في الوقت نفسه بالاستعدادات المناسبة لقبول عدد من الطلبة أكبر مما كانت تقبله من قبل فكان ذلك عهد تجديد في التعليم الزراعي العالي إقترن في نفس الوقت بشدة إقبال الاهالي على ادخال أبنائهم المدرسة اذ أحسوا بفائدة التعليم بها

وعلى الرغم من أنه لم تقض عدة اعوام بعد على بعث روح البحث والاستقراء في المدرسة فان ما تم في هذا الصدد يدعو الى الفخر والايان برسالة هذا المعهد الكريم وكان بعد ذلك أن خطت المدرسة خطوة أخرى إذ ألحقت بالجامعة المصرية وأصبحت « كلية الزراعة » في العام الماضي . فكان هذا إقراراً بعظم نفع هذا المعهد وحافزاً لتنشيط البحث العلمي

— ٢ —

فرسالة الجامعة هي رسالة البحث عن الحقيقة المجردة من كل غرض أو قصد . والآن يقع على عاتق كلية الزراعة نصيبها من هذا البحث وذلك في حدود مهمتها وهي نشر الثقافة الزراعية في بلد أخذت فيه الزراعة المكان الأول منذ أقدم عصور التاريخ على أن ما قامت به الكلية من الابحاث في الفترة الوجيزة التي ذكرناها لم تغفل فيها الناحية العلمية التطبيقية بل كانت مصاحبة المزارع المصري رائدها ويقينها . فتسم الزراعة بالكلية يقوم بعمل تجارب على المحاصيل المختلفة بغرض التوصل لمعرفة أصالح طرق الزراعة أو أنسب مقدار من التقاوي أو أوفق مسافة تزرع فيها النباتات للحصول على أكبر محصول من غلة الارض . كما أنه من آن لاخر يجرب كثيراً من المحاصيل التي لم تدخل بعد في عداد المحاصيل المصرية وذلك لمعرفة درجة صلاحها في مصر

ومجاراة للتوسع الحالي في غرس الحدائق وللرغبة البادية في الارتفاع بمركز مصر الجغرافي وإتصالها بالأسواق الأوربية كبلاذ مُصدرة لأنواع الفواكه والخضروات المختلفة فإن قسم فلاحة البساتين التابع للكلية يقوم بتجارب عن إدخالها أصناف جديدة من الفاكهة. كما أنه يجرب زراعة بعض النباتات الاقتصادية والطبية لدراسة أوفق الطرق وأحسن المواعيد للزراعة ومقدار صلاحها لمصر

ولما كانت البلاد تفقد سنوياً جزءاً من محاصيلها لفتك الأمراض بها فإن قسم النبات بالكلية يبحث كثيراً عن ظروف الإصابة التي تسببها بعض الفطريات وقد تمكن فعلاً من تسجيل كثير من الحقائق عن بعضها

وللعلاقة الوثيقة التي للبكتريا بمحاصيل الحقل والحيوانات الزراعية بل وصحة الانسان أيضاً فإن قسم البكتريا يقوم بفحص الالبان المعروضة للبيع في الأسواق ليعين مقدار نظافتها وعدد الميكروبات التي بها ونوع هذه الميكروبات. كما أنه يبحث عن أنجع الوسائل التي تؤدي الى نظافة اللبن وقد جرب فعلاً لهذا الغرض طريقة الحليب الميكانيكي

ومن المعروف أن للكيمياء تطبيق واسع في الزراعة ولذا تعددت نواحي دراستها في الكلية فهناك تجارب تقوم على بحث موضوع التسميد وعلاقته بالتربة المصرية. وهناك تجارب أخرى عن مادة النيكوتين التي اتضح فائدتها في مقاومة الحشرات وأمراض النباتات. وهناك تجارب أيضاً عن تحليل بعض المواد التي تستعمل في غذاء الحيوانات لمعرفة قيمتها الغذائية ومقدرة الحيوانات المصرية على تمثيلها

ولما كانت البلاد تستورد سنوياً مقداراً كبيراً من الجبن وسائر منتجات الالبان رأت الكلية دراسة هذا الموضوع بغرض إدخال عناصر جديدة في صناعة الالبان بمصر ولذا قام قسم الالبان بتجارب عن صناعة بعض أنواع الجبن التي تستورد من الخارج بكثرة مثل الجبن الرومي وصادف نجاحاً في ذلك. على أن القسم المذكور يصنع أنواعاً أخرى من الجبن الاوربي منذ مدة طويلة وذلك، مثل النوع المسمى كومومبير أو القشدر وغيرها وقد صادف بعض هذه الاصناف إقبالاً في الأوساط المصرية

وهناك كثير من الظروف يصعب فيها تصريف الفواكه والخضروات وتلفاً لما ينشأ عن ذلك من خسائر إهتمت الكلية بدراسة الطرق المختلفة لإيجاد منتجات متنوعة وفعلاً قام قسم الصناعات الزراعية ببحث طرق الحفظ والتعبئة وإستخراج الشراب وتقطير الزيوت العطرية ونظراً لما عليه حالة الحيوانات المصرية من التأخر والخلط فإن قسم تربية الحيوان بالكلية يعمل بجدي على تحسين هذه الحيوانات ورفع مستوى الانتاج فيها. ولذا وجه الاهتمام الى تكوين

سلالة خاصة بانتاج اللبن من الماشية الدمياطية والى تكوين سلالة نموذجية للعمل من الماشية البلدية والى رفع مستوى الادرار ونسبة الدهن في لبن الجاموس . ويعمل القسم أيضاً على تكوين سلالات ممتازة من الأغنام الاوسيمي ومن انواع الدواجن المختلفة . وقد صادف نجاحاً في ذلك . وسيأتي يوم قريب يمكن لهذا القسم ان يوزع حيوانات جيدة للتربية . كما انه وجه عناية خاصة لادخال بعض انواع الماشية الأجنبية المعروفة بمجودتها في اللحم واللبن ولا زال يواصل تجاربه فيها حتى يصل الى نتائج ثابتة قد يكون لها أثر في الإنتاج الحيواني في المستقبل

وتعمل الكلية على نشر الابحاث التي تم دراستها في مختلف الأقسام وذلك في المجالات الزراعية او التي لها علاقة بالابحاث للمنشورة . وقد نشرت مجلة الفلاحة التي تصدرها جمعية خريجي الكلية بعض هذه الأبحاث . منها بحث عن زراعة فول السويا . وبحث آخر عن فواكه مستوردة من الخارج . وبحث عن الماشية والعناية بانتاجها . وبحث عن البرسيم كغذاء لماشية اللبن في مصر . وآخر عن تأثير تربية الأقارب في الدجاج . وبحث عن تأثير الفيتامينات في درجة نمو « الكتاكيت » وغير ذلك من الموضوعات الاخرى

هذا ويسرني أن أنوه بالمجهود الذي يقوم به كثير من أساتذة الكلية فانهم لا يقصرون مهمتهم على التدريس ونشر الابحاث الجزئية فقط بل يقومون أيضاً بحركة تأليف في موضوعات اختصاصهم ولا شك أن هذا عمل له قيمته لانه ينقل الثقافة الزراعية من وسط الكلية المحدود الى وسط أوسع وأعم كثيراً وتبين فائدة هذا العمل اذا عرفنا ان المؤلفات الزراعية التي وضعت باللغة العربية قليلة جداً تكاد تعد على الاصابع . وقد صدر فعلاً من هذه المؤلفات كتاب الحضررات ، وكتاب الفواكه وانشاء مشاتها وبساتينها ، وكتاب تاريخ فلاحة البساتين ، وكتاب حدائق الفاكهة ، وكتاب حدائق الازهار ، وكتاب الزراعة المصرية ، وكتاب النبات ، وكتاب تقسيم النباتات ، وكتاب علم النبات ، وكتاب الكيمياء الزراعية ، وكتاب المساحة ، وكتاب علم الحشرات الاقتصادي ، وهناك عدة مؤلفات أخرى على وشك الظهور منها كتاب الوراثة ، وكتاب اصلاح الاراضي الزراعية ، وكتاب الخواص الطبيعية للأراضي الزراعية ، وكتاب مساحة الاراضي المصرية

وكثير من أقسام الكلية التي تهتم بجمهور المزارعين يفتح أبوابه لهم ويرحب بهم ويتصل باستمرار لمن يرغب الاسترشاد به او زيارته او التمرين به وخصوصاً قسمي الألبان وتربية الحيوان وقد بدأ قسم الصناعات الزراعية يحدو حذوها أيضاً

وتدعى الكلية للأشتراك في المعارض الزراعية سواء كانت خاصة او عامة وتبلي الدعوة بعرض ما تقدمه لهذه المعارض او بحضور التحكم وتوزيع الجوائز وقد كان للكلية مكان بارز في المعرض الزراعي الصناعي العام سنة ١٩٣١ غير انها رأت ألا تتقدم بمعارضات في معرض سنة

١٩٣٦ رغبة منها في إفساح المجال امام المباريات الشخصية ولذا اقتضت الكلية على الاشتراك في هيئات التحكيم في المعرض المذكور وقد أقيم في العام الماضي المؤتمر الزراعي المصري الأول فساهم فيه كثير من اساتذة الكلية . على انه اذا نظرنا نظرة واسعة الى تنظيم هذا المؤتمر ومباحثه وأعماله نرى انه قام على اكتاف رجال الكلية سواء في ذلك خريجيها الذين يعملون خارجها ومدرسيها الحاليين
هذه هي اعمال الكلية في ماضيها . صفحات نثار ومجد يتلو بعضها البعض

— ٣ —

على ان امام الكلية الشيء الكثير قبل ان تتم رسالتها كاملة فليس للعلم حد يقف لديه وقد وضعنا نصب أعيننا تقدّم الزراعة في هذا البلد وسنقوم بنصيبنا كاملاً . وربما قال قائل أن التوسع الحالي في كلية الزراعة أصله ومنشؤه إزدياد عدد الطلبة المتقدمين للدخول فيها ممن لا يجدون محلاً في الكليات الاخرى . وليس أبعد من هذا الفرض عن الحقيقة إذ الواقع أن البلاد تقدر فائدة التعليم الزراعي العالي حق قدره وتضعه في مركزه اللائق به رغبة منها في حفظ ثروة البلاد وفي زيادة مواردها وتعدد محاصيلها وليس عندي دليل على صحة ما أقول أقطع وأقوى من ان الحكومة تفكر تفكيراً جدياً في انشاء كلية ثانية للزراعة بل أنها وعدت فعلاً بذلك في خطاب العرش الاخير ولقد إزداد عدد الطلبة الذين يتخرجون الآن عاماً بعد عام زيادة تفوق حاجة الوظائف بمراحل كبيرة وعندي أن هذه حركة مباركة لانها ستلبي بخير مجي معهدنا الى العمل الحر والى معاركة الحياة العملية ولقد عنيت الحكومة بأمرهم فعلاً وفكرت في مستقبلهم وفي الانتفاع بتعليمهم فوضعت مشروعاً لاقطاعهم اراضي يستغلونها بمساعدتها المالية حتى تصبح ملكاً لهم بعد مدة من الزمن وهذا المشروع في حد ذاته محك كبير لقدرة خريجي الكلية على ابراز معلوماتهم وتبرير وجودهم وتستفيد منه الدولة فائدة كبرى بتعمير مناطق لم تكن عامرة وجباية ضرائب نشعر جميعاً بشدة الحاجة اليها في عهدنا السياسي الجديد كما ان الخريجين سيفيدون منه مصدراً لحياتهم من خيرة المصادر المعروفة في البلاد ألا وهو ملكية الاراضي وسيفيدون منه أدبياً كثيراً من صفات الرجولة كالجلد على مكافحة الحياة حلوها ومرها ووضع الامور في وضعها الصحيح فشتان بين حياة الوظيفة وحياة العمل الحر كما ان الشعب سيفيد منه زيادة في ايراد كثير من أفرادہ وعائلاته وسيجد المزارعون امامهم في الاقطاعات المشار اليها قدوة حسنة تجمع بين العلم والعمل وتقف امامهم مرآة لروح العصر الحديث وروح الانتفاع بجميع عناصر الطبيعة في الزراعة

٦ - جامعة القاهرة الاميركية

مديرت الدكتور رسل هولت

عميد كلية الآداب فيها

قد يستغرب القراء لاول وهلة ان يفسح المجال لكلمة معهد اهلي صغير ، بين اقوال عمداء كليات الجامعة المصرية العظيمة . ولكن وجه الغرابة يزول اذا تذكرنا ان عمل المعهد التعليمي الاهلي في جميع انحاء العالم ، ليس منافسة معاهد الحكومة بل تكميل عملها . فللمعاهد التعليمية الاهلية لا تستطيع ان تحل محل الحكومة في تربية الشعب لان التربية في المقام الاول من شأن الحكومة . حتى في الولايات المتحدة الاميركية ، حيث تكثر الجامعات والمدارس الاهلية نجد ان معاهد الحكومة هي اساس التربية العامة . الا ان المدرسة الاهلية في العالم قاطبة ، تقوم بعمل حيوي ، تستمد حيويته من طبيعة تكوينها ، وهو عمل قد يتعذر القيام به في مدارس الحكومات . ففي انكلترا والولايات المتحدة الاميركية نجد جامعات اكسفورد وكمبريدج وهارفرد وييل وكولومبيا تتحمل من تبعات الزعامة التعليمية قسطاً اكبر من كثير من جامعات الدولة . وقد اتجهت جامعة القاهرة الاميركية منذ انشائها الى تحديد خطتها حتى لا تنافس مدارس الحكومة من جهة ، وليكون نوع التربية التي ينالها طلابها ذا ميزة خاصة ، ولذلك وضعنا نصب عيوننا ثلاثة اهداف

اولاً — ان نجرب التجارب بأساليب جديدة من التربية ، رأينا فيها فائدة لمصر وللبلدان العربية اللغة في الشرق الاذن

ثانياً — طبع طلابها بطابع حرية الفكر وحرية البحث والنقد الانشائي

ثالثاً — طبع طلابها بطابع الشخصية الممتازة والخلق العالي

ضروب جديدة من التربية — عنيت المدارس الاهلية في مختلف الاقطار باستحداث اساليب جديدة من التربية وتجربة التجارب بها . والواقع ان مدارس الحكومة يصعب عليها هذا التجريب . لان الحكومة تقضل في الغالب ان تحافظ على الحالة الراهنة . واذا رأت ان تحدث تغييراً كان التغيير بطيئاً ، وهي بطبعها تنفر من التجربة ، ولعل ابلغ الامثلة على ذلك ما تم في المانيا قبيل الحرب الكبرى . فالمدارس الاهلية ، التي من مستوى المدارس الثانوية ، منحت حرية واسعة النطاق في تجربة اساليب جديدة من التعايم . فأسفرت التجربة عن المدارس اليومية في الريف

وقد عنيت جامعة القاهرة الاميركية بتجربة سلسلة من التجارب ، في كلية الآداب فيها ، تتعلق بمنهج الدراسة ، والتمرين الفردي في معامل البحث ، والدراسة القائمة على مراجعة المؤلفات في المكتبة ، وانشاء حلقات للبحث والمناقشة ، وتعيين مستشار من مجلس ادارة الجامعة لكل فصل من الفصول ، والامتحان الرياضي الاجباري ، والتربية الرياضية الاجبارية ، والتعليم الجنسي وغيرها

وقد أسفرت هذه التجارب ، عن نتيجة نفخر بها ، وهي على قول طلابنا القدماء ومتخرجينا ومفتشي الوزارة ، قد انشأت جوًّا خاصًا بنا

ولم نكتف بتجربة التجارب بأساليب جديدة من التربية ، بل سعينا الى انشاء فصول جديدة تدرس فيها موضوعات تهتم ابناء الشرق الادنى خاصة . فلطلاب الذين يتجهون الى الفوز برتبة بكالوريوس في الفنون والعلوم ، أعدنا برنامجاً في العلوم الاجتماعية ، يشتمل على علم النفس الحديث ، والحضارة المعاصرة ، وعلمي الاجتماع والاقتصاد ، وعلم السياسة ، والنظم السياسية المقابلة ، وتاريخ الشرق الادنى ، ومشكلاته المعاصرة . بل لعل أهم ما عنيت جامعتنا باستحداثه في هذا الصدد ، قسم الصحافة ، الذي يعد طلابه أعداداً نظرياً وعملياً للاشتغال بالصحافة العربية ، وذلك لاننا نعتقد ان صحافة أمة قوة من القوى العاملة على تنقيف البلاد ورفع مستواها العقلي . ولما كانت المعاهد العلمية في الولايات المتحدة الاميركية ، قد قطعت شوطاً بعيداً في تنظيم كليات الصحافة كان من الطبيعي ان تقدم جامعتنا على تجربة من هذا القبيل . فالطالب في قسم الصحافة ، يتلقى العلوم العامة في العلم والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والنظم السياسية ، وعلاوة على ذلك يتلقى دروساً نظرية وعملية في تنظيم أعمال الصحف ، وقواعد تحريرها من جميع الوجوه ، ومن بواعث سرورنا أننا ننتظر حضور الدكتور ليل سينسر عميد كلية الصحافة في جامعة سيراكيوس الاميركية ، في فبراير القادم ليلقي سلسلتين من المحاضرات في موضوعات صحفية ، وليشارك معنا بخبرته الواسعة كصحافي وعميد ، في تنظيم قسمنا الجديد

وقد جربت جامعتنا كذلك تجربة جديدة في تربية المعلمين . فدرسوا المدارس التي في القاهرة يستطيعون ، ان يتلقوا في جامعتنا دروساً في فنون التربية والتعليم ، بعد الظهور ، وهذا يعدُّهم عند اتمام الدراسة واجتياز الامتحان للفوز برتبة بكالوريوس في التربية

وهذا القسم يديره أساتذة متضلعون من علوم التربية الحديثة كالفلسفة التربوية ، وعلم النفس التربوي ، وادارة الفصول ، والاحصاءات التربوية ، والتربية المقابلة وغيرها



سميراميس مسرحية

بقلم اديب فرنسا الكبير

بول فاليري

في ثلاثة فصول. موسيقى «ارتور هونجار»
مثلت أولاً على مسرح «الاورا» في
باريس ١١ مارس سنة ١٩٣٤

« حقوق النقل محفوظة للمترجم
بإذن المؤلف »

ومن يجهل اديب فرنسا الاكبر «بول فاليري»
الشاعر الناثر الذي احدثت نظرياته الفنية تحولاً
كبيراً في تيارات الادب . فهو عقل قبل كل شيء
لا يرى في خضوع الشعر لهذا العقل غضاضة ، وهو
مهندس يبني افكاره بناء مهندسياً ، فلا تزداد الا
روعة ، لا يرى ان عمل الشاعر مقتصر على
التعبير عن خلجات فؤاده وخطرات نفسه وانما هم
ان يعبر عن الافكار و يرى في شعره عاطفة
صافية تنزع الى ما وراء الطبيعة وهولاً يأخذ بيدنا
ليقفنا ازاء عاطفة انسان فانية ، وانما يرفعنا لنقف
ازاء روح الوجود

والذين تلووا «المقبرة البحرية» والورق الفني
يلذ لهم تفكير هذا الشاعر الرمزي الذي يخلقه
العقل للعقل . وقد آثرنا ترجمة هذه المسرحية
للقراء ليروا لوناً جديداً من الادب الجديد
تتعاقد فيه الفنون الجميلة كلها من رسم وموسيقى
وشعر ولحن تتضافر جميعاً وتتعاون على رفع الانسان
الى عالم يخلقه التفكير العميق . وما سميرواميس الا
قطعة سامية من فلسفة الشرق التي يلتقي فيها كل شيء
متآلفاً حتى المتناقضات « خليل هندواي »

الشخصيات

سميراميس الأسير اربعة منجمين

ملوك . اسرى . كهان ديركتو . وصيفات الملكة . جنود . خدم

الزخرفة — زخرفة المكان وأردية من فيه تمثل روح الآثار القديمة ، يمازجها
شيء من الروعة والزينة الفخمة

بابل

== العجلة ==

زخرفة الفصل : هنالك بهوٌ واسع ، وأبواب صماء ، ترى عن الشمال صنماً ضخماً للربّة « ديكروتو » على الهيئة الوحشية . وجهها وجه امرأة وبدنها بدن سمكة . وترى عن اليمين — أزاء الصنم — عرشاً منصوباً على هيئة ديوان تتألف أجزاؤه من أسراب حمام ذهبيّة ، وعلى جوانب الصنم منارات ومصابيح مختلفة تُنار في أوقاتها

يرتفع الستار فاذا المشهد مظلم رائع ، واذا بالموسيقى تعزف رويداً رويداً . وهنالك بعض اشخاص من عيال القصر يعملون وقد يتخلل هذا المشهد ضرب من الرقص الايقاعي مدى لحظات قصيرة

دخول الاسرى : تتعالى في خارج المشهد لجة تمزج بها اصوات الا بواق ، فيتحرك الاشخاص فجأة ، وتفتح الابواب بشدّة فيدخل الملوك الاسرى مصنفين بالاعلال في سبيل ضيق يحيط به الجنود ، يجثون ويركعون وترى سيماء الخزي عليهم ثم يشعل السكون ويطول الانتظار

دخول الملكة : ها هنا تخلق الموسيقى جوّاً جديداً مخفوفاً بالقوة والكبرياء وتبدو الملكة على عجلة خفيفة عليها جث المحاربين وهاماتهم المبتورة . يجر هذه العجلة ثمانية ملوك اسرى مصنفين بسلاسل من ذهب . تطل سميراميس من قلب عجائتها السوداء ، بيدها مجن ذهبي وعلى كتفها نشرت حمام من ذهب اجنحتها . وعلى وجهها خوذة تحجب جله . وهي مستوية على حامية عاجية مبسوطة على هيئة سمكة . تأخذ المدق بيدٍ . وبالأخرى تتناول قوسها فتسكن كل حركة بدخولها وتصبح اللحظة لحظة احتفال

الملوك المقهورون : الويل لنا ، الويل لنا

والخزي لا لهتنا الضعفاء !

يا للجد الخادع !

يا للضحايا المسفوح دمها باطلاً !

— ١ —

تحل حزم الملوك ويُقدّمونهم بغلظة ليمرغوا على درجات العرش . ويقدم الجنود منقذين على بعض الأسرى حتى يكون من هذه الأجساد الذليلة بساط مفروش من اليمين الى الشمال والجواري منطرحات حول العرش

— ٢ —

تهبط الملكة من مجلّتها في جلالٍ وتتجه نحو عرشها واطئة أجساد الأسرى

— ٣ —

تجرد الجواري الملكة من سلاحها وتكسوها زيتها الملكية وعلى العرش تسطم الانوار ثم تنزل الجاليات الى العرش وهنَّ يؤلفن حلقة دائرة فيقدمن المرأة والتاج وغيرها ، وخلال ذلك توقع الموسيقى ألحاناً تلائم هذا المشهد . تنتهي سميراميس من زيتها وتقع كالنائمة ويدها صولجانها

— ٤ —

الكهان والجنود يرقصون والعييد يدخلون حاملين أوثان المغلوبين على أمرهم ، على هيئة مسوخ مختلفة لها وجوه حيوانات ، فتلقى أمام الربة « ديكروتو » فعزف الموسيقى لحناً مفعجاً ، يمزج ببعض حركات غريبة الشكل ، ثم تشير الملكة فتقطع هذه الأوثان وتحطم تحطياً

— ٥ —

روعت هذه اللعجة احد الملوك الأسرى فرفع رأسه ونظر الى هذا المشهد وجلاً . لمحتة الملكة وخفت اليه رافعة صولجانها . حدثت في ملامحه فهمٌ احد الجلاّدين بقطع عنقه ، فخت برأسها على ذراعيه فسكن جأش الجنود وهي قد سباها جمال الأسير فدغدغت خصائل شعره ورفعت رأسه بها وتأملته طويلاً ثم ألقتة يخيّو على ركبتيه وهي لا تزال قابضة على ناصيته . وأعطت الحراس صولجانها فحملوه راكبين خاشعين . أمرت سميراميس الأسير بأن ينهض وغداً شعره في يدها . وما زالت تشد به حتى انتجت به ناحية وتركتة جامداً كالمتوه لا يتحرّك . أخذت تمتحنه

بانتباه دقيق ، تجس ذراعيه وكتفيه وتأمره بأن يدور حولها ذات اليمين وذات الشمال ، وينتهي امتحانها بابتسامة رضا فيها معاني الحشية . فتحل اذ ذاك قيود اسيرها فيقف مكتوف اليدين واجماً ساهماً ، لا يدري ما يصنع به . وهنا تخمد الانوار وتطفئ المصابيح ، ويغشى غرفة الملكة ظلام لا يبيِّن الناظر ما وراءه الا بعناء يذمها ساحة المشهد الاول تسطع بضوء خاص . تهوي الملكة برفق وحنان على قدمي أسيرها ، تمرغ وجهها على ركبتيه وترنو اليه بحب وگرام . وهو قد ذهب عنه الخوف وثاب اليه هدوءه وأخذ يمر يده على رأسها وعلى فيه ترسم ضحكة صامته ، والستار أخذ في الهبوط

وهو ستار شفاف رقيق رسمت على ملأته المطرزة طيور مختلفة ، ترى عن يساره حراس القصر مندججين بالسلاح وهم بزجون امامهم الملوك المصفدين ، وترى حملة الطعام والشراب والثمار والعطور فوق الحامر يخفون الى حيث اتجى الحيبان ، وخلال ذلك يقوم الهارجون بضروب من الرقص . ثم يرتش الستار قليلاً قليلاً ثم ينهك كما نما النسيم اراحه فيهدأ الهارجون عن رقصهم ويتوارون وراء الاستار

الفصل الثامن

نحن في اعماق الفصل ، وعلى جوانبه ستور شفافة مزخرفة ، يرتفع الستار عن جناح من الحدائق المعلقة . . . فيه سرير واسع تتعالى مسانده على شكل هرم . . . والليل فد لف الكون ، وفي الجناح شمعدان ضخم يشتعل بالعطور والطيوب وحوله مائدة مشحونة طعاماً وثماراً معلقة بسلاسل غليظة يسهل تناولها

في قلب هذا الليل الطافح حبساً العابق هوئى ترى الحبيبين على السرير وقد تشابكت منهما الايدي ، وليس على بدن سميрамيس الا حليها . واسيرها يرتدي ثوباً ارجوانياً . . . يتعانقان طويلاً

الجوقة : سميрамيس ، ايتها الحمامة الحياراة

ها انت ذاهلة في الحب

بدنك عذب بين يدي العقاب الخالد

ونفسك الكبيرة تنهاوى على الملذات

سولو : في قلب الليل
 ان نحن الا أنت وأنا .
 لا ملك ولا ملكة
 في قلب الليل .
 في قلب الليل
 فك هو في .
 انما نحن شيء واحد
 في قلب الليل .
 انما نحن شيء واحد
 لا ملك ولا ملكة
 وفرح واحد
 في قلب الليل . . .

— ١ —

يستيقظ الرجل ويتظاهر بالهرب من الملكة فتبعه زحفاً على ركبتيها بين المساند .
 يسقط ويتظاهر بالغوم فترنو اليه بعطف وتلم عينيهِ وتجعل تلمسه لمساً رقيقاً ، وتحنو
 عليه خنواً رقيقاً لتوقظه

— ٢ —

تتناول زجاجة عطر ترشها عليه وتدهن بدنه وتتملقه ، ثم تتناول ثماراً وكأساً
 لياكل ويشرب . تخدمه كأمة ، وتلم يديه وقدميه . وتبدو كأنها خاضعة له متراخية
 عنده قد شل الحب كل قواها

— ٣ —

ينظر اليها ضاحكاً فرحاً بما ملك ، بيدي قوّة الرجل الذي انتصر . يحدشها
 ويرأها كأنها من سقط المتاع . فيذكر كيف مسه أول عهدا به فيعطها رأسه .
 فتهزه وتضحك في وجهه ضحكة وحشية بهيمية ثم تدفعه عنها وتشد عليه حتى تضعه
 تحت قدميها . وهي خلال ذلك مضطربة مختبطة فيرفع يده يريد ان يهوي عليها . ورجاء

يسود السكون . وسميراميس يتبدل وجهها وترجع الى الوراء وتجمع نفسها كأنها وحش ضار ابدى برائته للوثوب . ابتسم الرجل ابتسامة ازدرأ وضحك . والانوار الذهبية استحالت انواراً لها لون الدماء . هز كتفها وقبض عليها بكتلتي يديه محاولاً التغلب عليها . فاستجمعت قواها وانتفضت مغضبة وزلقت بين يديه كالافعى وعادت الى وجهها سماء الحرب فقذفت به بعيداً وطرحته على اسفل السرير حيث تدرج ذليلاً . وصاحت صيحة اجابها عليها عواء وزئير ، وظهر على الاثر فريق من الحراس والحارسات كانوا يزحفون من احشاء السرير ، ويخرجون من اطواء الطنافس وثنايا الاستار ، فهووا على الرجل وكبلوه ، والرجل في حالة اضطراب تواري الجمع وظهرت الملكة مرتدية غلالة سوداء حاملة بيدها حربة شرعتها نحو ضحيتها ، وغادرت سريرها وشعل الظلام ولا يزال النور يتألق على الستار المرتخي شيئاً فشيئاً ، ولا تزال العين تلمح طائفة من الحراس يحملون جثة الاسير ولهم لحن يوحيه الظفر وخلال ذلك تبدو سميراميس وقد حملت مصباحاً مشتعلًا واخذت تتقدم

الفصل الثالث

يرقع الستار عن مرصد مشيد على قمة برج أقيم لرعي الكواكب وعبادتها . فيه أربعة وجوه ضخمة هي : « سيد » وهو نور له وجه انسان . و« نيرجال » وهو اسد له وجه انسان . و« اوستور » وهو انسان . و« ناتيج » له رأس نسر . وكان الوقت قبيل الفجر والنجوم لا تزال تتألق . حتى اذا لمع لامع النهار وقع البصر سريراً على مشهد فيه انهار وغابات ومدن ودخان

هنالك أربعة منجمين مختلفي الأزياء ، كأنهم في عيد آلهي سحري يترنمون بأسماء الآلهة . . . يترنمون وينادون آلهتهم ، ويبدلون أوضاعهم

المنجم الاول : يا روح بعل ، يا ملك الافطار

الجميع : اذكر

المنجم الثاني : يا روح « سان » يا فتاة الافطار

الجميع : اذكر

المنجم الثالث : يا روح « ايستار » يا غادة الجحافل

الجميع : اذكر

المنجم الرابع: النهار يشرق... والنسر يعود... والحمامة تسرع مضرجة بدماء

الحب. تعود تستنفذ كنوز الحياة... ألا ان الحب يورث الموت

الجميع

: سميراميس ! أيتها الألوهة ،

سميراميس ، أيتها القادرة ؟

يا قوّة الآلهة ،

يا وردة السماوات ،

ترقي بي يا سميراميس ...

وهنا ينطرحون ثم تدخل سميراميس في اعماق الهيكل ، وهي بردائها

الاسود ، ورأسها محجوب بلِفق ، وبينما هي تشد هذا اللفق على رأسها

تنظر الى السماء نظرة عميقة وتحيي المنجمين ثم تدور على نفسها برفق

وترقص رقصة النجوم ثم تقول

سميراميس : أيها الصرح ، يا صرحي ويا سماءي .

يا صرحي الذي رفعتك وسمكتك .

أيها البرج السامق ، يا صنع يدي

يا زهرة قدرتي المضرجة بدماء الذراري

يا هيكل السماء ، جئت أرتل مدائح

ان الحمامة تلحق فوقك ، على علاء النسر

على قمتك أسكر بالكواكب

واستحم بالبرد السماوي الذي ينساب ليل نهار ...

برد السماء الإلهي يبلل الروح كالسيف

ويحمد الحب في النفس ويتقدها من السعادة .

ها هنا لا دبول ولا حنان فاطر .

والورد ان هو الأذكرى خالية المعاني

ولكن — هنا — تتجلى القدرة وحدها

أحييك يا سماءي ، يا هيكل الهياكل الذي من اجله آتي ومن اجله أعود

مغترفة من صدر الآلهة القوة — على ان أحيا وحدي —
ها انا ذا الآن الطاهرة الكاملة .

اني لن اكون — في الحب — شبيهة بالنساء .

اني حطمت الهياكل الغريبة ونثرت بقاياها على الحضيض .

ووطأت بقدمي اجساد الملوك الخافقة .

ومشيت على دماء الذكور الاشداء الضواري .

أنا ! ...

وفي هذا المكان المهيمن على الأرضين التي يغمرها السبات ،

وعلى النعاس المتراكم ، وعلى اللجة التي تتيقظ

وعلى حظائر البشرية ، حيث يُولد من يولد ويموت من يموت

اسأل نفسي وأقف مرتابة... هل أنا أشدُّ رعباً من الحياة او من الموت ؟

انهما شيء واحد في نظر الكواكب

الجميع : في نظر الكواكب

سميراميس : بحكمتي وقوة ساعدي ، بجحيلي وشجاعتي ، ومضاء عزمي ،

ورقة جسدي وظلال عيني ، بلغت — بقدرتي — القمة المربعة .

وسالتُ من الموتى هذا القليل الذي يصونونه من المعنى الإلهي

وصببته في قلبي فوق الوجود

تاركة طبائعهم تفيض دناءة !

آه ! كم يلذني ان استروح ريح البغض من هذا المكان العالي .

الجميع : لتكن « استار » معك فتاة الجحافل .

سميراميس : الحب ذاته خضع ليدي القاهرة وجعلتُ منه عبداً .

الجميع : هل يعطى الجمال سلاحاً يُصرع به ؟

سميراميس : أراني أرتجف اذ أريد ، وقلبي يتغير ويتحير .

جسدي هو شباك وحبائل ، والذائد التي يوزعها هي بنات شؤم وسوء .

لذتي هي وحش ضار ، وفي سريري المطيب أحس حرارة الصيد الملكي

منجم : سмирاميس جميلة

سميراميس : لقد سكر بلذتي ، وظنَّ الحبيب أنه أصبح سيداً .
ولكن سميراميس المرأة كانت أدنى منه إلى الرجال .
وهكذا قدَّمته الحمامة مطعماً للنسور .

منجم : سميراميس طاهرة

الجميع : أنها قتلت

منجم : سميراميس عظيمة

الجميع : أنها قتلت

سميراميس : اعطيت كلاً طعامه ، وهبتُ ليلي للبدن ، وبدني للحب ، والحب للموت
الجميع : سميراميس عادلة . . . سميرا . . .

سميراميس : [بحدة] صه أيها الكاذبون ! اذهبوا وفرُّوا وارتمشوا من عيني .
واعلموا ألاَّ أحد سواي يقدر أن يعطيني مدائح .

[المنجمون ينكصون إلى الوراء]

أيها الكاذبون المخادعون ، إن مجدي يقوم في نفسي وحدها .
وأنتم لا تستطيعون أن تشهدوا منه شيئاً

اذهبوا واهربوا

أنكم لم تكونوا كهذا اليوم على أهبة الصلب

فروا من سميراميس التي تعرف أن تلو في قلوبكم تلاوة أوضح مما تلوونه
في النجوم ، وفي سميراميس ! . . .

أيزداد المنجمون خوفاً ويرجعون إلى الوراء . . . وخلال ذلك يسطم
الفجر ويكسو الأشياء بحرمة المتوقدة ، ثم تنكشف الأشياء تحت نوره
شيئاً فشيئاً

سميراميس : [بتهمل وغضب]

إن هؤلاء الفلاسفة — من غير عقل —

يتركونني أشعر — عن حمق — بأنني أبذل لهم .

لقد كان أسيري — على الأقل —

محبولاً من الصفاء الكامل

سميراميس : وهل أكثر صدقاً وطبيعةً من الاغواء والفتنة بأنيهما من يثق بأنه جميل !
وهل أكثر صدقاً وطبيعةً من رجل يعلل نفسه « بأن ملكة تهب نفسها
وجسدها ان هي إلا امرأة مستعبدة ذليلة » .
لقد كان جميلاً حقاً ،

كم رقصت من أجله بلذة ، ومن أجلي أيضاً . . .
أجلس على الافريز ، وصوت بعيد يحمل اليها صدى أغنية بسيطة
لا تدرك كلماتها ، تستغرق الملكة في حلم حزين ثم تأخذ رقص بهوى ،
ثم تكف عن رقصها بغتة !
« سميراميس طاهرة . . . انها قتلت » .

يا نفسي بحقيقتها ، يا سميراميس وحدها !
ما ذا ؟ ان هذا الراعي الذي تتفواح أغنيته بما لا أدري من روح الحب
هل ألف اغنيته على الملكة ؟
وهل سم الكآبة التاعم المسكوب في هواء الفجر يقدر ان يقودني قسراً
الى الضعف الانساني ؟

لا يا سميراميسي . . . يا قادرة على الحياة وحدها معتزلة !
ليس لي شبيه ، ولا أريد حياة ولا موتاً .
امز امير مهمة تعلن اليقظة ، والشمس ترسل اشعتها ، تضيء المدينة ،
سقوطها ، ومجاري مياهها اللامعة . سميراميس . تلجج نفسها وتقف موقفاً جليلاً
ها أنت . . .

ها قد بدا السيد يختال في مجده .
بدا من يعطي ومن يأخذ ، ومن يولد ومن يبيد .
يظهر ويضرب . . . ويضع كل شيء منسجماً في نظامه . . .
يجمع الفضاء والارض والانظار والافكار
سلاماً يا سيد الزمان !
لا اريد سواك مرآة لي . . .
اني أقدم نفسي كاملة الى معرفتك الملهمة

سميراميس : ولا ترى — في سميراميس لا سرّاً ولا ظلاً من اجلك .

[تكشف عن بدنّها وتصبح عارية كما ظهرت في الفصل الثاني]

أيها الآلهة ... لا اعرف سواك !

يا آلهة الآلهة ، لا احد غيري وغيرك

أريده بكل قواي ...

[ترقى على الافريزا]

كم أتروح !

كم أتروح هنا ربح السلطة المطلقة الصافية .

أرى وأتروح — في الاعالي — كل ما صنعت .

الرغبة تتركني والهوان يرفعني .

ان قلبي أوسع حدوداً من مملكة

وليس هنالك صرح — مهما شمش وتعالى — أستطيع ان أكتشف

من علوه حدود نفسي

أريد ان أكون عظيمة حتى يأتي رجال العصور الآتية ويشكوا في وجودي .

أريد ان أكون قوية جميلة حتى يروا في خليفة رومانية سامية .

أليس المجد الأعظم هو نصيب الآلهة الذين لا يُبصرون !

سيقولون عن سميراميس — ألا وجود لها — انها آلهة ...

لا تنزل وتمرجب الهيكل ، وبحركة من مشيها الفتان تلبث لحظة كأنها

في صلاة ثم ترقى درجات الهيكل

والآن سأنام على حجارة هذا المعبد .

وسأصلي للشمس وهي في حديثها . حتى تسحيلي بخاراً ورماداً ، وحتى

تطلق — حرة من نفسي في هذه اللحظة — هذه الحمامة التي غذيها

بكثير من المجد والكبرياء

[وهنا تمددت سميراميس على حجر الهيكل واشتعلت بأفراحها وغدت مشعلاً

من النور الباهر طوال لحظة ... ضباب خفيف يحيط بها ثم يرتفع متوثباً ثم

يتمزق ... عن حمامة تطير ، ولا يزال المعبد الفارغ يسطع في الشمس]

الكيمياء الصناعية^(١)

معجزات علمية أغرب من الخيال

بقلم عوض منري
[عن مجلة العلم العام الاميركية]

﴿ الحرير الصناعي ﴾ لينتخيل القارئ كرة من الخيط، وزن رطلاً واحداً فقط من نسيج رفيع جداً. فإذا ما نشرت تلك الكرة، امتدت من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادي قاطعة أميركا من الشرق الى الغرب. فهذه احدي العجائب الكيميائية التي عرضت حديثاً في مدينة كنساس بولاية ميسوري بأميركا، عند اجتماع الكيميائيين، ليقابلوا أعمالهم بعضها ببعض. وهي أحدث ضروب الحرير الصناعي. اذ الثوب الذي يُصنع منه، يتاح اخفاؤه في قبضة الكف ولا شك في أن الذين صنعوا الكرة المشار اليها، بالوسائل الكيميائية، قد بزوا دودة الحرير. لأن رفع خيطها، ثلث رفع الحرير الطبيعي. وكان تحسين وسائل تقنية عجينة الخشب، التي تقوم مقام المادة الاولية في الحرير الصناعي، ثم تحسين المحلولات الكيميائية والآلات المستعملة في صنع ذلك الحرير، متحدة بعضها ببعض، كفيين يخلق تلك الكرة ففدا المرء يعرفه الدهش من مبتدعات الكيمياء الصناعية، كما يؤخذ من مطالعة قصص كتاب الف ليلة وليلة، العربي المشهور. وأصبحت الدار والباص والمركبة، بل كل ما يحيط بك من اللوازم يستفيد من صناعة الكيميائيين

﴿ السكر من نقيع الذرة ﴾ وتبين لهم أن الماء الذي ينقع فيه الذرة، عند صنع نشاء الذرة، يتولد فيه سكر، ذو خاصيتين غريبتين. فيكون حلواً في حالة النقاوة. ولذا شرع بعضهم بحرقه في العيادات لجعلوه بديلاً للسكر العادي في غذاء المصابين بالبول السكري. ويصير ذلك النقيع نفسه مادة مفرقة اقوى من النيتروجين اذاما عولج بالحامض النيتريك. ولا

(١) كتبنا في عجائب الكيمياء الصناعية مقالا بعنوان «الحجم الحجري من الكرب» نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٢٩ ومقالات آخر بعنوان «الفضلات الزراعية ومنافعها» في مقتطف ماير سنة ١٩٣٠

يحتاج الى أية مادة كيميائية هامة عند تحضيره للاستعمال . فالنيتروجين وسائر سائل متفجر جداً يجعل بعض المواد الصلصالية ليصلح استعماله كديناميت . ولكن « ديناميت الذرة » صلب بذاته . ويتوقع الخبراء التذرع به الى تكسير الاحجار في محاجرها ، والى حفر الحفريات وشق الانفاق . ويقدر المطلعون انه يتسنى الحصول على مليون رطل من السكر كل سنة ، كفضالة تتخلف عند صناعة النشاء . وذلك بالطريقة الكيميائية الجديدة التي ابتدعها الأستاذ ادوارد بارتو Bartow رئيس الجمعية الأمريكية الكيميائية

﴿ بديل الهواء الطبيعي ﴾ وقد بين الدكتور ولرد هرشي الأستاذ بكلية مكفرسن في مكفرسن بولاية كنساس أن جراحة الكيميائيين ، لا تحدث إذ أذاع أنه وفق بديل هوائي أصلح للراث البشرية من الهواء الطبيعي ! !

ولا يخفى على القراء ان الهواء الذي نستنشقهُ ، وُلِف من النيتروجين والأكسجين ومقادير يسيرة من الهليوم وغيره من الغازات الجوية النادرة ، ولذلك رأى الدكتور هرشي أن يمتحن الغازات الأخرى ليقدر مبلغ صلاحيتها للحياة . فحبس طائفة من الجرذان والأرانب الرومية والسنائير والقرودة في حجر زجاجية محكمة الاغلاق وجعل ينشقها غازات ومزيجات من غازات مختلفة بوساطة أنابيب ، فأدرك أن الهواء الطبيعي النقي يأتي في المرتبة الثانية من مراتب الغازات الصالحة للتنفس ! ! إذ استطاعت الحيوانات المشار إليها ، الحياة ، واكتساب القوة ، في مزيج غازي مركب من الهليوم والأكسجين . فأثبت بذلك ان المرضى بالأمراض التي تسبب صعوبة التنفس هم الأملى يستفيدون من ذلك الاكتشاف قبل غيرهم

﴿ الصنع المرن الصناعي ﴾ ولا بد أن المشغوفين بركوب السيارات سيهتمون بمشكلتين خطيرتين ، وهما العجلات والوقود . وذلك من جراء المكتشفات الجديدة إذ وافقنا الأبناء من المانيا بأن علماء الكيمياء الصناعية قد تمكنوا من صنع مطاط صناعي ، آخذين مأخذ الأميركيين الذين سبقوهم في ذلك الميدان . ففي مدينة « ديب ووتر پوينت » في ولاية نيوجرسي مصنع لصنع الصنع المرن (المطاط) ينتج مليون رطل في السنة . ويقول المحققون إنه ذو خصائص تفوق بها على المطاط الطبيعي تفوقاً عظيماً ، وذلك من عدة وجوه ، وان ذلك المطاط الصناعي سوف يحل في الحروب محل الطبيعي كله

ومخترع المادة الأساسية لتريكم هو القس نيولند (الأستاذ بجامعة نوتردام) J. A. Newland وقد نال من أجله وسام Nichols نيكولس وهو من أسمى الجوائز الأمريكية لعلم الكيمياء وتؤلف المادة الأولية المشار إليها من الاستيلين العادي وتسمى فينيلاسيتيلين Vinylacetylened وما قاله الكيميائي الذي منح الجائزة الى ذلك الأب المخترع عند فوزه « ان ميدان البحث

العلمي لا حوج الى شجاعة أكثر مما تقتضيها ساحة الوغى» وهذا قول لا مرة فيه اذ يعلم الخبراء علم اليقين مبلغ الخطر العظيم الذي يستهدف له كل من مارس التجارب في مشتقات الاسيتيلين، وهي مواد دقيقة شديدة التفجر

ومع علم الأب نيولند بفداحة الخطب فقد خاطر بحياته مرات لا تحصى في قيامه بالتحصيل الذي أسفر عن ظفره، ذلك الظفر المين

﴿البنزين الصناعي﴾ ومن المواد الجديدة بالذكر في هذا الباب «استخراج البنزين من الفحم الحجري» وقد تم في كل من انكلترا والمانيا، حيث أنشئت له مصانع ضخمة. أما في ولايات أميركا المتحدة فان مسألة مزج البنزين بالكحول، واتخاذ ذلك المزيج وقوداً للسيارات، فما برحت مثاراً لمناظرات عنيفة تدور رحاها بين علماء الكيمياء. اذ يقول انصارها انها ستفيد الزراع فوائد مالية عظيمة. وذلك من بيع مقادير كبيرة من محصولات الذرة التي تزيد على حاجتهم اذ يستطيع بالكيمياء، تحويلها كحولاً. وان مزج الكحول الذي يستقطر من الذرة بتلك الطريقة، بمقدار كبير من البنزين، يجعله وقوداً صالحاً للسيارات مثل البنزين الصافي، هذا اذا لم يفقه في الاقتصاد وتوليد القوة الدافعة

وعلى حين تتشعب آراء العلماء الكيميائيين في مبلغ الاستفادة من ذلك المزج المزمع تجربته، يؤكد خبراء دائرة النماذج في حكومة الولايات الاميركية المتحدة، ان المزيج نفسه وقود صالح جداً للسيارات، بشرط واحد فقط وهو اختراع محركات خاصة تلائم كل الملاءمة

وعلى كل حال ستنبأ الفرصة لاصحاب السيارات وساقطها للحكم بأنفسهم على صلاحيته من عدمها، اذا أنشئ مصنع في مدينة اتشيسن في ولاية كنساس يستقطر كل يوم ١٠٠٠٠ جالون كحول من الذرة، على ان تستعمل للمزج بالبنزين المعتاد وتصبح وقوداً للسيارات يباع بالثمان عينة الذي يباع به البنزين المؤلف

﴿مستحلبات الفوتوغرافية﴾ وسينتفع المشتغلون بالتصوير الضوئي بالحادث الاتفاقي الذي حدث من عهد قريب لأربعة شبان من الباحثين في الكيمياء كانوا يحضرون طائفة من المحولات الفوتوغرافية فدهشوا اذ رأوا ان ورق الطبع المغطى بذلك المحلول، ولد لوناً اسود في أجزاء الصورة التي يجب ان تكون بيضاء، ولوناً ابيض حيث يتوقع ان يكون اسود. فبحثوا الموضوع جيداً، فبين لهم انهم قد عثروا على قاعدة لصنع نوع جديد من المواد يصلح للمصورين بالضوء، اذ يسهل النقاط الصور الضوئية النفاطاً مباشراً دون الاحتياج الى استخراج صورة سلبية، بمثابة خطوة متوسطة. وان ذلك المحلول اللبني «المستحلب» الجديد يصلح أيضاً لاجل الفيلم واللوحات الفوتوغرافية والورق وتم تجليته بأساليب ومحولات ثابتة

﴿ فلزات جديدة ﴾ وقد تكشفت لعلماء الكيمياء في مختبراتهم ، فلزات جديدة ، حيث استطاع الكيميائيون في معهد مللون Mellon Institute للمباحث الصناعية في بتسبرج بولاية بنسلفانيا ، صنع شفرات فاخرة لموسى الخلافة المأمونة . وذلك من مزيج فولاذي اخترع لذلك القصد . اذ خلطوا طائفة من المعادن ، بعضها ببعض ، ثم استخرجوا منها خليطاً طنجستانياً يحل محل الرصاص في الوقاية من الاشعة القوية التي تنبعث من الراديوم . وهو خليط مؤلف من الحديد والاليومنيوم والنيكل والكوبلت . ومنه تصنع الآن اقوى المغنطيسات الدائمة المغنطة ، في العالم وكذلك يستغل منه الفولاذ التقي الذي يجمع بين الرونق والقوة لصنع مركبات السكك الحديدية وبلغ من كثرة تنوع الاخلاط الفولاذية الجديدة المدهشة التي لا يقطع سيل اختراعها ، ان علماء الكيمياء انفسهم ، يلاقون الصعاب في منافسة بعضهم بعضاً ، ابتغاء السبق في ذلك المضمار ورغبت المؤسسة الهندسية في مدينة نيويورك ، في حصر الاخلاط الفولاذية والحديدية المشهورة ، الآن دون سواها ، حصرأ سهل المثال ، فعينت ١٥٠ رجلاً ليفحصوا جميع الكتب الفنية في العالم ، وينقلوا منها ما يعثرون عليه من ذلك القليل ، ليضعوا له فهرساً عاماً

ويرى المحققون أن ذلك العمل الجليل لم يسبق له نظير في تاريخ العلم . ومن اغرب ما يروى في هذا الصدد أن معلومات علماء الكيمياء في الحديد نفسه ، يسيرة . اذ الحديد التي يكاد يكون حديث خرافة . وقد ثبت من عهد قريب أن الحديد الذي نعرفه ، انما يحمل شهباً طفيفاً للحديد المحض . وذلك حينما استغل الباحثون بالتجارب اتقى انواع الحديد بتسخينها بلهب الهيدروجين فتكشف لهم ان الحديد الذي حصلوا عليه ، لا يصدأ في الاوكسيجين والماء الثقين وان تعرضا لها شهوراً ﴿ الصبغات الطريفة ﴾ واسفرت مباحث العلماء وتجاربهم في الصبغات عن انواع منها غير مألوفاً إذ أعلن الكيميائيون البريطانيون اكتشاف صبغة زرقاء جديدة لتستعمل دهنًا للحيطان والخشب ، ومداداً للطبع . والمعروف الآن ان الالترامارين Ultramarine الذي اكتشف في سنة ١٧٠٤ والازرق البروسي الذي اكتشف في سنة ١٨٢٦ هما الصبغتان اللتان تستغل منهما الصبغة المشار اليها ، وهي لا تحتوي على الصفات المرغوب فيها اي اللعان والقوة والثبات مهما تعرضت للضوء والحرارة والاحماض والقلويات وغيرها من المواد المذيبة

اما الصبغة الجديدة وهي المسماة «ازرق موناسترال» الثابت noastral فيقال انها تحتوي على المزايا التي يحتاج اليها كل امرئ . وعدا ذلك ، يقال انها افضل الالوان الزرقاء للطباعة الملونة ويستدل بما ذكرناه من الامثلة ، على مبالغ فوز علماء الكيمياء وتأثيره في كل فرع من فروع المعيشة ﴿ الاثانات المنزلية ﴾ وما احداثه أولئك العلماء الكيميائيون من الانقلابات المدهشة ، في البيوت ، التدرج في صنع الاثانات الخشبية إذ أن الاشياء التي مازالت تصنع دائماً من الخشب أو

المعادن ، ومنها خزائن الراديو واغطية القتاني ، غدت تصنع من مواد صناعية تسمى بالمعجان وهذه يركبها الكيميائي في مخبأه . وهي في عرف الخبراء ، فائحة لميدان رحب ، وسيعقبها صنع المنضدات والكراسي والاسرة ، من تلك المعجان الثلاثة التي يسهل الاحتفاظ بها نظيفة ، ويصعب تعرضها للخدش او التشويه . اما في وقتنا الحالي ، فلا يعوق ذبوع استعمال هاتيك المصنوعات العجيبة ، غير ارتفاع ثمنها قليلاً عن أشباهها التي تؤخذ من المواد الطبيعية ويرى ويلم هاينز الخبير النيويوركي الكيميائي انه اذا انخفض سعرها قليلاً ، انتشر استعمالها انتشاراً رائعاً

﴿ الزجاج اللين ﴾ والزجاج ايضاً مع شدة الحاجة اليه في صنع النوافذ ، وتفوقه في ذلك السبيل ، فله منافس جديد ونعني به المواد الشفافة التي من فصيلة المعجان . ومع ان منافعها في البيوت ما زالت موضعاً للجدل ، فقد تجلبت بعض مزاياها المرغوب فيها ، ومنها المرونة التي تسمح بثنيها حتى تصير منحنيات تصلح لنوافذ الطائرات . وقد نشأ من التحسينات الكيميائية الحديثة التي قام بها العلماء في الزجاج المستعمل في آواني الطبخ الغلوجية التي توضع في الافران ، التمكن من صنع مقالٍ من الزجاج تقاوم الحرارة مقاومة فائقة لاجل الطبخ على رأس الموقد

﴿ الاستغناء عن حرارة البخار ﴾ وشرع الكيميائيون يجتريون طريقة لتحل محل البخار في اجهزة التسخين . واساسها مركب ابيض يعرف باسم ديفينيل diphenyl وهي مادة كيميائية تمت الى عطر الجيزة الافرنكية الصناعي ، تتحول بخاراً عند درجة ٥٠٠ فهرنهايت . ولما كانت تلك المادة تحتفظ بالحرارة اكثر من البخار ويمكن رفع حرارتها الى درجة عظيمة ، دون احداث ضغط خطر ، فقد استعملت هذه المادة الجديدة في كثير من الصناعات

﴿ التبريد المنزلي ﴾ واتجهت عناية المهندسين الكيميائيين ايضاً الى مسألة التبريد المنزلي فاتخذوا مثالج « الثلج الجاف » أي الحامض الكربونيك المجمد ، للتبريد في الاقاليم الحارة ، حيث تكون مصانع الثلج نائية عن امكنة الاستهلاك وحيث لا توجد الكهرباء . ولذلك يوضع الثلج الصلب في صندوق داخلي معزول ليكسب الحرارة جذباً حثيثاً جداً ، والا فدرجة حرارته البالغة ١٠٩ فهرنهايت تحت الصفر لمحتويات الصندوق جميعها . ثم ان تأثيره الجليدي الذي ينتقل بواسطة زعاقف معدنية على الصندوق ، يتسبب تضيقه ليبقي درجة حرارة المثلجة في الحدود المرغوبة . وللمثالج التي يستخدم فيها ذلك المبرد القابل للتبخر ، منفعة غريبة وهي تكوّن غاز الحامض الكربونيك في باطن المثلجة الذي يقال انه يعيق نمو البكتيريا ويحول دون انتشار روائح الاطعمة

تمدد الكون

منشؤه ومصيره

لنقول الحراء

المتناهي واللامتناهي

قبل ظهور نسبية اينشتاين كان الفلاسفة اذا ساقهم التفكير الى سعة الكون لا يرون بدءاً من الاستسلام الى نظرية اللانهاية فيقولون : الكون مادة ومساحة (مكاناً) غير متناهٍ اي انه مكان لا نهاية له واجرام ساجحة فيه لا نهاية لعددها . واذا خطر لواحد ان يذهب الى ان لهيولى الكون (مادته) قدراً معيناً قامت الاعتراضات في سبيل خاطره . واذا سئل صاحب هذه النظرية : اين موقع المادة المعينة القدر في فسيحة الكون غير المتناهي ، لم يُسحر جواباً . لانه لا يقدر ان يعين موضعاً في رحبة الكون التي لا نهاية لها ما دامت خالية من اي شيء آخر يعتبر كعلامة تقاس من عندها الابعاد . وبناء على هذا العجز عن الجواب حكم الفيلسوف « كنت » بانه لا يمكن ان توجد مادة معينة المقدار في رحبة الوجود غير المتناهية . واذن فالهيولى غير متناهية في رحبة الوجود غير المتناهية ايضاً

ولكن العقل البشري يحار في اللامتناهي ، كما انه لا يستطيع ان يتصور حدوداً للمتناهي ليس وراءها شيء . فهو بين المتناهي واللامتناهي حيران ما دام يعتمد على التصور فقط . وانما اذا لجأ الى العلم فقد يجد ما ينقذه من الحيرة ، ولا سيما اذا صرف ذهنه عن التصور واعتمد على منطق العلم فقط

بقيت مسألة اللانهاية لغز الوجود الى ان انحلت للعقل البشري « سنة الجاذبية » ودعمها « ناموس النسبية » فاتضح للعقل النير ان الكون ، وان كان غير متناهي المكان ، لا يمكن ان يكون غير متناهي المادة ، بل لا بد ان تكون المادة فيه قدراً معيناً يشغل فسيحة معينة من المكان وبعد هذه الفسيحة خلافاً غير محدود يصح ان يكون ما يسمونه « العدم »

وخفى برهان اينشتاين صاحب نظرية النسبية على هذا القول هو ان الكون اذا كان

مكاناً غير متناهٍ تشغله سُدمٌ وأجرامٌ وشموسٌ وسياراتٌ لانهاية لعددها وجب بمقتضى ناموس الجاذبية الذي لا مناص من فعله فيها جميعاً ان تتحرك هذه الاجرام في المكان اللامتناهي بسرعات اعظم جداً من سرعاتها التي نعرفها الآن بل بسرعات تفوق حد التصور — تتجاوز سرعة النور . وهو امر مستحيل بحسب ناموس النسبية الذي كشف عن ان سرعة النور هي منتهى السرعة في الوجود ، ولا يمكن ان تفوقها سرعة . والجسم الذي يفوقها سرعة يفنى بحسب برهان اينشتاين هذا (وقد شرحتُه في كتابي النسبية) يستحيل ان تكون اجرام المادة غير متناهية العدد او المقدار ، بل هي قَدَر معين في رجة معينة من رحاب المكان غير المتناهي . فالجيز الذي تشغله هذه الاجرام هو ما يسميه علماء اليوم « المكان » Space . واما ما وراءه فخلاء يسمى « العدم »

هيز الكون الهولي

وهنا يبدر الى ذهن القارئ ان يسأل : اي شكل هندسي يتخذ هذا الجيز المادي ؟ أمكعبٌ هو ام كرة ام لوح مستطيل مستقيم ذو طول وعرض وسماكة ؟ والجواب بحسب برهان اينشتاين انه ليس شيئاً من ذلك . وانما هو لوح سميك ولكنهُ غير مستقيم بل هو منحنٍ من جميع جهاته بحيث تلتحم حواشيه بعضها ببعض فيصبح بشكل كرة فارغة تامة الاستدارة (او الكروية) او بيضية الشكل (بشكل البيضة) واينشتاين يرجح الشكل البيضي لاعتبارات لا محل لشرحها هنا . واذن فهو بشكل بيضة فارغة والاجرام في قشرتها ولتسهيل التصوير على القارئ فيما يلي من بحثنا نفرض هذا الجيز المادي كرة فارغة الجوف اي ان جوفها خلاء عدم كالحلاء الذي حولها . واجرام المادة سابحة في جلدة هذه الكرة من سُدمٍ او مجرات كمجرتنا — كلها سائرة متساوقة في اتجاه واحد في جلدة الكرة بقوة الجاذبية المتبادلة بينها

ولما اعلن اينشتاين هذه النتائج من بحثه عن حجم الجيز المادي قال ان هذا الحجم بما فيه من هولي (مادة) منذ الازل والى الابد لا يزيد ولا ينقص ولا يضيق ولا يتسع . اي انه وعاء (بالشكل الذي تقدم وصفه ، جلدة كرة) توزع فيه المجرات وتتحرك دائرة على محاورها متدحرجة فيه باتجاه واحد . وقد حسب الحاسبون عدداً ما فيه من كهارب وما يقابلها من بروتونات فاذا هي 10^{79} اي واحد الى يمينه ٧٩ صفراً فتأمل !

ولكن ما ظهر ببحث اينشتاين هذا حتى ظهر من ارصاد هابل Hubble في مرصد جبل ويلسون في كاليفورنيا ان المجرات والسُدُم تتباعد باستمرار بعضها عن بعض كأنها تتشَّتت في الفضاء الحالي . ودرس دي ستر de Sitter ارصاد هابل درساً دقيقاً وبرهن ان حجم الكون

الذي وصفه اينشتاين بكونه ثابت المقدار اي لا يتسع ولا يضيق انما هو آخذ بالاتساع وغير ثابت على سعة واحدة ، وان كانت المادة التي تشغله لا تزيد ولا تنقص . اي ان الاجرام التي فيه تخرج عن حدوده التي قررها اينشتاين . ولذلك يتضخم حجم الكون كل هنيهة من الزمن لم يعين دي ستر de Sitter متى ابتداء حجم الكون هذا يتضخم — لم يقل كم كان نصف قطره (الرايوس Radius) حين ابتداء يتضخم . بل اقتصر على القول انه آخذ بالتضخم . وانما في ذلك الحين نشر العالم البلجيكي الاب لومتر Lemaitre رسالة بهذا البحث برهن فيها ان الكون شرع يتنفخ منذ نشأ . لان كوننا كهذا الذي وصفه اينشتاين ثابت التوازن لا يمكن ان ينشأ متوازناً ويبقى متوازناً الى الابد . بل لا بد ان يبتدىء كبيراً متقلصاً رويداً او صغيراً متمدداً رويداً . وهذا يقتضي انه لم ينشأ كرة فارغة كما وصفه اينشتاين على حاله الحاضرة بل كان كرة صغيرة جدا كشيعة ، ثم جعلت تنتفخ تدريجاً ، كأن قوة فيها تدفع اجزاءها بعضها عن بعض الى خارج محيطها حتى فرغت من الداخل واصبحت كجلدة كرة مطاط كما هي الآن . ولا تزال تنتفخ كما قال دي ستر

فالكون ابتداء كما برهن الاب لومتر

وهو الآن كما برهن اينشتاين

ومستقبله كما وصف دي ستر

ولما علم اينشتاين بارصاد هابل التي اثارت أفكار دي ستر وفريدمان ولومتر وغيرهم برح الى اميركا لكي يقف على ارصاد هابل بنفسه ويتأكد صحتها . فلما شاهد ما شاهد ودرس ما درس هناك عاد مقتنعاً وغير رآيه في حجم الكون . وجعل يدرس حالة انتفاخه ويبحث عن قاعدة رياضية له . وان كان قد عزّاه على وعلى سواه ان يتحقق اصل السبب في هذا الانتفاخ . وانما فرض لناموس جاذبية نيوتن سلبية اخرى وهي ان قوة الدفع عن المركز Centrifugal force اقوى من قوة الجذب الى المركز Centripetal force فسمى الزايد في قوة الدفع «الدفع الكوني» Cosmical Repulsion وحسب مقداره فاذا هو قدر ثابت Constant بالنسبة الى نصف قطر الكون مهما تمدّد

سرعة تسوّت المجرات

كان هابل في مرصد ويلسون اول من اكتشف سنة ١٩٢٩ ان المجرات تبعد عنا بسرعات مختلفة وان ابعدا اسرعها (السبب ستعلمه فيما بعد). وحتى سنة ١٩٣١ كان قد اكتشف سرعة ٩٠ مجرة منها ٨٥ تتباعد عنا وه تقرب الينا. على ان اقتراب هذه المجرات الخمس يناقض

في الظاهر نظرية انتفاخ حجم الكون التي تقضي ان جميع المجرات تتباعد بعضها عن بعض . ولكن اقترابها يمكن تمييزه بأعين معاً : الاول ان هذه المجرات الخمس اقرب المجرات التسعين الينا . ونحن نرصدها من نظامنا الشمسي ونزاعي خط النور اليها من ارضنا لا من مجموع مجرتنا جملة . فاذا راعينا سرعة نظامنا الشمسي (٢٠٠ الى ٣٠٠ كيلو متر بالثانية) في قرص المجرة كنا نحن نقرب الى تلك المجرات اكثر مما هي تبعد عنا . ولكن لو راعينا خط الرصد من مجرتنا عموماً لا من نظامنا الشمسي خصوصاً لرأينا انها كغيرها تبعد عنا . والثاني ان منطقة مجرتنا واقعة بين منطقة هذه المجرات ومركز الكون . وبحسب ناموس التسارع هي اسرع منها في مجرى العوالم الكونية . فاذا كانت المجرات الخمس الدانية الينا تجري امام مجرتنا فمجرتنا تجري ورائها اسرع منها . ولذلك تظهر لنا مقتربة الينا . والحقيقة ان مجرتنا مسرعة اليها . اذن اقتراب المجرات الخمس من بين التسعين لا ينقض نظرية ان جميع المجرات تتباعد متشتتة كما سنشرح جلياً فيما بعد وكان سليفر Slipher من ناحية اخرى يرصد المجرات ايضاً ويستخرج سرعاتها فاستخرج سرعة ٤٠ مجرة ، منها ١٢ مجرة تتباعد بسرعة ٨٠٠ الى ١٨٠٠ كيلو متر بالثانية . وهو ماسون Humason في مرصد ويلسون اكتشف سرعات هائلة ، منها سرعة مجرة في خط الجوزاء (جمني Gemini) تراجع بسرعة ٢٥ الف كيلو متر بالثانية وهي تبعد عنا ١٥٠ مليون سنة نور . ولا ريب ان هناك مجرات اقصى من هذه واعظم سرعة واذا جعلنا مجرتنا مركزاً ورسمنا حولها غلافاً كروياً على بعد مليون سنة نور عن هذا المركز كان ما اكتشفته الارصاد وراء هذه الكرة ٨٠ مجرة تتباعد تاركة وراءها خلاء لا تحته مجرات اخرى غيرها بعدها وقد استخرج هبل من مجموعة ارساده للمجرات قانوناً لسرعتها ، وهو ان معدل السرعة ٥٥٠ كيلومتراً في الثانية لكل مليون فرسخ (تعريب persee) . والفرسخ ٣٠٦٦٠٠٠ سنة نور . اذن المجرة التي على بعد ٣٠٦٦٠٠٠ سنة نور عن مجرتنا تتباعد عنها بسرعة ٥٥٠ كيلو متراً بالثانية . هذا قانون تقريبي وقد يكون الخطاء فيه نحو ٢٠ في المائة . ويزعم آخرون ان معدل السرعة لكل مليون فرسخ يتراوح بين ٥٠٠ والف كيلو متر بالثانية ثم حسبوا ان تباعد المجرات المستمر على هذا النحو يجعل ابعادها تتضاعف كل ١٣٠٠ مليون سنة نور

كيف يتفكك حجم الكون

والآن نشرح بقدر الامكان كيفية انتفاخ الكون الناشئ عن تشتت المجرات وتباعدها بعضها عن بعض

لنفرض ان في جلدة الكرة التي تسبح فيها المجرات ملازمة لها قوة دافعة تمطها الى الخارج فبالطبع تبقى المجرات فيها ملازمة لها . فماذا نرى بعد امتطاطها ؟
لتسهيل التفهم تصور الكرة الكونية بالوناً أبيض من المادة المطاطة كالبالون الذي يلعب به الاحداث وتصور سطحه مرقطاً بنقط سود على ابعاد متساوية فيما بينها . ثم تصور انك نفخت هذا البالون الى ان زاد حجمه أي زاد نصف قطره (الراديو) نحو ربعه أو ثلثه . فماذا ترى ! ترى ان النقط السود قد تباعدت بعضها عن بعض نحو ثلث المسافة فيما بينها ايضاً . وانما تبقى نسبة التباعد بينها واحدة اي متساوية كما كانت قبلاً . ثم ما ذا ترى ايضاً ؟
اذا كان بين كل نقطة وأخرى ستمتر قبل المط فبعده تصبح المسافة بين النقطة الواحدة والنقطة المجاورة لها ستمتراً وثلث الستمتر فقط وبينها وبين الثالثة ستمتيرين وثلثين ، وبينها وبين الرابعة ٤ ستمترات بدل ٣ ستمترات وهلم جرا

على هذا النحو تصور الكرة الكونية قد اتفخت في مدة معينة ، وبه تفهم كيف ان المجرات كلما كانت بعيدة عنا رآعت لنا اسرع مع ان تباعدها بعضها عن بعض مماثل بالنسبة الى المركز الكوني . ولو كنا في اية مجرة من مجرات الكون لكنا نرى هذه الظاهرة بعينها اي ان المجرة القصوى عنا اسرع ابتعاداً من القربى اليها — بالنسبة لنا ولكن ليس بالنسبة الى مركز الكون لا يقتصر هذا المط والافتاخ على حجم الكرة فقط بل يلحق جلدتها ايضاً . اي انها فيما هي تتفخ ، جلدتها نفسها تسمك على نسبة ثابتة . تبقى نسبة الراديو الفراغي الداخلي الى الراديو الخارجي واحدة . هذا ما اكتشفه اينشتاين ومنه استخرج قيمة ثابت الدفع الكوني Cosmical repulsion constant واذاف هذا الثابت الى معادلة الجاذبية النيوتونية

شعرة الشماع في محيط الكون

ولكن أحققي ان شماعة نور تصدر من اي جرم تطوف الكون هكذا ؟ ام انها تعبر الفراغ الداخلي من جنب الى جنب متخذة اقرب مسافة (اقليدوسية) ؟
والجواب انها لا تستطيع ان تعبر ذلك الفراغ (بحسب هندسة اقليدوس) لان الجو الجاذبي في جلدة الكرة الكونية التي نحن بصدها اقوى جداً منه في الفراغ الداخلي . فلا يدعها تعبر الى ذلك الفراغ بل يضطرها ان تسير في الحيز الكوني (الجلد) متخذة خطاً منحنيّاً كمنحنائه . وقد برهن اينشتاين انحاء خط النور في الجو الجاذبي وايدت الارصاد برهانه وهنا قد يخطر في بال القارىء هذه الفكرة : وهي : ان اشعة النور التي تصدر من اي مكان تطوف حول الكون وتعود بعد ٣٢ الف مليون سنة الى حيث صدرت . فلو استطاع انسان ان يخترع مرصداً قوياً جداً بحيث يمكنه ان يتبين به الاشباح عن هذا البعد السحيق لا يمكنه

ان يرى برصده هذا بعد ٣٢ الف مليون سنة (عمر طويل) طيف ظهره . أحقيق هذا التصور؟
نعم انه حقيق اذا كان حجم الكون ثابتاً لا يتسع ولا يضيق كما حسبه اينشتاين أولاً .
ولكن اذا كان الكون ينتفخ كما قال دي ستر ولومتر فالشعاع لا تعود الى حيث صدرت لان
مصدرها انتقل من مكانه وابتعد كثيراً . هذا هو رأي العلامة السر ارثر أدينغتون . ولكن لهذا
العاجز ملاحظة وضعية على هذا الرأي ، مع الاحترام الكلي للسر ارثر أدينغتون ، تؤيد الحاطر
الاول لنفس السبب الذي يستعين به أدينغتون : وهو : نعم ان الكون متفخ ومصدر الشعاع منتقل
من مكانه في الفضاء المطلق ولكنه غير منتقل من مكانه في الحيز الكوني المتفخ . نعم ان الطريق
الدائري الذي سلك فيه النور استطال وابتعد عن مركز الكون . ولكن شعاع النور مازال
ملازماً هذا الطريق بحكم الجذب الجاذبي كما تقدم القول . فسيان عنده انتفخت دائرة هذا الطريق
او تقلصت فهو سائر فيها ملازماً لها في حالة تمددها

وانما يبقى علينا ان نحسب حساب مسير المجرة (التي صدرت منها الشعاع) في مجرى
السُّدُم الكوني المتتابع فهذا المسير لا يغير اتجاه مصدر الشعاع وانما يبعده عن اقبالها من ورائه
او يقربها الى اقبالها من امامه

كيف ابتداء تمدد الكون وكيف ينتهي

نعود الآن الى كيفية ابتداء تمدد الكون بحسب نظرية لومتر . المفهوم من نظريته التي ايدها
بالمعادلات الرياضية المسندة الى المعلومات عن ظاهرات الطبيعة والى الارصاد الفلكية — ان الحيز
الكوني ابتداءً تجمعاً كثيفاً جداً حيث تكونت الهيولى فيه كهارب وبروتونات وهي تدور
دورات محورية ودورات مركزية . اي ان افرادها كانت تدر على محاورها . وجماعات منها
تدور على محاور مجموعاتها . ثم لما صارت تتباعد عن المركز بقوة « الدفع الكوني » شرعت
الجماعات تدور حول مركزها وكلها تدور حول المركز الاصلي . وما زالت تتباعد حتى اصبحت
ماحول المركز فراغاً وما زال الفراغ يتسع وقشرته الهيولية تمط الى ان انفجر . فتمزقت جلده
الى مجرات كما تنفجر فقاعة الصابون اذا تماديت في نفخها . ثم استقلت كل منها عن الاخرى
واتسعت الرحاب بينها لتباعدتها هي . وانما بقيت قوة الجاذبية بينها كافية لحفظها في غلاف الحيز
الكوني . ولا يزال هذا الحيز ينتفخ على هذا النحو بزأي لومتر وفريد مان ودي ستر الى ان ينفجر
انفجاراً آخر يتضعض فيه توازنه الحالي ، وتتشتت المجرات تشتتاً فوضوياً وتتشرذ في الفضاء
اللامتناهي . في هذه الحالة يصبح التباعد بينها أسرع فأسرع الى ان يتجاوز سرعة النور . فلا
تعود المجرة الواحدة ترى طيف المجرة الاخرى لان نور هذه لا يدركها

ثم ماذا؟

في رأي بعضهم ومنهم السرحيمز حينئذ : حينئذ تكون اجرام الكون قد ذابت او قاربت الذوبان بفعل التشعيع الذي تنطلق به القوة وتتلاشى الذرات في فوتونات . وحينئذ قد تعود ذرات الهيدروجين الى مجمع آخر كتجمعها القديم لكي تعيد عملية تكوين الكون ، اما طبق الاصل او على نمط آخر الله اعلم كيف يكون

هل التمدد عام ؟

بقيت نقطة جوهرية قد تلوح في خاطر القارئ المفكر وهي : اذا كان « الدفع الكوني » سنة الوجود كسنة الجاذبية افلا يعمل عمله في المجرات نفسها ثم في الكوكبات العنقودية ثم في النظم الشمسية (ان كان تمت نظم اخرى غير نظامنا الشمسي) كما يعمل في كرة الكون بأكملها ؟ واذا كان يعمل عمله فيها فلا بد ان تنفخ احجام المجرات بدورها وتنفخ احجام الكوكبات وحجم النظام الشمسي ايضا . وبالاجمال يكون هذا الانتفاخ عاما على نسبة واحدة لكل جماعة مادية على قدرها

اجل ان هذه الملاحظة وجهة جدا . ولكن الواقع يناقضها . قد تقول : اني كيف يناقضها . فاقول : ان هذه النظرية قاتلة نفسها بنفسها لانه لو كان الانتفاخ او التمدد عاما بنسبة واحدة لكل سديم وكل جرم في كل جماعة مادية على قدرها لما كنا ندرکه بتنا ولا نحس به ولا نميزه لانه حينئذ يتمدد المتر الذي نقيس به والذراع والباع والكيلومتر والجزيء والذرة والكهرب والكرة الارضية والشمس والسيارات وبالتالي اجسامنا نفسها تتمدد وعبونا تتمدد ونظرنا يتمدد الخ فكيف نستطيع ان نميز هذا التمدد اذا لم يبق شيء في الوجود لم يصبه هذا التمدد لكي نقيس عليه ؟

فكون ارضادنا تدلنا على ان الاجرام تباعد بعضها عن بعض هو دليل واضح على ان الاجرام والمواد نفسها على اختلاف احجامها لم تتمدد بنسبة تمدد الحيز الذي تتحرك فيه . فالمجرات تتمدد اقل من تمدد الحيز الكوني . وكوكباتها Constellations تتمدد اقل منها . والانظمة الاخرى اقل فأقل كلما تجاوزنا الى الاحجام الصغيرة حتى انك تجد بعضها لا تزال في دور التقصص حاشية — نلفت نظر القارئ الى ان هذا البحث وامثاله من المباحث التي يطمح فيها العقل البشري الى استكناه اسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد لان المعلومات العلمية والارصاد والاكتشافات التي بنيت عليها ليست حقائق راهنة بل هي تقريبية . وربما تيسر لاهل العلم ان يؤكدوها او ينقضوها بنظريات اصح منها بما يستجد عندهم من معلومات اقرب الى الحقيقة . وفوق كل ذي علم عليم

شبرا

نقولا الحداد

الحضارة الحثية

أقدم آثار آسيا الصغرى وسوريا الشمالية

بقلم قبصر صادر

عضو جمعية المعاديات السورية

[اشتمل الجانب الاول من هذا المقال التاريخي النفيس على بحث في البعوث الحفرية التي تقبت عن آثار الحضارة الحثية في آسيا الصغرى وشمال سوريا من ايام لاروك الفرنسي سنة ١٧٢٢ الى الان ثم تلت ذلك كلمة في أصل الحثيين وحواضرهم الاربعة في آسيا الصغرى وهي كوثر ونازا وزليا وحاتوشا (راجع مقتطف ديسمبر ١٩٣٦ صفحة ٥٥٤ — ٥٥٩) وفي ما يلي نظرة في فتوحاتهم وفي عاصمتهم كركميش المشهورة : المحرر]

عكف خلفاء الملك غيتا على اتباع سياسة التوسع في بلاد اللويين الذين دلت الآثار على رسوخ قدمهم في آسيا الصغرى منذ ٢٥٠٠ سنة ق. م. فاجتاحها الحثيون القدماء في القرن التاسع عشر ق. م. ونخص منهم بالذكر الملك تورهاليا خليفة غيتا الأول وأولاده پارايا وپافا حتملا وقد تبين من حل رموز بعض الكتابات الحثية انه كان هنالك مملكة حصينة اسمها ثوريشا حندا دوحها ملك حثي يدعى تلابارنا وأخذ فتن الشعوب التي استعبدتها فيها فصار اسمه بمثابة لقب يطلق على جميع الملوك الحثيين الذين تعاقبوا على العرش من بعده كلقب الاغسطس والقيصر اللذين عند الرومان فتوسعت تخوم المملكة الحثية كثيراً على عهد هذا العاهل البطل ثم حذا حذوه كل من الملوك حاتوشيل الاول ومورسيل الاول فافتتحا سوريا الشمالية وتوغلا فيها وقد كانت حلب في ذلك العهد البعيد عاصمة مملكة مستقلة حصينة فراها حاتوشيل الاول رعاية واسعة وأغدق عليها النعم بالنظر الى مركزها الجغرافي ومطامع الاستعمارية في البلاد المجاورة فزهت في أيامه وازدادت ازدهاراً ولكن خليفته مورسيل الاول ما لبث ان ندم على خطئه

انعاش هذه المملكة التي قويت شوكتها وأخذت تطمع في توسيع حدودها مناصبة جيرانها الحثيين العداء فزحف عليها بجيوشه الجرارة ودمرها تدميراً بعد أن أسر ملكها وبعثه سجيناً إلى عاصمته حاتوشا ثم واصل زحفه على بابل في القرن الثامن عشر ق. م. وكان ملكها يدعى سامصوديتانا من ملوك السلالة البابلية الأولى التي تحدّر منها حمورابي الشهير فاكسح الملك الحثي مدينة النور في تلك العصور وسلب مغانمها وعكف عنها راجعاً إلى عاصمته بكنوز لا تحصى فازدادت حاتوشا منذ ذلك العهد غناء وعمراناً وأصبحت قاعدة الحثيين الكبرى حتى أضطحلل أثرهم من آسيا الصغرى. وقد عثر في مكتبتها العامرة على لأحة تضم أسماء أحد عشر ملكاً خلفوا الملوك المتقدمين المذكورين. بيد أنه لم يتسنّ لنا بعد أن نقف على أعمالهم إلا واحداً يدعى تلالينو عاش في القرن السابع عشر ق. م. فقد اضطّر هذا الملك على ما تخبرنا المخطوطات القديمة أن يقضي معظم عهد ملكه جاداً وراء أقوام همجية انتشروا في شمالي مملكته انتشاراً مخيفاً فأبلى في محاربتهم بلاءً حسناً ووقع فتناً عديدة كانت تثيرها الشعوب المستعبدة طلباً لتحريرها من قيود الاستعمار الحثي. والخلاصة أن عهده كان عهد شؤم وشدة وهو يعزو ذلك في اعتراف له إلى المأساة التي أحاطت بظروف تسنمه العرش إذ لم يتوصل إليه إلا بعد أن أباد جميع منافسيه وحمى أثرهم ثم ندم على فعلته وخشي عقابها فعفا عن سائر خصومه الذين بقوا في قيد الحياة تكفيراً عن سيئاته ونظم مجلساً عالياً للتأمين على خلافة الملك من بعده وفقاً لقواعد الوراثة الشرعية. وهنا تقطع عنا أخبار الحثيين ردحاً يقرب من ثلاثة أحقاب فاصلة بين سنة ١٦٨٠ وسنة ١٤٥٠ ق. م. إذ لم يعثر على أثر يدلنا على حوادثهم في هذا العهد الحالي بين كل المكتشفات المتواصلة إلى يومنا فعمى أن تأتينا الحفريات القادمة بما يسد هذا الفراغ. على أنه يلوح من قرآن الحال حدوث كسوفٍ للسلطة الحثية خلال هذه الفترة واندحار في صفوفها مما سمح للميتانيين أن يبلغوا ضفاف العاصي والعصريين أن يغزوا بلاد كنعان من غير أن يصدوا بمقاومة جديرة بالذكر بيد أنه ما عمت تلك الدولة العظيمة أن استعادت صولاتها على عهد تودهااليا الثاني الذي دشّن عصور النهضة بفتوحاته الموفقة في أواخر القرن الخامس عشر ق. م. وكان له في تاريخ المملكة الحثية شأن خطير. وما ذكر له أنه استعاد في سنة ١٤٢٠ ق. م. مملكة حلبا أي حلب إلى حيازة الحثيين بعد أن خرجت عليهم زمناً طويلاً. ثم عقبه في الملك حاتوشيل الثاني الذي أحرز انتصارات باهرة في سائر مدن سوريا الشمالية.

أما خليفته تودهااليا الثالث فقد منى بانكسارات شديدة حملت ابنه على قتله لانتشال المملكة من وهدة الخراب التي اشرفت عليها فصعد على العرش من بعده الدرغام سويلوليوما (١٣٤٧ - ١٣٨٧ ق. م.) وهو أكبر ملك في سلالة الملوك الحثيين وأعزهم شأنًا. وقد وقفنا على معظم الحوادث

الخطيرة التي جرت على عهده بفضل المعاهدات التي عقدها مع الدول المجاورة ودونها على الواح خالدة والحروب التي نقش موقع انتصاراته فيها على الانصاب الحجرية ، تلك التي عثر عليها البحاثة الاثري كافينيك واستدل منها على ان هذا الملك توغل في سوريا حتى بلغ اقصى حدودها متنهزاً وقوع الشقاق في صفوف محاربيه ثم استولى على مدينة عيسوى القائمة على ضفة الدجلة الشمالية شرقي ملاطية وتحالف مع ملك علشة الواقعة في شمالي عيسوى وطوق بمالك الحورين والميتانيين ودانت له بلاد كثيرة نخص منها بالذكر كركميش ثم زحف على بلاد كنعان واجتاح بطريقه قطنا فدمرها وحارب جيوش مدينة قادش وامتد نفوذه حتى اوغاريت المعروفة برأس الشمراء قرب اللاذقية التي كانت مستعمرة مصرية في ذلك العهد

بين المصريين والحثيين

وقد جاءت رسائل تل العمارنة شاهدة صراحة على ما بلغ اليه هذا الملك العظيم وعلاوة على ما تقدم ابانت تحريره مقاطعة غربي الفرات من حكم الدولة الميتانية بجنكته ودهاء دون ان يلجأ الى سفك الدماء . وبينما كان يعد عدته للقيام بغارة على مستعمرات مصر في سواحل سورية طرأت اضطرابات خطيرة في اسيا الصغرى بين سنة ١٣٧٨ وسنة ١٣٥٨ ق.م اضطرت به الى ان يشخص اليها ويتفني عن تلك الحملة التي كان ناولها على انه ما لبث بعد اخذ تلك الاضطرابات ان عاد الى سورية وقع حروبا اهلية كانت قائمة في بلاد الميتانيين وتوج على هذه المقاطعة صهره ما تيعودا ثم اقام احد ابناؤه المدعو بياسيل ملكاً على كركميش وآخر ملكاً على حلب فحصن بذلك تخوم مملكته من غارات العدو وذاع صيته في مشارق الارض فبلغ مسامع ملكة مصر ارملة الفرعون آي خليفة توتنخ آمون آخر ملوك السلالة الثامنة الذي عاجلته المنية في العام الثاني من ملكه فبعثت تتوسل اليه ان يوفد اليها احد ابناؤه لتجعله قريباً لها وخاطبته بهذا التعبير « مات زوجي ولم يخلف وارثاً للعرش وقد قيل لي ان اولادكم كثيرون فما ضركم لو بعثتم لي واحداً منهم لاقرن به وآمن من خشية الاضطراب الى الزواج من احد عبيدي . » فلم يرتح سيپوليوما الى طلبها واوفد احد عماله ليستوثق منها فاردفت تخاطبه برسالة ثانية قائلة : « لم شككم بحسن طويتنا وظنتم اتنا اياكم خادعون . لو كان لي ابن لما تذلت الى الغريب . قلت لكم ان زوجي قد مات ولم يخلف وارثاً للملك فاعطوني واحداً من اولادكم الكثيرين لاجعله زوجاً لي وأبوتاً لعرش مصر . ثنوا اني لم اكتب الى احد غيركم . اعله يحسن لديكم ان تزوج من احد عبيدي . » فاختار عندئذ سيپوليوما احد ابناؤه واوفده اليها ليكون ملكاً على مصر ولكنها قبل ان يتسلم ذلك الشبل الحثي عرش الفراغة حكمت حوله دسيسة اغتيل فيها بيد ائيمة ونادى

حوراجيب بنفسه ملكاً على وادي النيل فصدق عندئذ سوء ظن ملك الحثيين وكتب رسالة وصلت مبتورة لا يدينا يشكو فيها من اغتيال ابنه مر الشكوى ويتوعد مصر بالانتقام وكتب ابنه ارنوفنتا الذي كان نائب ملكه ان يأخذ بثأر اخيه وقد تباهى الحثيون عقيب ذلك بأنهم ازلوا بالمصريين عقاباً الباء على انه لم يدم ملك ارنوفنتا طويلاً فاعتلى العرش اخوه مورسيل الثاني سنة ١٣٤٧ ق.م وكانت الملكة ارملة سيموليوما على قيد الحياة تحمل لقب « ام الاله » كما سنراه في سياق الحديث عن انظمة الحثيين وعقائدهم الدينية فلم تبرز مع كنفها التي ما عثمت ان ماتت مسمومة عام ١٣٤٠ ق.م. فأقصى الملك عندئذ امه عن العرش وعين لها محلاً للإقامة وفّر لها فيه كل صنوف الرفاهية بيد انها لم تلبث ان ماتت هي ايضاً بعد كنفها بقليل فخامر الرب الظنون في ان تكون قتلت قتلاً اذ نرى حاتوشيل الثالث خليفة مورسيل الثاني يستغفر الآلهة عن هذا الإثم ويتصل منه بزعم انه كان صغيراً لا يعي

ويتخلل هذه البرهة نشوب ثورات دموية في الممالك الحثية وقيام الشعوب المغلوبة على ملكها مما اقلق مضاجعهم ففاضل جبارة وقوي في النتيجة على قمع ثوراتهم وقتلهم وارجعهم الى السكينة وولّى احد اولاده على كركيش وابن عمه على حلب ثم انهمك في مطاردة البرابرة الذين غشوا شمالي غربي اسيا الصغرى فدارت بين الطرفين رحى حرب عوان ابلى فيها الجيش الحثي بلاءً مجيداً وبعد وفاة هذا الملك عام ١٣٢٠ ق.م اشتبك الحثيون بحروب عنيفة مع المصريين على عهد مواعلو بن مورسيل الثاني وسقى الاول فرعون مصر مما تحوّلت معه سياسة الدولة الحثية تحوّلاً جديداً فاضطرت الى موالاته الدول المجاورة والتحالف معها بغية التغلب على هؤلاء الاعداء الالاء

وقد نشبت معظم المعارك بين الطرفين في قادش الواقعة جنوبي بحيرة حمص وقد كانت هذه المدينة في حيازة الحثيين بمثابة حصن يصمد خطى العدو المصري عن التقدم شمالاً غير ان مواعلو اندحر عندها في سنة ١٣٠٨ ق.م كما تشير الى ذلك مسألة اقامها فرعون مصر قرب البحيرة تذكراً لاتصاره عليه واكتشفها مسيو پيزار في أثناء حفرياته سنة ١٩٢١ في ذلك الموقع المسمى اليوم تل نبي مند. فترينا نقوش هذه المسلة الفرعون ستي يتقبل عكاز النصر من الآراميين وقد وقف خلفه الاله سوتخ الآسيوي وآلهة قادش الموالية لمصر. على ان قادش لم تلبث طويلاً في أيدي المصريين بل عادت الى الحثيين على الرغم من انهما كهم في تلك الآونة بالقضاء على الفوضى التي تفشت في سائر مستعمراتهم والخسائر التي منوا بها في شمال مملكتهم

ومما نخبرنا به الكتابات الهيروغليفية ونقوش مصر الخالدة ان رمسيس الثاني الذي ملك من سنة ١٢٩٨ حتى سنة ١٢٣٢ ق.م خرج في اوائل عهده يفقد ممتلكاته في سوريا فلما وصل الى

نهر السكاب عند مدخل بيروت التي كانت منتهى حدود البلاد الخاضعة لسلطته نقش ذكرى مروره على صخرة بارزة في الجبل ونظر الى الشمال فتاقت نفسه الى الاستيلاء على سائر السواحل العامرة كجبيل واوغاريت (رأس الشمراء) وغيرها مما كان تحت سطوة النفوذ الحثي فادرك مواعيل ما ربه الاستعمارية واستثار حمية مختلف الشعوب القاطنة في الانحاء السورية بما فيها البرابرة والعشائر الرحل الذين كان دأبهم الغزو والسلب وحشد منهم جيشاً جلياً ضم اليه ٣٥٠٠ عربية حربية وكن لخصمه بالمرصاد وراء حصون قادش فتقدم رعمسيس الى الشمال فاتحاً في طليعة جيوشه السود في ربيع سنة ١٢٩٤ ق.م. وبلغ ابواب قادش وبينما كان يتحفز لاقتحام هذه المدينة خرج عليه الجيش الحثي وباغته مباغته لانه لم يكن يحسب ان يتلقاه الا عند ابواب حلب فالتحم الفريقان بحرب سجل ابيدت فيها مقدمة الجيش المصري عن بكرة أبيها وكادت تقضي على البقية الباقية لو لم ينصرف هم البرابرة الى نهب الغنائم التي تركها المصريون وراءهم فانهم رعمسيس هذه الفرصة الثمينة وجمع فلول جيشه ثم استنجد بالفينيقيين المقيمين في السواحل الموالية له واعاد الكرة على عدوه فانقض عليه كالصاعقة واحرز النصر ببسالة منقطعة النظير فسقطت اشلاء الحثيين بالالوف صرعى في السهول والذين ولوا الادبار غرقوا في مياه العاصي فخلد رعمسيس هذه الموقعة الكبرى بنقشها على جدران الكرنك واعمد الاقصر حيث يشاهد حصن قادش في جزيرة تحيط بها مياه العاصي وحامية الحثيين على اسواره ويرى بمنة فرق من الحرس خارجة من الحصن تهاجم العدو ويسرة رجال يعنون بانقاذ امير غريق هو مليك حلب ونقش في أسفل تلك المشاهد مواكب فرسان الحثيين واقفين بمنة ومواكب فرسان المصريين يسرة كأنهم متأهبون للنزال. ومع اندحار الحثيين ثانية بقيت قادش في حيازتهم

وبينما كان مواعيل يستجم قواه لحوض غمار حرب جديدة وافاه اجله سنة ١٢٩٢ ق.م. خلفه اورحي تحشوب الذي ملك من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٨٥ ق.م. ثم حاتوشيل الثالث. وقد بدأ عاهل الاشوريين سلمنصر الاول (١٢٦٠ - ١٢٨٠) يعمل نفسه على عهد هذا الملك بالبلاد الحثية العامرة بعد ان قويت شوكته وامتد نفوذه الى حدود الدول المجاورة فحثي الحثيون بأسه واتقوا شر الوقوع تحت رحى حرب طاحنة فراحوا يوطدون دعائم السلم ما بينهم وبين مصر ليتفرغوا للمناجزة عدوهم الجديد ففاوضوا رعمسيس بالصلح مفاوضة الند للند وعقدوا معه في سنة (١٢٧٨) ق.م. معاهدة تحالف استوت فيها شروط الفريقين على قاعدة واحدة وصار فرعون مصر يلقب عدوه اللعين بالامس باحسن الالقاب مثل «يا اخا الشمس» وقد عثر على نسختي هذه المعاهدة المتبادلة بين الملكين الكبيرين فوجدت احدها محفورة بالخط الحثي على لوح من الفضة وممورة بطابع الملك حاتوشيل الثالث والاخرى مكتوبة على الآجر باللغة

المصرية مقرونة بترجمتها الى البابلية بتوقيع فرعون مصر وتتلخص بنودها الطويلة في ان الفريقين يتبادلان في سنة ٢١ من ملك رمسيس الاقرار بمهد السلام بينهما ويتواعدان بمواصلة العلاقات الطيبة بين القطرين وتعيين الحدود بينهما وعدم التنازع عليها وتأييد منطوق الماهدات الجارية بين الاسلاف ثم يلتزم كل منهما بضرورة التعاون المشترك لصد غارات العدو المداهمة وتأديب العصاة وطرد الملتجئين من العبيد الهاريين وبوجوب المحافظة المتبادلة على نظام الخلافة في الملك وينزلان في ختامها لعنة الف آله مصري والف آخر حتي على كل من يجسر ان يعيث بها ويستمطر ان الغبطة والبركة على من يتقيد بنصوصها وقد وجد في النسخة الفضية على كل من صفحتها صورة الملك والملكة تحميها الآلهة الحثية^(١). وبما مكن اواصر الصداقة بين الطرفين زواج رمسيس الثاني من ابنة حاتوشيل البكر سنة ١٢٦٦ ق.م ودعوته حماه الى زيارة مصر واهدائه تحفاً ثمينة بمقابل ما حملته له عروسه معها ويلوح من رسائل الثناء والشكر التي كانت تبعث بها هذه العروس الى اختها التي كانت ملكة احدى المقاطعات الحثية انها قضت حياة سعيدة بجوار زوجها المصري وقد قال العالم الاثري الاستاذ مورر ان مصر اكبرت نعمة هذا القران وأشادت بذكره ونقشت صور حفلاته على جدران معبد ابي سنبل لاتقائها بذلك غائلة حرب ضروس

العاصمة كركميش

اذا أخذنا بما اكتشف في اعماق اطلال كركميش من الماعون المنحوت من الصوان يرتقي بنا عهد هذه المدينة الى الأزمنة التي قبل التاريخ فيظهر ان شعباً لا يزال مجهولاً اختطها في ذلك العصر الصواني العريق في القدم ثم ثقلت الى ايدي شعوب عديدة حتى انتهت الى الحثيين في القرن الخامس عشر ق.م كما المعنا الى ذلك في سياق الحديث عن فتوحاتهم. وقد أخذت هذه المدينة منذ الاحتلال الحثي تتقدم سريعاً في معارج الحضارة بالنظر الى موقعها على ملتقى طرق القوافل التجارية حتى تفوقت على سائر الحواضر الحثية رقياً وعمراناً وأصبحت مع توالي الايام تعد من اكبر العواصم الحثية ومن أهم مراكزهم الحربية في مناجزة الاشوريين لانها كانت على ضفة الفرات بمثابة مفتاح سوريا من جهة المشرق ولذلك بالغ الحثيون في مناعة تحصينها وسموها كركميش بمعنى حصن الآله كيمش

وما كاد يسطع نجم هذه العاصمة الجديدة حتى اخذت مملكة حاتوشا القديمة تنحط انحطاطاً عاجلاً الى ان ادركها الفناء في القرن الثاني عشر ق.م كما يؤخذ من بعض الاسانيد الاشورية وتعزى علة اضمحلالها الى الشأو الرفيع الذي بلغته من الرقي وال عمران في ايام مجدها مما جعلها مطمح انظار ملوك اشور الاقوياء وقبلة مطامعهم فناصروها العداء زمناً مديداً وحملوا عليها حملات

(١) راجع مقتطف اكتوبر ١٩٣٦ صفحة ٣٢٨ مقال الدكتور حسن كمال فيه تفصيلات هذه المعاهدة

شعواء لم تقو على مقاومتها طويلاً بسبب خيانة حاميتها التي كان معظمها من عناصر متنافرة تضرر لسادتها البغضاء فلما انتهزت فرصة ضعفهم نكبت بهم وولت الادبار فنفككت عندئذ روابط وحدة المملكة وتنازعها عوامل الشقاق فتخاذلت قواها واستسلمت للفزاة الذين سلبوا كنوز قصورها وقوّضوا اركان معابدها وطمسوا معالمها تحت اطلال الردم

فلما مني الحثيون بهذه الخسائر الفادحة آمنت الشعوب الراححة تحت نير عبوديتهم ضعفاً في كيانهم فثارت عليهم ثورتها الكبرى محررة نفسها من نير استعمارهم فتمزق بذلك شمل المملكة الحثية في اسيا الصغرى وسرعان ما طغى عليها الاشوريون وساموا من بقي فيها من الحثيين صنوف الذل والعذاب فاضطر هؤلاء أن يهاجروا الى الجنوب ويتحصنوا في مملكتهم الجديدة فازدادت كركميش على اثر هذه الهجرة ازدهاراً

ولعل ذلك كان آخر لمعة لحضارتها الحثية المشرفة على الانطفاء اذ لحق الاشوريون باولئك المهاجرين وتغلغلوا تدريجاً في احشاء المملكة الجديدة قصد الاستيلاء عليها بالسياسة والدهاء بعد ان تغلبوا على معظم البلاد المنتشرة في سائر الانحاء السورية ودليلنا على ذلك ان مصر قد استعرفت في سنة ١١١٠ ق.م الملك الاشوري تغلا تغلا صار الاول سيداً على سوريا وفلسطين وما بين النهرين على ان كركميش ظلت ثابتة القدم في المقاومة شاحخة الرأس في الحصار عدة اجيال حتي اذها اشور ناصريال الثاني في سنة ٨٧٦ ق.م على عهد مليكها سنغارا فسقطت عندئذ الدولة الحثية من اعالي المجد الى هاوية الفناء ولم يبق من جيوشها الجرارة غير قلوب تبعثرت بعد محاولات فاشلة وباد ذكرها من تاريخ الامم

وقد حفظت لنا اطلال كركميش في طياتها اثراً نفيساً من البروتز . رينا سنغار آخر ملك حثي يقدم لنا ملك اشور القاهر ابنته مع مغنم بلاده وهو منكوس الرأس خضوعاً وخجلاً فيستنتج مما تقدم ان اولئك الحثيين المتحدرين من العرق الآري قد شغلوا دوراً خطيراً في حضارات الشرق وكانوا على غاية من القوة وحب الاستقلال فهاموا بالحروب ودوخوا شعوب اسيا الصغرى وسوريا الشمالية وشادوا في ديارها مملكة عظيمة ثم قاوموا اقوى دول الارض على عهدهم وحملوها على خطب ودهم ومفاوضتهم بالسلم مفاوضة الند للند

وعند ما دالت دولتهم في الشمال جنحوا الى التحصن في جنوبي مملكتهم وناجزوا اعداءهم الاقوياء اجيالاً طويلة من غير ان يتطرق اليأس الى قلوبهم فزادوا عن كيانهم حتي الرمق الاخير ثم لما انهارت صروح مملكتهم تركوا وراءهم آثاراً خالدة منها كركميش ذات القلاع المنيعه والابراج الضخمة التي ظلت بعد اندثارهم بقرون شاهداً صراحاً على ما بلغت به فضله من الرقي والعمران

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرمياطي

— ١٥ —

الكرنب العادي

وجاء في بعض المراجع أنه (الكرنب) و(الكرنب) و(بقلة الانصار)^(١) وفي الشام (الملفوف) عشب يعيش سنتين دائم الاخضرار أوراقه لحمية على نوع ما ملتوية أو منحنية الى خلف أو أعلى أو ذات فصوص وتكون ملساء في صغرها تكسوها مادة كالغبار خضراء تضرب الى الزرقة وهذه الاوراق تجتمع في رأس يتفاوت في حجمه بين جوزة الهند العادية الى ما يزيد عرضه عن ياردة وأزهاره صفراء

اسمه العلمي (Brassica oleracea, L. capitata) (براسيكا او لراسيا قيتاتا)^(٢) وفضيلته الصليبية (Cruciferae) (كروسيفرية)

وبالانجليزية (garden cabbage; white cabbage; common or drumhead cabbage)

والفرنسية (chou cabus ; chou pommé a feuilles lisses; chou blanc)

وهو شائع في أنحاء المعمورة ومحبوب في مصر يزرع أهلها كثيراً لاستعماله في الطبخ أو في السلاطة أو في الخللات

وتجود زراعته في الأرض الطميّة المحضبة بكثرة وافرة من السهاد العضويّ القويّ كالتفامات المتخلفة في المجازر (السلخانات) ومن الدم المجفف الى غير ذلك

(١) وفي بعض المراجع أنها القرنيط او القنيط

(٢) برجع الفضل في البحث عن الأصل في اشتقاق كلمة براسيكا (Brassica) اسم جنس الكرنب الى العلماء النوانغ وسيوس (Vossius) وراي (Ray) ودالشان (Dalechamp) وغيرهم فهم الذين قالوا بأن ذلك الاسم من اصل (سلتى) هو كلمة برسيق (bresic) بمعنى كرنب

أما أشهر أصنافه في مصر فتلاثة وهي (البلدي) و (الأحمر أو الفرنسي) ^(١) و (البطّة) ومن هذا الأخير صنفان اسمهما بالفرنسية: (chou de Brunswick à pied court) و (chou Quintal d'Alsace)

وأما الكرنب البري واسمهُ العلمي (Brassica oleracea, L.) (براسيكا اولراسيا) وبالانجليزية (wild cabbage) والفرنسية (chou sauvage) وهو الذي ينبت بطبيعته على هضاب الشواطئ البحرية في جنوب إنجلترا وجهات مختلفة في شمال أوروبا فإنه يُدر وجود أشباه له في عالم النبات لما قد تولّد عنه من الاصناف الكثيرة التي تختلف عنه في أشكالها وخواصها اختلافاً شديداً لانا اذا قارناه بالكرنب الأحمر والقرنبيط مثلاً وجدنا الاختلاف كبيراً فيما بينهما وبينهما على الرغم من انه يُعتبر الأصل الذي تولّدا عنه هما وأصناف أخرى بطرق الفلاحة من قديم الزمن. وهو نبات يعيش سنتين أو يعمر ساقه ثخينة قائمة ترتفع الى قدم أو قدمين أوراقه خضراء تضرب الى الزرقة السفلى منها كبيرة عريضة قليلة الشكل حافظتها ذوات فصوص والعليا اصغر منها عديمة الاعناق (جالسة) وليس له رأس البتة وأزهاره صفراء فاتحة تشبه أزهار الخردل البري المعروف في مصر (بالقرلة) أو (بكبّر العفريت) المسمى علمياً (Brassica Sinapis, Vis.) (براسيكا سيناپيس) أو (Sinapis arvensis, L.) (سيناپيس ارونسيس) وبالانجليزية (wild mustard or charlock) والفرنسية (moutarde sauvage; moutarde des champs; senevé des champs; sauve; sauve)

القرنبيط أو القرنبيط

صنف تولّد أيضاً عن الكرنب البري وأهم فارق بينهما وبين الكرنب على الإطلاق أن نورتة تضخم وتصبح رأساً يضرب الى البياض وهو الذي يؤكل منه فقط اسمه العلمي (Brassica oleracea, L. botrytis cauliflora) (براسيكا اولراسيا بوتريتيس قوليفلورا) وبالانجليزية (cauliflower) والفرنسية (chou-fleur) شائع كالكرنب في انحاء المعمورة وهو من الخضّر المرغوب فيها كثيراً في مصر وأوروبا يطهى أو يحفظ ضمن المحللات وتجود زراعته في الارض التي يزرع فيها الكرنب بحيث ينحصر بالمقدار نفسه الذي يسمد به الكرنب

(١) ويسمى علمياً في بعض المراجع (Brassica oleracea, L. rubra) (براسيكا اولراسيا روبرا) وبالانجليزية (red or pickling cabbage) والفرنسية (chou rouge) واكثر استعماله في المحللات ويطبخ أحياناً

البروكولي

صنف من القرنبيط تضخم نورته وتصير لحمية وهي التي تؤكل فقط كالقرنبيط
اسمها العلمي (*Brassica oleracea, L. botrytis asparagoides*) (براسيكا اولراسيا
بوتريتيس اسبرغويديس) أو (*Brassica oleracea, L. botrytis pompejana*) (براسيكا
اولراسيا بوتريتيس پومپيانا) أو (*Brassica oleracea, L. botrytis cymosa*) (براسيكا
اولراسيا بوتريتيس سيموزا) وبالانجليزية (brocoli or broccoli) والفرنسية (chou - brocolis)
شائع كالكرنب العادي ويزرع في مصر احياناً ولكنه مرغوب فيه كثيراً بأوروبا يستعمل في
الطبخ أو يحفظ في الخللات

الكرنب اللفتي أو الافرنجي

ويقال له في مصر (ابوركة) صنف من الكرنب تضخم ساقه وتصير لحمية وهي التي تؤكل منه فقط
اسمها العلمي (*Brassica oleracea, L. caulo - rapa*) (براسيكا اولراسيا قولورابا) أو
(*Brassica oleracea, L. gongylodes*) (براسيكا اولراسيا غونيلودس) وبالانجليزية
(chou - rave) والفرنسية (knol - khol; kohl - rabi; turnip - rooted cabbage)
شائع كالكرنب وكان لا يستعمل قديماً الاّ علقاً للغنم والبقر بأوروبا ولكنه الآن نظراً
الى قيمته الغذائية يفضلونه عن اللفت في فرنسا ويعطونه علقاً لتسمين الماشية المجترّة وبخاصة
ماشية الحليب لانه يحسّن لبنها وزبدها اذا اكلت منه كما وأنه من الخضراوات المرغوبة يزرع في
البساتين ويطهى عادة في الحساء (الشوربة) وطعمه كاللفت تقريباً
وهو من جهة اوراقه صنفان ذو اوراق خضراء وذو اوراق ارجوانية والاوّل هو المفضل
أما اصنافه المنزرعة في مصر فتلاثة معروفة بالاسماء الفرنسية الاتية :
(chou - rave blanc hâtif de Vienne) و (chou - rave blanc ordinaire)
و (chou - rave violet hâtif de Vienne)

الكرنب مجمّد الورق

ويقال له في مصر (الكرنب المخرفش) وهو صنف من الكرنب الاّ أنه مجمّد الورق
اسمها العلمي (*Brassica oleracea, L. bullata major*) (براسيكا اولراسيا بولاتا مايور)
أو (*Brassica oleracea, L. sabauda*) (براسيكا اولراسيا سابودا) وبالانجليزية
(Savoy cabbage) والفرنسية (chou pommé frisé و chou de Milan; chou de Savoie)
شائع كالكرنب العادي ويزرع كثيراً في أوروبا ومصر لاستعماله في الطبخ الى غير ذلك

كُرُنْب بروكسيل

صنف من الكرنب يمتاز بالكرنبات الصغيرة (البراعم) التي تنبت في آباط جميع الاوراق الموجودة على ساقه الاصلية وهذه الكرنبات هي التي تطهى وتؤكل
اسمه العلمي (*Brassica oleracea, L. bullata gemmifera*) (براسيكا اولراسيا بولانا غميفرا)
و (*Brassica oleracea, L. sabauda gemmifera*) (براسيكا اولراسيا سابودا غميفرا) وبالانجليزية
(brussels-sprouts) والفرنسية (chou de Bruxelles)

شائع كالكربن العادي ويزرع قليلاً في مصر ولكنه مرغوب فيه عند الافرنج

الكُرُنْب الصيني

وهو في لغة الصينيين (باكشوي) (*Pak-choi*) و (بيتساي) (*Pe-tsai*) ويكون
أقرب شبيهاً الى الهندباء والخس منه باصناف الكرنب مع أنه كرنب حقيقي أوراقه غير محددة
القمة ذات فصوص ريشية مستنة الحافة وأزهاره صفراء
اسمه العلمي (*Brassica campestris, L. var. chinensis*) (براسيكا قمبستريس شينسيس) او
(*Brassica chinensis, L.*) (براسيكا شينسيس) او (*Brassica sinensis*) (براسيكا سينسيس)
وبالانجليزية (Chinese cabbage) والفرنسية (chou de Shangton; chou de Chine)

يزرع في الصين موطنه واشتهر زمناً طويلاً في فرنسا وايطاليا وجنوب اوربا وانتشرت
زراعته في غير هذه البلاد ما عدا مصر في اوائل القرن العشرين وأهل فرنسا يسلقون اوراقه
ويأكلونها. أما في بلاد الانجليز فكثيراً ما تطهى عروق الاوراق فقط وتؤكل كما يؤكل الهليون
وقد تصنع من الاوراق سلاطة جيدة بدلاً من الخس والهندباء

الكُرُنْب الاخضر

ويقال له في مصر (المشرشر) صنف تولد ايضاً عن الكرنب البري

اسمه العلمي (*Brassica oleracea, L. acephala*) (براسيكا اولراسيا آسيفالا)
او (*Brassica oleracea, L. sabellica*) (براسيكا اولراسيا سابلিকা)
او (*Brassica oleracea, L. fimbriata*) (براسيكا اولراسيا فمبرياتا)
وبالانجليزية (borecole; kale; curly greens) والفرنسية (chou vert)

شائع في اوربا وناذر في مصر وأهل فرنسا يعطون اغصانه علفاً لماشيهم

حيوانات مشهورة

وصحة اسمائها

للمصنف الركنور ابن المعروف

هي حيوانات مشهورة لكن ترجمتها أو التعبير عنها في غالب الأحيان خطأ وهي قليلة جداً
تعد على أصابع اليد فرأيت أن أنشرها هنا مع صحة ترجمتها فإنه لا يليق بالجرائد اليومية ذكرها
على خطأها فالجرائد جعلت لتعليم الناس لا لتضليلهم والآن ابدأ بالسباع وهي ستة فقط
وأوردها مختصراً ثم تليها أربعة من سباع الطير

Lion

أسد وأسماءه كثيرة

والعامية في مصر والشام تقول السبع وهو المفترس من الحيوان مطلقاً فلا يفضل أن لا يقال
السبع إلا بمعناها الحقيقي كما في سورة المائدة « وما أكل السبع » فمعناها هنا المفترس من الحيوان
كالأسد والنمر والفهد والذئب وغيرها

Tiger

بَئَر

والبعض يقولون نمر هندي وقهد وكله خطأ فجماعة السنما يقولون قهد وهم ليسوا من علماء
الحيوان في ما أعلم ويقول غيرهم نمر مخطط واللغة لا تميزه لأن النمر لا يكون إلا نمر أي مرقط
ويكفي أن البير وارد في كيلة ودمنة لابن المقفع والكلمة سنسكريتية معربة والمغرب
كالعربي في حكمه فالسيو كمنصو كان لقبه البير وبعض الجرائد تقول النمر خطأ والكلمة فصيحة
فلماذا لا نستعملها

Leopard or Panther

نَمِير ونَمِر ونَمَر

سمي بذلك للنمر التي فيه أي الرقط والبعض يقولون نمر مرقط فإن النمر لا يكون إلا نمر

فكلمة نمر معناها مرقط أو أتمر . وهناك نمر أسود وهو نمر أسود والنمر التي فيه خفية جداً فيظهر كأنه أسود وفي حديقة الحيزة واحد منه

Hunting leopard or Chita

فهد

وهو سبع بين الكلب والنمر مرقط كالنمر وإنما رقطه متفرقة لا تجتمع كالحلق كما في النمر وليس لمخالبه أكام كمخالب النمر فهو بذلك كالكلب

Lynx

وشق

سبع أملح طويل القوائم قصير الذنب في أعلى أذنيه جمّة من الشعر الأسود وهو أكبر من عناق الأرض وأصغر من النمر فتلك سفك للدماء ولعله الشيب وقد انقرض من الشام والعراق

Caracal or Red Lynx

عنق الأرض

سبع بين القط والكلب أحمر اللون في أعلى أذنيه شعرات سود اسمها بالفارسية سياه كوش وبالتركية قره قولق ومنه اسمها الأفرنجي ويقال له في السودان أم ريشات لهذه الشعرات السود في أعلى أذنيه وهو جميل المنظر جداً يرى واحد منه أو أكثر في حديقة الحيزة . وعنق الأرض ليس الغرير كما في بعض المؤلفات

سباع الطير أي الجوارح . ذكرت السباع المشهورة وصحة ترجمتها وأنا ذاكر الآن سباع الطير المشهورة وصحة ترجمتها وهي ما يأتي :

Eagle

عُقاب . مؤنثة تقع على الذكر والأُنثى جمعها أعقب وعقبان وعقاين

طائر من سباع الطير لا تقع على الحيف إلا إذا عضها الجوع قوية المخالب مسرولة أي في ساقها ريش لها منسر أعقف لسقت به بالشغواء واللقواء لتعقفه وزيادة اعلاه على أسفله

Vulture or Griffon vulture

نَسْر

طائر من سباع الطير لكنه ليس من عتاقها يقع على الحيف وفلما يصيد وهو أعظم من العقاب شره هم رغب له منسر منعقف في طرفه فقط ولا ريش في رأسه وعنقه بل فيهما زغب أبيض قصير وهو عاري الساقين بخلاف العقاب فانها مسرولة الساقين والرجلين . وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا ويعرف بالنسر عند المتكلمين بالعربية من المغرب الأقصى الى العراق ومن سورية شمالاً الى اليمن جنوباً

ومن دواعي الأسف ان الطائر الاول مترجم في التوراة الانجليزية والفرنسية خطأً وحقه ان يترجم بالكلمة الثانية اي النسر وهو صواب في الترجمة العربية والأصل العبراني وقد جرى الكتاب على هذه الترجمة المغلوطة الى يومنا فقولهم النسور المصرية اي الطائرات خطأ اذا كانوا يريدون بها الكلمة الأولى وحقهم ان يقولوا العقبان المصرية وقولهم فرخ النسر لابن نابليون خطأ وصوابه فرخ العقاب كذلك راية قريش والفرس والرومان والفرنسيين في زمن الامبراطورية وغيرهم فجميع هذه الألفاظ حقها ان تترجم بالعقاب . ويقال وسام العقاب لا وسام النسر وهو وسام مشهور عند الالمان . ثم ان طائرة الملك غازي اسمها العقاب لا النسر، فالملك القرشي لا يمكن ان يسمي طائره بالنسر . وان قيل ان هذين اللفظين قد ترجما بالنسر والعقاب من قبيل قولنا الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور أقول ان هذا القول لا يقال عن العقاب والنسر لان هذا الطائر الذي نسميه في أيامنا بالعقاب وفي أيام الجاهلية وفي كتب اللغة والطائر الذي نسميه بالنسر وفي أيام الجاهلية وفي كتب اللغة يسميهما الانكليز كما تقدم ولا يجوز غير ذلك . هذا وقد أسهبت في العقاب والنسر في ص ٩٣ و ص ٢٥٩ من معجم الحيوان ومنذ ٢٨ سنة في المقتطف المجلد ٣٤ : ٥٣٧ وما بعدها ويسرني ان بعض المعاجم أصلحت خطأها ولكن بعض معلمي المدارس والجرائد لم تتعلم ان تصلحها فالعقاب والنسر صحة ترجمتهما كما تقدم ولا يجوز غير ذلك . ولعل سبب خطأ هذه الترجمة هو انه ليس في اليونانية الا كلمة واحدة يعبر بها عن العقاب والنسر وهي أيتوس فجاءت في الترجمة السبعينية للتعبير عن النسور وجرت على ذلك الترجمة الانجليزية والفرنسية وقد أصلحوها حديثاً في الترجمة الانجليزية المنقحة فان كان الانجليز محافظين على ترجمتهم من زمن الملك جيمس فهل من شروط المعاهدة ان نكون محافظين مثلهم . ولا يخفى ان ابن البيطار لم يخف عليه ذلك فترجم الا كتسمت بحجر النسور وحجر العقاب وهو أيتوس باليونانية انظر مادة ١٣٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ من الترجمة الفرنسية

Bearded vulture or Ossifrage or Lammergeier

كاسر العظام

وله أسماء أخرى ذكرتها في المقتطف قبلاً وفي معجم الحيوان ص ١٤٣ و ص ٢٥٩

Egyptian vulture or Pharaoh's hen

رَحْمَة

بالفتح طائر أبقع أصفر المنقار وهو في عرف علماء الحيوان نوع من النسور يعرف في المغرب ومصر والسودان وكتب اللغة بهذا الاسم ، أما في لبنان فيسمونه الشوكة وهي الحدأة على الأصح . هذا شيء يسير من سباع الطير وهي أربعة طيور ولا يعسر تعلم صحة ترجمتها

حديث اليمن

رحلة جغرافية عمرانية

لدكتور وصفي زكريا

سأقتني التقادير في مطلع عام ١٩٣٦ الى اليمن . وكان ذهابي اجابة لطلب جلالة مليكة الامام كي اخدم زراعة بلاده وانظر الى ما يؤدي لصلاحها في ستة اشهر حددها . فذهبت وقت في تلك المدة المتناهية في القصر بأقصى ما يمكن ان يؤتى في خدمة الزرع والغرس . منها اني فتحت مدرسة زراعية علمت فيها بعض شبانهم اهم نظريات الزراعة الحديثة وعملياتها ، واستجلبت من مشاتل الشام ومصر وايطاليا ووزعت وغرست الوفاً من اشجار الفاكهة والحراج على اختلاف انواعها واصنافها . وكلها مما وجدته نافعا ومناسبا لحاجة اودية اليمن الاعلى وجباله ومما لا عهد لليمنيين به من قبل ، وكتبت ونشرت عدة مجلات ورسائل في اجل الموضوعات الزراعية الحديثة التي تعوزهم وتقيدهم

وقد كنت خلال اعمالى الزراعية المذكورة في صنعاء والانحاء القليلة التي مكنوني من زيارتها اتسسم المعلومات الجغرافية والتاريخية والطبيعية والعمرانية وما اليها ، فحصلت على نبذ منها رأيت على قلتها ان انشرها في « المقنطف » . وقد حفزني الى ذلك كون اليمن لا يزال غير معروف في جلته ، لم يكتب عنه في الماضي والحاضر كتابات كافية . وما كتب في اللغة العربية خاصة قلما شمل الابحاث التي عنيت بها . لان اليمن كان وما يرح كالموصد في وجوه الغرباء ولا سيما الباحثين منهم ، ولم يتسن جوس دياره والتماس مجاهله الا للقليل من الشرقيين والغربيين . ولا يزال مجال البحث والكتابة فيه واسعا يحتاج الى جهود حمة

نبذة جغرافية

﴿ الحدود ﴾ اليمن قطر واسع مستطيل الشكل في الزاوية الجنوبية الغربية من جزيرة العرب . وحدوده الرسمية في يومنا من الشمال بلاد عسير العائدة للمملكة السعودية يفصله عنها

خط يمتد من ميناء ميدي على البحر الأحمر الى شمالي بلدة صعدة متبعاً وادي مخلاف الى حدود نجران ويام الجنوبية ^(١) وحدوده من الجنوب المحميات التسع المرتبطة بمستعمرة عدن ^(٢) يفصله عنها خط يمتد من الشيخ سعيد تجاه باب المنذب الى جنوبي بلاد الحجرية ومادية وقعطبة . ومن الشرق بلاد حضرموت يفصله عنها وادي ييحان وبادية الجوف الممتدة الى الربع الخالي ، ومن الغرب البحر الأحمر

وقد سمي اليونان بلاد اليمن بالعربية السعيدة Arabia Felixa وسماها العرب بالحضراء ^(٣) ، وذلك لسكثرة أشجارها وزروعها ووفرة خيرها وميرها بالقياس الى بقية اقطار الجزيرة العربية الفاحلة في الغالب . واليمن في عرف العرب هو الجزء الجنوبي من جزيرتهم ، او هو كل ما كان جنوبي الحجاز كما ان الشام هو كل ما كان شمالي الحجاز . وكانوا يجعلون حدوده من البحر الاحمر غرباً الى خليج فارس شرقاً ، فيدخلون فيه حضرموت وعمان والربع الخالي ولواء عسير والمحميات التسع وعدن الا ان هذا التحديد كان اعتبارياً في اغلب العصور ولم يتحقق الا قليلاً . لان عمان وحضرموت ان تبعنا اليمن قبل الاسلام في عهد الحميريين لم تبعنا بعد الاسلام . بل ساد فيهما ولاية مرتبطون بعاصمة الخلافة مباشرة ، او امراء محليون مستقلون . وبلاد عسير كانت بيد بعض الامراء ايضاً وآخر هؤلاء في القرن الماضي آل عايض . وكان اشراف مكة في الشمال وامراء نجد في الشرق وأئمة اليمن في الجنوب يدعون بامتداد نفوذهم الى بعض المناطق او القبائل من عسير ونجران المجاورة لهم . ولما استفحل امر محمد ابن عايض وهاجم تهامة وحاصر الحديدة جردت الدولة العثمانية عليه في سنة ١٢٨٨ هـ جيشاً بقيادة رديف باشا فشنت شمله وقضى على امارته وجعل عسير لواء مرتبطاً بولاية اليمن التي تالفت في السنة التالية على اثر استرداد صنعاء بيد احمد مختار باشا الغازي

وظل لواء عسير بأفضيته الستة (ابها ومحايل ورجال المع وقنفدة ويني شهر وغامد وصيا) تابعاً لصنعاء اولاً ثم لمقر السلطنة في استانبول اخيراً ، حتى ثار فيه الادارسة عقيب اعلان الدستور العثماني وحاربوا الدولة ثم استقلوا قبيل الحرب العامة ووطدوا استقلالهم بعدها . ولما جلا العثمانيون عن اليمن سنة ١٣٣٧ واستتب الملك فيه للامام يحيى قاتل الادارسة الذين كانوا مدوا ايديهم الى تهامة اليمن واستولوا على الحديدة . وبعد ان اخرجهم في سنة ١٣٤٣ عزم على اخذ عسير — معتبراً اياه من اليمن . ولما شعر الادارسة بعجزهم عن مقاومته التجأوا

(١) قلب جزيرة العرب لحافظ وهبة (٢) هي الامارات والمشيخات السكائنة في جنوبي اليمن الاسفل التي دخلت تحت حماية الحكومة البريطانية منذ احتلال عدن سنة ١٨٣٩ (١٢٥٣ هـ) . وهي لحج والصبحة ، والخواشب والقطيب والعواقق ويافع والضالع والوادي والموازل (٣) صفة جزيرة العرب للهمداني

سنة ١٣٤٥ الى عبد العزيز ابن السعود ملك الحجاز ونجد ووضعوا بلادهم تحت حمايته وظل الامام يحيى يحاول الاستيلاء على عسير وعلى مخلاف نجران المحتمي بالحجاز ونجد من قبل وتفاقم الخلاف من جراء ذلك بينه وبين الملك عبد العزيز . ونشبت الحرب في سنة ١٣٥٢ وتقدمت الجيوش السعودية في تهامة اليمن حتى الحديدة وابلج . فاضطر الامام يحيى اذ ذاك للتسليم بالحدود التي ذكرناها في مقدمة مقالنا ، وقضى الامر بانقلات عسير ونجران من اليمن نهائياً

﴿ أقسام اليمن قديماً ﴾ كان اليمن قبل الاسلام يقسم الى مخاليف والمخلاف كما قال ياقوت في معجم البلدان بمنزلة الكور والرساتيق ولكل مخاليف اسم يعرف به وهو قبيلة من قبائل اليمن اقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها . فمن المخاليف التي ذكرها ياقوت ايمن ولحج وبيحان وشبوة والمعاقر واليحصيين والعود والسحول ورعين وجيشان ورداع وما رب وريمة وذمار وغيرها . وكل مخاليف تحته محافد ومدن وقرى

وفي صدر الاسلام قسمت اعمال اليمن على ثلاثة ولايات فوال في الجند^(١) ومخاليقها وهو اعظمها ، ووال في صنعاء ومخاليقها وهو اوسطها ، ووال على حضرموت ومخاليقها وهو ادناها . وفي العصور الاسلامية المتوسطة قامت في اليمن وتداولت الحكم دول او الاصح دويلات عديدة كان اكثرها في تهامة وبعضها كأئمة الزيدية في الجبال . ودولة الاثمة كانت اطولها عمراً . ودخل العثمانيون اليمن في القرن العاشر ، ولكن لم يلبثوا الا قرناً حتى غادروه مرغمين ، وظلوا يتحينون الفرص لاسترداده ، اعتقاداً منهم بان اليمن دعامة الجزيرة العربية وحصن الحجاز الحصين وان بدون الحجاز واليمن من ورائه لا يستتب البقاء لخلافتهم الاسلامية . ففي القرن الماضي سنة ١٢٨٨ فتحوا عسير على ما قدمنا ، وفي سنة ١٢٨٩ فتحوا صنعاء ومعظم جبال اليمن وكل تهامة ، فدانت لهم هذه البلاد واسسوا فيها (ولاية اليمن) وما زالوا حتى اخراجتهم نتائج الحرب العامة سنة ١٣٣٧ ، وسنأتي على تفصيل ذلك في النبذة التاريخية

﴿ اقسام اليمن في العهد العثماني والعهد الامامي الحاضر ﴾ كان اليمن في عهد العثمانيين يؤلف ولاية واسعة تشتمل على لواء عسير الذي تقدم ذكره وألوية صنعاء والحديدة وتعز . وكان كل من هذه الالوية يشتمل على اقضية وهذه على نواح عديدة ، في كل ناحية مئات من القرى والعُزَل (جمع عزلة) . فكان يحكم في الولاية انوالي وفي الالوية المتصرف وفي الاقضية قائم المقام وفي النواحي المدير . وكانت مساحة هذه الالوية والاقضية والنواحي عظيمة وابعادها

(١) الجند بلدية ترب تعز . ولعل ولايتها اذ ذاك كانت تشمل التهامم والجن الاسفل كله

شاسعة تزيد عن امثالها — في بقية ولايات الدولة وتتطلب تقسيمها الى اصغر من ذلك وتكثير عدد الاقسام . وقد اقترح هذا سنة ١٣١٩ الوالي حسين حلمي باشا المشهور بحسن ادارته ولكن لم يلب اقتراحه . ومما يجدر ذكره ان يد العثمانيين لم تصل الى شرقي اليمن الاعلى وشماله ولا جنوبي اليمن الاسفل فظلت مآرب وصعدة ونجران وشهران وقفلة العذر وماحولها من القبائل الغاتية كحاشد وبكيل وارحب وذو حسين وامثالها تحت سلطة الائمة او المشايخ المحليين . وكذلك كان الحال في اراضي الحميات التسع في اليمن الاسفل التابعة لمستعمرة عدن كما تقدم ذكره

هذا وقد كان لواء صنعاء (قضاء صنعاء) تتبعه نواح اسمها بلاد البستان ، بلاد الروس ، بني بهلول ، بني الحارث ، بني حشيش همدان ، سنحان ، ارحب ، نهم ، خولان ، الحدا . ثم (قضاء حراز) وقاعدته مناخه ونواحيه حراز ومضحق وعروم توح وحجيلة . ثم (قضاء كوكبان) وقاعدته الطويلة ونواحيه كوكبان والحريث وشبام . ثم (قضاء آنس) وقاعدته ضوران ونواحيه آنس وعتمة وجبل شرق وجهران . ثم (قضاء حجة) وقاعدته حجة ونواحيه حجة وبني عوام وشقادرة ومسور وعضار . ثم (قضاء ذمار) وقاعدته ذمار ونواحيه ذمار ومغرب عنس . ثم (قضاء يريم) وليس فيه نواح . ثم (قضاء رداع) وقاعدته رداع ونواحيه رداع وسوادية وجبن . ثم (قضاء عمران) وقاعدته عمران وفيه ناحية عيال سريح . وكان في لواء الحديدة (قضاء الحديدة) ونواحيه الحديدة وجزيرة قران وجبل برع وحفاش . ثم (قضاء زيد) وقاعدته زيد ونواحيه زيد وحيس ووصاب العالي ووصاب السافل . ثم (قضاء اللحية) وقاعدته اللحية ونواحيه اللحية وزهرة . ثم (قضاء الزيدية) وفيه ناحية بني قيس . ثم (قضاء جبل ريمة) وقاعدته ريمة ونواحيه ريمة والجمعورية وكسمة وسلفية . ثم (قضاء حجور) ونواحيه محابشة وعام وخمس وقارة وحرص وعيش . ثم (قضاء بيت النقيب) وفيه احياء متفرقة من قبيلة الزرائيق . ثم (قضاء باجل) ونواحيه باجل وماحان . وكان في لواء تعز (قضاء تعز) ونواحيه تعز وتربة الفحم وقماعة ومقنبه وذو شراق . ثم (قضاء إب) ونواحيه إب ومخادر . ثم (قضاء عدين) ونواحيه عدين وحيش . ثم (قضاء قطبة) ونواحيه جبل مريس ونادرة وحشا . ثم (قضاء الحجرية) ونواحيه الحجرية وقبيطة وحيش . ثم (قضاء مخا) وليس فيه نواح

وقد ابقى الامام يحيى معظم هذه الاقسام على حالها وأقام عليها حكماً سماهم (عمال) جمع كلمة «عامل» التي كانت مستعملة في العصور الاسلامية الغابرة. وهؤلاء العمال يمثلون الامام ويمثلونه

بنسبة مصغرة في سلطته ودواعي إيمته . وهم يسرون على نهج جلالته ونهج تلك العصور في الحكم الاقطاعي المطلق

﴿المساحة والسكان﴾ لم يتسنّ لولاة الترك وضباطهم ولا لجوالة الافرنج وبجاثهم — وعدد هؤلاء كان قليلاً — ان يضبطوا مساحة اليمن السطحية ويعرفوا عدد نفوسه ، ويضعوا خريطةً صحيحة لوليته واقضيته . ذلك لتعذر هذا العمل في الزمن الماضي الطافح بالفتن والحروب واستمرار هذا التعذر في الزمن الحاضر لرغبة الامام بقاء بلاده في نجوة عن الكشف والبحث . وكل المساحات والاعداد التي وضعت والخرائط الانكليزية والتركية التي رسمت وطبعت انما هي اعتبارية سماعية لا يصح الركون اليها الا للاستئناس بحسب . فالترك كانوا ^(١) يعتبرون ولاية اليمن بألويتها الاربعة التي ذكرناها بين درجات ٢٠ و ٢١،٣٠ من العرض الشمالي و ٣٣ و ٤٣ من الطول الشرقي . وكانوا يقدرون طوله من الشمال الى الجنوب ٧٧٥ كيلومتراً وعرضه من الغرب الى الشرق ٣٥٠ كيلومتراً . وان مساحة اليمن السطحية تبلغ على التقريب ٢٣٥٠٠٠ كيلو متر مربع

اما عدد نفوس اليمن فقد اختلفت فيه الاقوال . فالمعجم ودوائر المعارف الفرنسية والانكليزية تقدره تارة بمليون وتارة بمليونين ونصف . وهذا قليل ، لان اليمن اكثر بلاد الجزيرة العربية عمراً وسكاناً

والترك ^(٢) يقدرونه تارة بأربعة ملايين وتارة بثلاثة بما فيه لواء عسير . أما اليانيون ^(٣) فيبالغون الى الخمسة عشر مليوناً . والتقدير التركي الثاني هو الاقرب الى الصحة حتى في يومنا . ذلك لان اليمن لم يحو ولا يمكن أن يحوي اكثر من ثلاثة ملايين ، لقلّة أراضيه الزراعية ومرافقه الحيوية كما سوف نذكره ، ولان انفصال لواء عسير عنه ، ولان الحروب والفتن الماضية أهلكت حرثه ونسله كثيرأ فأنقصت قطينه وهذه وان زالت في عهد الامام يحيى الا انه قام مقامها كثرة وفيات الاطفال وتوالي الامراض العادية والسارية بحكم فقدان الاطباء وحرمان وسائل الاستشفاء ناهيك البؤس والشقاء الضارين أطناهما

دمشق :

للبحث بقية [

(١) قاموس الاعلام لشمس الدين سامي

(٢) شمس الدين سامي في قاموس الاعلام . وحسين حلمي باشا في لائحته الاصلاحية (٣) عبد الواسع الواسعي في تاريخ اليمن

جَدِّيَّةُ الْمُقْتَطِفِ

كواكب الادب الاسباني

لوي ده فيجا

(١٥٦٢—١٦٣٥)



لوبي ده فيجا

(١٥٦٢ — ١٦٣٥)

احتفلت اسبانيا في العام الماضي ، وشاركتها البلدان الاميركية الاسبانية الثقافة وجميع البلدان التي عرفت الادب الاسباني معرفة درس واطلاع فقط ، بانقضاء ثلاثة قرون على وفاة الشاعر والمؤلف الدرامي الاسباني المشهور لوبي ده فيجا Lope de Vega فألقيت المحاضرات عنه وعن شعره في اشهر جامعات العالم ومثلت طائفة مختارة من مسرحياته على غير مسرح واحد وفي غير بلاد واحدة

يتبين عدد الروايات المسرحية التي ألفها هذا الشاعر الفذ في خصبه ووفرة إنتاجه ، من ١٥٠٠ رواية الى ١٨٠٠ رواية يضاف اليها مئات من الفصول والمقطوعات . بل انك لتقرأ واحداً وعشرين مجلداً كبير من مجموعة آثاره الباقية قبل ان تصل الى المسرحيات . لذلك وصفه سرفانتس مؤلف دون كيشوت بقوله « فلة الطبيعة » ولم يكن من النادر ان يوصف بقولهم « لوبي العلوي » اشارة الى لبسه المسوح وانتظامه في سلك الكهنوت بعد وفاة زوجته الثانية سنة ١٦١٢

كان ده فيجا حينئذ في أوج مجده الأدبي . ونحن اذا نظر اليه من خلال ثلاثة قرون نعرف ان مكانته الأدبية مقرونة بكتاباته المسرحية . ولكنه كان في نظر قومه طوداً من الادب تشبه مكانته في اسبانيا مكانة فولتير في فرنسا في عصره . لقد طوى النسيان قصائده الفروسية والريفية وأناشيده وأغانيه ، بعد ان أحاطت اسمه في حياته وبعد مماته بهالة من المجد ، مكانته في ذلك العصر الاقطاعي من ان يعامل أسياده وأمرأه معاملة الند للند . فدوق سساً — وكان يصدق عليه المال ويحميه من سنة ١٦٠٥ الى وقت وفاته — كان صديقه الحميم ، ورسائل لوبي اليه تدل على رفع الكلفة بينهما لولا عبارات قليلة هنا وهناك ، كان من المؤلف استعالمها في مخاطبة الاشراف

لما ولد لويي ده فيجا كان قد انتقضت سبعون سنة على اكتشاف العالم الجديد . وكانت المستعمرات الاسبانية ممتدة في شرق الارض وغربها فكانت امبراطوريتها كالمبراطورية البريطانية في هذا العصر ، لا تغيب عنها الشمس . وكان مقام اسبانيا الدولي في المرتبة العليا . حتى كان الناس من شتى البلدان يفاخرون بمعرفة اللغة الاسبانية والتحدث بها . وكذلك تمهدت الطريق لظهور شاعر عظيم يتعنى بايجاد هذه الدولة العظيمة وحضارتها ، وكان لويي ذلك الشاعر

ولد في ٢٥ نوفمبر سنة ١٥٦٢ وكان والده قد احترف تطريز الاثواب وزر كستها بعدما هبط مدريد من التجود الاسبانية في مقاطعة استوريا ، فكان من صغره فلانة من فلات الذكاء الانساني . ففي الخامسة من عمره كان يستطيع ان يقرأ اللغة اللاتينية الايطالية ولما كان لا يستطيع الكتابة في هذا السن ، كان يملئ اشعاره على رفاقه في المدرسة ويحزيمهم عن تعبهم بجانب من فطوره . فلما اصبح قادراً على استعمال الريشة لرسم الكلمات ، انبجس نبع الشعر من صدره فكتب وهو في الحادية عشرة من عمره مسرحيته الاولى وكانت رواية ريفية ثم تبعها مسرحيتان اخريان وهو في الثانية عشرة من عمره . ثم تلت ذلك مسرحية ذات ثلاثة فصول ، فخرى على ذلك في سائر مسرحياته واصبح تأليف المسرحية من ثلاثة فصول تقليداً تبعه الادباء في اوربا حتى اواسط القرن الثامن عشر

ولعل اول ما يخطر للقرارى ان يسأل : لماذا انحصرت عبقرية لويي ده فيجا في حدود بلاده فلم ترسل اشعتها الى ما وراءها . ولماذا انكرت الاجيال التالية عليه تلك الشهرة العالمية التي اسبغتها على مواطنه سرفانتس

والواقع ان شهرته لم تنحصر كل الانحصار في حدود بلاده . فقد كان زوار مدريد من كبار الاجانب يسعون اليه وكان القصاص الرسوليون يزورونه يحملين بتحيات سيدهم الاعلى في روما . بل ان البابا اربان الثامن ارسل اليه شهادة تحمل لقب دكتور في اللاهوت في سنة ١٦٢٧ . ولكنه مع ذلك لم يصب نصيباً من الشهرة العالمية المتجددة الذكر مع كل جيل ، على نحو ما اصاب سرفانتس بكتابيه دون كيشوت . وليس الباعث على ذلك في رأي النقاد ان ده فيجا كان ادنى مقاماً من سرفانتس في عالم الادب . الا ان عبقريته وان كانت من طبقة عبقرية نده كانت تختلف عنها .

فسر فانتس كان فيلسوفاً واقعيّاً فكان النثر القالب الطبيعي الذي تفرغ فيه ماثر عبقريته وأما ده فيجا فكان رجلاً تتقاذفه العاطفة العنيفة والانفعال الشديد. يغلي من جل شعوره غلياناً دائماً وهو يطلب منفذاً فلا يجد منفذاً إلا في الشعر الطلق السمح القوي المتدفق. هنا بين سطور قصائده وفي حوار مسرحياته رسم الحب والاسف والحقد والغيرة والامل والطموح. فقد عاش طوال حياته وكأنه يجنح محلق في سماء لا تمت الى الحقيقة الواقعة بصلة. فالشعر في كيانه والتنفس كانا توأمين. فمن الطبيعي ان تنحصر شهرة شاعر فذ له من بلاده وأدبها الممتاز سمات الايقاع والرجع الخاص. ذلك ان ترجمة الشعر أصعب مما لا يقاس من ترجمة النثر، وقراءة الشعر أصعب على النفس من قراءة النثر المتلالي بدور الحكمة العالية أو النقد اللاذع والفكته البارة.

قال مريميه ما معناه: أن لوبي هو المثل الاتم على روح عصره تقاذفت نفسه ضروب من الشعور المتباين من الصوفية الى الفروسية، ومن الورع الى الغزل، ومن التهور الى الحفّة. لقد احس في قرارة نفسه، كل ما احسسته النفوس في عصره، وعاش حياة متقلبة من الحرب الى البيت الى الكنيسة، لذلك استطاع ان يصور اتم تصوير مهزلة الحياة الانسانية المفجعة، ويفوق في تصويرها ايّاً آخر من الكتاب «

مسرحياته وفنه

لم يبق من ماثر عبقريته على مر الزمان غير ٤٧٠ مسرحية و ٥٠ مقطعاً. فاذا حاول الباحث ان يصنفها عجز عن ذلك، لان تعريف المهازل والمآسي لا ينطبق عليها ولذلك يفضل الاسبانويون ان يقسموها لثلاثة اقسام اولها قسم المسرحيات التي تعالج موضوعاً منتزعا من الحياة اليومية واشخاصها من الناس الذين نراهم ونعاشرهم كل يوم. وثانيها مسرحيات اشخاصها ملوك وامراء. وثالثها مسرحيات القديسين

ولكن هذا التقسيم لا يشفي غيلاً، ولا هو يتناول اعمال ده فيجا من اساسها، ذلك ان الصفة الغالبة على مسرحياته حوك الدسائس، ولا سيما ما كان منها خاصاً بالحب. وفيها تبرز ملكاته وبراعته وخياله لان هذا الصنف من مسرحياته كان من بنات خياله. وقد كان غرضه ان يبهج الناس ويحررهم لا ان يعلمهم ويعظمهم. وقد بسط طريقته في قصيدة نظمها سنة ١٦٠٩ عنوانها الفن الجديد لتأليف المهازل او الفن

المسرحي الجديد . ومما قاله فيها « تأمري بأن اضع قواعد الفن الدرامي
ولكنني لم أؤلف الا وانا منتهك قواعد هذا الفن . فعندما اريد ان أؤلف
مهزلة (كوميديا) اضع جميع القواعد في خزانة واقفلها ثلاثاً واكتب وفقاً للقواعد
التي اخترعها اولئك الذين يريدون ان يفوزوا بتصفيق الجماهير . ولما كان الجمهور
هو الذي يدفع ثمن هذه السخافات فمن العدل ان نقدم له ما يطلبه » . ولكنه مع
ذلك ، اهتم في فقرات تالية بعد اعرابه عن احترامه للقدماء واعتراضه على ذوق
المحدثين (في عصره) بوضع قواعد يراها اساسية في الفن المسرحي اهمها :

١ — مزج المضحك بالحزن ٢ — وحدة العمل اي يجب ان يقلل المؤلف جهده
من الحوادث . ٣ — جعل الدراما في اقصر وقت ممكن . ٤ — جعل الدراما ثلاثة
فصول على ان تكون حوادث كل فصل — اذا امكن — مما يقع في يوم اي جعل
الوقت الذي تستغرقه حوادث الدراما ثلاثة ايام . ٥ — ان لا تعرف نهاية الدراما
الا في المشهد الاخير . ومن اقواله اخذع المشاهد بالإشارة الى نتائج محتملة هي غير
النتيجة الحقيقية . ٦ — ليكن الاسلوب سهلاً على ان يرتفع عندما يتكلم البطل او
من كان صاحب مقام في مواقف الارشاد او التحذير

ولو لم يكن لو ي مسرحياً مطبوعاً لما أجدته جميع قواعد الدنيا . ففي مسرحيته
« الملك خير القضاة » يمزج بريشة ساحرة بين المضحك والمؤسي ، وفي مسرحيته
« المحبوب المجهول » يسير في تفصيل حبكة الرواية وكأنه من ابرع الكتاب
المعاصرين في قصص الجرائم وكشفها . وفي مسرحيته « اكتشاف العالم الجديد »
يسيطر بفهمه وخياله على موضوع متسع النواحي ، لا يمكن حصره او حصر جزء
منه في حدود فصول ثلاثة

الملك خير القضاة

موضوع هذه الرواية متزع من تاريخ اسبانيا . ولكننه حول القصة بسحر فنه
من حكاية ريفية بسيطة يظهر فيها عدل الملوك ، الى مسرحية اخاذة فيها حب وشهوة ،
وفيها توسل وظلم ، ومجون وحكمة ، وفيها فوق كل هذا عدل الملك الفونسو السابع
كان سانشا فلاحاً يسمى الى اسرة قديمة غنية . وكان يحب الغير ابنة سيده

الفلاح نونو . فتبادلته الفير الحبَّ وتسمح له أن يطلب يدها من أيها . فيوافق هذا على الزواج ، لأنه يحبُّ الشاب ويعطف عليه ويرى فيه فضائل الاجتهاد وحب العمل . ولكنه يطلب إليه أن يذهب الى سيّد المقاطعة دون تلو ده نيرا . وان يطلب إليه من باب الخضوع الاقطاعي ، أن يأذن له في زوج الفير

فيذهب سانشا الى ده تلو على رغم منه . فاذا السيّد شاب يقطن قصرًا فخماً مع شقيقته فليسيانا ولكنه غير محبوب ولا محترم من مزارعيه . فيوافق السيّد على طلب الفلاح ويمنحه الاذن في الحال ، ويعدّه بأنه يقدم إليه هدية زواج ، مؤلفة من عشرين بقرة ومائة رأس غنم . بل علاوة على ذلك تنازل ووعد بان يشرف حفلة الزواج في الليلة نفسها . وكان يصحبه في زيارته هذه رجل يدعى بيلاج وهو ماجن ابداع المؤلف في تصويره اذ جعل حديثه خليطاً من الاقوال الحكيمة والمجون ، السخيف على نحو ما نجد في بعض مسرحيات شكسبير

تمت معدّات الحفلة واقبل الدون تلو في عربته ولم يبق الا ان يصل القسيس لاتمام عقد الزواج . ولكن دون تلو يرى الفير ، فقتنه جامها ، فيتدع عذراً لتأجيل حفلة الزواج الى مساء الغد ، وبعد ما يأوي كلٌّ الى فراشه ، يخطف الفتاة الفير بواسطة خدم منتمين له

فاذا كان الفصل الثاني . رأينا الدون تلو في قصره ، وشقيقته منهالة عليه باقذع النقد على ما فعل . ثم يقبل الفلاح نونو والفتى سانشا في طلب الفتاة ، فيتصنع دون تلو جهل مكانها . ولكن الفير تظهر من وراء ستار ، فيثور غضب السيّد ، فيأمر خدمه بطرد الفلاحين ضرباً بالعصي . وعندئذ يعزم سانشا ، بعد اشارة حميه ، على أن يذهب الى الملك الفونسو السابع ، ويطلب منه أن يحميه من عسف دون تلو ويحكمه . فيذهب اليه يصحبه بيلاج الماجن ، ويستأذن في الدخول عليه فيأذن ، فيعطيهما الملك كتاباً الى دون تلو فيه ما يلي :

عند ما تصل كتابتي هذه اليك تعيد ، من دون مداورة ، الى هذا الفلاح المسكين المرأة التي سلبته إياها . واذكر ان الامراء الصالحين لا يعرفون الا وهم بعيدون عن عينيّه ، وأنه ليس ثمة أمير لا يناله عقاب الملك مهما يبعد عنه . أنا الملك ولكن دون تلو ، ما كاد يرى هذا الكتاب ، حتى أرغى وأزبد ، ورفض

ان يطيع، فيعود سانشا الى الملك ويخبره بما كان فيعزم الملك ان يذهب بنفسه لتوقيع العقاب عليه بعد حملة على احترام أوامره.
سانشا — انك يا سيدي تبالغ في أكرام حطّتي . ارسل أحد قضاتك لكي يحكم بالعدل في رعاياك

الملك — ان الملك خير القضاة

تمّ الاتفاق على ان يمنع سانشا وبيلاج عن الكشف عن شخصية هذا القاضي فيصل الملك الى مقاطعة دون تلو متخفياً . فيحط رحاله عند نونو والد القير ، فيحسبه هذا قاضياً عادياً . ويطلب الملك سرّاً الى احد ضباطه ان يحضر قسيساً وجلاًداً . ثم يذهب بنفسه الى قصر دون تلو ده نيرا فيقول لاحد خدمه الملك المتكتم — اعلنوا دون تلو بانني اريد ان اخاطبه

الخادم — واذا سألتني عن ذلك فهاذا اجيب

الملك المتكتم — انا

الخادم — اليس لك اسم آخر

الملك المتكتم — كلاً

فعند ما يرفض دون تلو ان يستقبله يعلنه بأنه احد قضاة القصر . فيستقبله ويحدثه متشاكخاً عليه ، محتقراً إياه

دون تلو — يظهر انك لا تعرف من انا . ان احداً لا يجرو على القاء القبض عليّ ، الا اذا كان الملك نفسه

الملك المتكتم — اذن ايها البائس — انا الملك

فقطك ركبنا دون تلو ، ويتخاذل امام سيده ، ولكن الملك يريد العدل فيحتم على دون تلو ان يمنح القير لقب زوجته وان يتركها نصف ماله ثم يأمر باعدامه فيصيح بيلاج — هذا الملك

ويصبح سانشا — الملك خير القضاة

سَيْرُ الزَّمَانِ إِلَى

نضالٍ خفيٍّ في اليابسة

وتأثيره في توجيه سياستها

الزواج المورغاني

لامين الغريب

قوى المدافع الأوروبية

أقسامها وقوتها وطرق تنظيمها





أزال الجنود من
الطائرات بالمظلات
الواقية في روسيا



الجنود في الميدان
يواجهون الغازات
الحرية بالكمامات
الواقية

نضال خفي في اليابان

وتأثيره في توجيه سياستها

ان قوات الدفاع في اليابان اشبه ما يكون بدولة داخل دولة . لها اغراضها الخاصة في حلبة السياسة الداخلية والخارجية ، وليس في وسع اية وزارة ان تتجاهلها . ومما يعزّز هذا الموقف التقاليد التي جرى عليها اليابانيون ، والامتيازات الدستورية الممنوحة لقوات الدفاع ، وتوازن القوى السياسية في البلاد

فالضابط الياباني ، وريث الفارس الياباني في العصور الوسطى (الساموراي) يحوطه احترام الجمهور وتقديره . ولرؤساء اركان الحرب في الجيش والاسطول حق الاتصال اتصالاً مباشراً بالامبراطور ، وهذا في نظرهم لفتاق لهم من الخضوع للسلطة البرلمانية . ثم إن من القواعد المرعية الجانب عندهم أن وزير الحربية يجب أن يكون جنرالاً ووزير البحرية اميرالاً ، وهذا يقوي النفوذ العسكري في داخل الوزارة ، لانه من المتعذر اقناع ضابط كبير ، من ضباط الجيش أو الاسطول ، بالانتظام وزيراً في وزارة ما ، اذا كان يشتم من طريقة تأليفها رائحة المعارضة ولو معارضة يسيرة لاغراض الجيش والاسطول . وقد تعزّز هذا الاتجاه منذ احتلت اليابان منشوريا سنة ١٩٣١ . ومنذ حدثت حوادث الاغتيال في فبراير الماضي التي ذهب ضحيتها فريق من الوزراء هذه الحوادث كانت مظهراً بارزاً للنضال الدائم بين المتطرفين والمعتدلين في اليابان

بين المتطرفين والمعتدلين

في الناحية الواحدة نجد قوات الدفاع . فالجيش ولا سيما صفوفه المتوسطة وصغار ضباطه ، متأثر تأثراً غامضاً بشعور المناقض الرأسمالية ومشبع بروح التطرف الاجتماعي . اما الاسطول فأقل عناية بالمشكلات الاجتماعية ، ولكنه متفق مع الجيش على تأليف جهة واحدة في ما يتعلق بالمناهج الصناعية ولا سيما ما كان منها متصلاً بالخطط العسكرية ، راغباً في تأكيد انقلاته من قيود السيطرة المدنية ، مشدداً في وجوب زيادة الاموال التي تنفق عليه من الميزانية العامة . ويؤيد الاسطول والجيش طائفة من الجمعيات المطبوعة بطابع القومية المتطرفة

اما فريق المعتدلين فيشمل كبار ساسة اليابان ، من امثال البرنس ساينوجي والكونت ماكينو . والغريب ان شيوخ ساسة اليابان أقرب الى التساهل والحرية والاعتدال من الكهول . والغالب ان الباعث على ذلك ان معظمهم قضى جانباً من حياته في اوربا واميركا ، اذ كانت اليابان دولة ناشئة واذ كانت فلسفة الاحرار غالبية في تلك البلدان سواء في السياسة او في الاقتصاد . ويمكن ان

يضاف الى هؤلاء معظم رجال المال والاعمال وشيوخ السياسة في البرلمان فهؤلاء جميعاً اميل الى الاعتدال في السياسة الخارجية ، والى الاحتفاظ بالحالة الراهنة في الشؤون الاقتصادية في هذين الفريقين ، نجد ممثلي الجيش والاسطول وممثلي فريق رجال المال والاعمال ، أعلاهم صوتاً واقواهم حجّة . في اليابان احرار ولكن ليس فيها حزب احرار . وهناك حزب اشتراكي معتدل ، وهو الحزب الذي زاد عدد مقاعد في الانتخابات التي سبقت حوادث الاغتيال في ٢٦ فبراير ، ويقال ان هذا الفوز كان احداً البواعث عليها . ولكن نفوذه السياسي محدود . وليس هناك ما يدل على ان الشيوعية قوة يعتد بها في اليابان بل ان بعض متطرفي الشيوعية قد انقلبوا وطنيين متطرفين في العهد الاخير

مشكلة البترول

بين الجيش والاسطول من ناحية ، وفريق رجال المال والاعمال من جهة اخرى ، مواطن اختلاف . وفي مقدمتها مبالغ ما تستطيع اليابان ان تنفقه على تسليحها . فالمال الذي يخص لقوى الدفاع اكثر مما يجب في رأي المالىين . ثم ان زعماء الجيش والاسطول ، يبغون تطبيق خطط صناعية معينة ، مسوغها في نظرهم عسكري لا اقتصادي . خذ مثلاً رغبة الاسطول في الحصول على مصادر ثابتة للبترول . فاستعمال البترول وشتاته في اليابان زاد بين ١٩٢٣ و ١٩٣٤ زيادة كبيرة حالة ان ما يستخرج من البترول في اليابان وممتلكاتها ظل على ما كان . كانت نسبة المستخرج في اليابان الى المستهلك فيها سنة ١٩٢٣ اكثر من ٣٤ في المائة قليلاً ولكنه نقص في سنة ١٩٣٤ الى ٨٤ في المائة . فاذا نشبت حرب ، اضطرت اليابان الى استعمال البترول الخارج من يابايعه في شمال سخالين التابعة لروسيا ، وهذا يقتضي اتفاقاً مع روسيا او اعتداء على تلك المنطقة . ومع ذلك تبقى اليابان في حاجة الى ٨٠ في المائة مما تستهلك من البترول عادة ، دح عنك زيادة ما يستهلك منه في الحرب

وقد عمدت الحكومة الى مشروعات مختلفة لتلافي هذا النقص . فحتمت اولاً على شركات البترول ان تحفظ في مستودعاتها مقداراً من البترول يعدل ما تباعه في خلال ستة اشهر . وجربت تجارب في خلط البترول بالكحول المستخرج من الخشب ، والبحث عن كل بقعة ارض في الامبراطورية اليابانية يحتمل العثور على بترول فيها ، وتشيد مصانع لاستخراج البترول من الفحم على الطريقة الالمانية او الانكليزية او طريقة تشبها

فمشكلة البترول هذه قد حملت اقطاب الاسطول على توجيه عنايتهم الى اتجاه اليابان جنوباً . ففي جزائر الهند الشرقية الهولندية اغني منابع البترول في شرق اسيا ، وهي تابعة لمملكة صغيرة بعيدة ، فاذا امتد سلطان اليابان الى جنوب المحيط الهادىء ، فمن المحتمل ان تتمكن اليابان من هذه المنابع اذا نشبت حرب

اصلاح حالة الفلاح

وهناك عامل آخر . فثمة طائفة غير يسيرة من ضباط الجيش والاسطول ، ولا سيما الشبان منهم تحسب نفسها سند الفلاح الفقير المرهق بالديون المستغل من ارباب الصناعة والمال . والغالب ان الباعث على اهتمامهم هذا به ، انه يرونه صالحاً للجنديّة من ناحية ، ويجمع في شخصه من ناحية الفضائل الماثورة ، التي لم تقسدها مظاهر الحياة المدنيّة . ولذلك نجد في دوائر الجيش والاسطول ، اتجاهاً خاصاً الى اصلاح حالة الفلاح بما لا يؤخذ ضرائب من ساكن المدينة وصاحب المصنع اما فريق رجال المال والاعمال والاحرار من رجال السياسة ، فلا يعارضون في برنامج تعزيز قوى الدفاع واصلاح حال الفلاح ، ولكنهم يشيرون ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً من الصراحة ، الى العقبات الماليّة الكبيرة التي تحول دون تحقيق هذه الاغراض

فالنضال بين المتطرفين والمعتدلين ، هو المحور الرئيسي الذي تدور من حوله حياة اليابان السياسيّة . يدور هذا النضال احياناً في الخفاء ومن وراء ستار ، ولكنه يُعقّب احياناً ويشدّ فيظهر في وضوح النهار ، على نحو ما حدث من حوادث الارهاب في ١٥ مايو سنة ١٩٣٢ وفترة فبراير سنة ١٩٣٦ اذ اغتيل نفر من اكبر رجالات اليابان . ولكن حسم النضال بينهما غير مستطاع ، اذ لا غنى لاحد من الفريقين عن الآخر على الرغم مما بينهما من اختلاف في الرأي . فاذا وقعت ازمة في اليابان تراءى لمن لا يعرف حقيقة احوالها انها مفضية ، ولا ريب الى انتصار حاسم لاحد الفريقين على الآخر ، ولكنها تقضي دائماً الى توازن جديد بينهما

المشكلة الماليّة

ذلك ان القوى المتناضلة في اليابان تستند بعضها الى بعض ، على الرغم من اختلافها . فبعض الصناعات ولا سيما صناعة الذخيرة والاسلحة وبناء السفن بحني ارباحاً طائلة في اعداد المعدات التي يحتاج اليها الجيش والاسطول . ثم ان بعض البيوتات الماليّة الكبيرة في اليابان تصيب فائدة كبيرة من استقلال منشوكو . وعلاوة على هذا وذلك ان رجال المال والاعمال في اليابان يدركون قيمة الجيش والاسطول في حماية تجارتهم وتوسيع نطاقها ، على الرغم من تبرّهم بفقراتها الفاحشة . يقابل هذا ان معظم ضباط الجيش والاسطول يسلمون بأن الرأسماليين ضرورة لاغنى عنها الآن وان اي اضطراب يصيب النظام الياباني الاقتصادي يضعف من مكانة البلاد الحربيّة لذلك اتفق الفريقان ، بعد فترة فبراير سنة ١٩٣٦ على ان يسعى قوّاد الجيش والاسطول الى الحد من تطرف صغار الضباط بتطبيق النظام العسكري الدقيق عليهم ، حالة ان اقطاب السلطات

المدينة وممثلي رجال المال والاعمال تعهدوا بان يقيموا لاغراض الجيش والاسطول اكبر وزن في تعيين خططهم السياسية

وليس بالامر الجديد في اليابان ان يتدخل اقطاب الدفاع الوطني في تحديد النهج السياسي. لذلك اعترضوا على بعض الذين اختارهم رئيس الوزراء الجديد ، كوكي هيروتا ، ليكونوا وزراء في وزارته ، فتخلى عنهم مساهماً للجيش والاسطول بمطالبهما وفي رأس هذه المطالب تعزيز قوى الدفاع الوطني وتوجيه السياسة الخارجية توجيهاً فعلياً مستقلاً

اما تعزيز الدفاع الوطني ، فيعني زيادة ما يخصص لقوى الدفاع في ميزانية الدولة . بلغ ذلك في سنة ١٩٣٢ نحو ٢٢٨ مليون ين للجيش و ٢٢٧ مليون ين للاسطول ، وقد اطردت الزيادة في مخصصاتها حتى بلغت ٥٠٨ ملايين ين للجيش و ٥٥١ مليون ين للاسطول وهذا المبلغ اقل قليلاً من ٤٧ في المائة من دخل الحكومة

ومع ذلك نرى الجيش والاسطول يطلبان المزيد . وقد دفع وزير المالية السابق تاكاهشي بحياته ثمناً لمعارضته في هذه الزيادة (كان الوزير تاكاهشي احيد الذين اغتيلوا في فترة فبراير ١٩٣٦) . وقد اقترحت مقترحات متعددة للفوز بهذا المال . منها تحويل بعض القروض الداخلية على نحو ما فعلت انكلترا وفرنسا واميركا فيوفر الفرق بين الفائدة التي تدفع الآن والفائدة المحفضة في القروض المحوّلة . ولكن ذلك لا يكفي . ويرجح الكتاب المليون ، ان الدكتور ايشي بابا وزير المالية الحالي ، مضطراً الى فرض ضرائب جديدة من ناحية او عقد قروض لتغطية العجز في الميزانية . وكلاهما محفوف بالخطر . فالضرائب قد تفضي في الغالب الى رفع زيادة نفقات المعيشة فالى المطالبة بزيادة الاجور فالى زيادة نفقات الانتاج ، وهذا يسلب اليابان معظم ما كانت تتمتع به في تجارتها الخارجية ومنافسة الدول الأخرى . اما اصدار قروض لتغطية عجز الميزانية فالمجتمع عليه ان الوزير تاكاهشي ذهب فيه الى ابعد حد معقول

ولكن قوى الدفاع لا تني عن المطالبة بهذه الزيادة ولا بد من ارضاء اقطابها بأية طريقة من الطرق . وهي تبغي خاصة تعزيز سلاح الطيران والقوى الميكانيكية في الجيش . وتستند في مطالبتها هذه الى حشد السوفيت قوة كبيرة حديثة المعدات في الشرق الأقصى . اما الاسطول فيستند الى انتهاء المعاهدات البحرية في المحيط الهادى وعدم التقيد بقيود بحرية جديدة في تأييد ما يطلبه من تعزيز الاسطول

اتجاه الجيش والاسطول

الجيش والاسطول متفقان على هذا . ولكنهما يختلفان من حيث الغرض المباشر الذي يجب ان تتجه اليه سياسة اليابان الآن . فالجيش يريد ان توجه عناية خاصة الى شرق اسيا على

محاذاة اليابان اي الى شمال الصين . واما الاسطول وزعماءه فيؤثرون ان تلتفت اليابان الى الجنوب . فهم يوجهون انظار المالىين من اليابانيين الى ان المناطق الاستوائية غنية بمواد الغذاء ، وبالخدمات اللازمة للصناعة ، كالبترول والقطن والحديد والقصدير والفنّس وغيرها . وقد صرّح قائد الاسطول الياباني الاميرال سانكيي تاكاهاشي امام جماعة من ارباب الصناعات في اوساكا بان « تقدم اليابان الاقتصادي يجب ان يتجه الى الجنوب على ان تكون قاعدة هذا التقدم اما جزيرة فورموسا واما الجزائر المشمولة بالانتداب الياباني . فعند ذلك تصبح جزائر غينيا الجديدة وبورنيو وارخبيل سليمان في دائرة الاسطول الياباني »

ولاريب في ان البواعث الاقتصادية على التوسع الياباني في الجنوب اقوى منها على التوسع الياباني في شرق اسيا الشمالي . فنصيب اليابان من تجارة الهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية واستراليا وزيلندا والفيلبين وملايا وسيام قد زاد من ١٨٦٧ في المائة سنة ١٩٢٩ الى ٢٨٦٤ في المائة سنة ١٩٣٤ وذلك لان سكان معظم هذه البلدان فقراء في الغالب ويفضلون بضائع اليابان الرخيصة على غيرها . ثم ان المهاجرين اليابانيين يفضلون الاقاليم الدافئة على الاقاليم الباردة تشهد بذلك احصاءات المهاجرين الى شمال منشوكو والمهاجرين الى الجزائر الاستوائية المشمولة بالانتداب الياباني

ولكن التوسع على برّ اسيا اقل خطراً من التوسع في الجنوب ، من الناحية السياسية . فنشوكو حقيقة دولية ولو لم تعترف بها معظم الدول حتى الآن . وليس ثمة اي دليل ، على ان توسع اليابان في منغوليا ، يلتقى مقاومة كبيرة ، ما زال هذا التوسع الى الشمال من سرّ الاصفر . اما في الجانب الجنوبي من المحيط الهادىء ، فأي عمل يفضي الى الاعتداء العسكري يقابل ولا ريب بمقاومة عسكرية كبيرة من جانب الدول التي لها مصالح تجارية وسياسية هناك . نعم ان جزائر الهند الشرقية الهولندية لا تقوى على مقاومة اعتداء اليابان ، ولكن المجمع عليه بين الكتّاب السياسيين ، ان اعتداء اليابان على جاوى او بورنيو بمثابة اعتداء على الامبراطورية البريطانية

ولو أن اليابان عقدت ميثاق عدم اعتداء مع روسيا ، لاطلقت يداها في الجنوب . يقابل ذلك انها لو انها وقفت موقفاً مسلماً من انكلترا والولايات المتحدة الاميركية لاطلقت يداها في شرق اسيا الشمالي . ولكنها لم تفعل هذا ولا ذاك . والغالب ان الباعث الاكبر على اخفاق السياسة اليابانية في ذلك ، ان اختيار احد السبيلين يعني تفوق الجيش على الاسطول او الاسطول على الجيش ، وتغلب نفوذ على سياسة البلاد . ومع ان الجيش والاسطول في اليابان متفقان على مطالب معينة تهما جميعاً الا انه لا يسهل على زعماء احدهما على ان يسلم لزعماء الآخر بالافراد بالسيطرة على مقدرات البلاد

الزواج المورغاني

أو غير المنطقي
لامين الغريب

نحت الافرنج كلمة مخصوصة للزواج الذي يعقد بين شخصين غير متكافئين . كأن يكون الرجل نبيلاً عالي الاصل والمرأة حقيرة . فدعوه الزواج المورغاني . نسبة الى مورغانا الحورية التي نزلت في عهد الخرافة الوثنية الى الاقتران بواحد من بني البشر . وقد عرفنا هذه الكلمة مرادفاً مشتقاً عند الآراك في لقب «داماد» . فقد اعطوه لكل رجل عادي غير «ازرق الدم» تيسر له أن يصاهر الاسرة السلطانية . اما العرب فلم نجد بعد في كتبهم كلمة تدل على هذا النوع من الزواج . ولا ندري أكان سبب هذا الاهمال عندهم ان ملوكهم لم يزوجوا بناتهم لمن كان دونهم . ام بلغت المساواة عند العرب حداً لم يدع فرقاً بين الاسر . وعلى كل حال احتقر الافرنج هذا الزواج المورغاني أو الدامادي حتى وصفوه بالزواج الاعسر . ودعوه «شبه زواج» او زواجاً «تحت الورد» وأبى جمهور الشعب احترامه حتى عومل في الامور العامة غالباً معاملة زواج غير شرعي مع ان الكنيسة المسيحية تباركه لأنها وهي دولة روحية ، لا تفرق بين النفوس . ولا ترى للملك امامها اقل ميزة على الرعايا . فهي تعد الاولاد شرعيين لكل زواج تعقده . اما الاشراف انفسهم من الافرنج فلا يسمحون لهؤلاء الاولاد بان يحملوا اسم والدهم العائلي والقبيلة ، او يرثوا عرشه وراثته واملاكه ، اللهم الا ما تم اتفاق خطي عليه بين الاب والام عند عقد الزواج ومعلوم ان نطاق الزواج بين الاشراف والقبلاء يضيق احياناً حتى يضطر بعضهم الى الاقتران بأقرب الانساب . والدم المتغذي من نفسه لا يلبث أن يضعف ويضئ ويفقد خواصه الحيوية . فلم يجدوا بداً من التساهل في امر هذه الزيجات . وعند وقوعها غضوا الطرف عنها تساهلاً مع الطباع البشرية . لكنهم حرموها كل اعتراف رسمي . وجعلوا من يلجأ من الاشراف اليها يخسر في الحال حقوقه الشرعية في العرش أو ما يماثله من الميراث . ومنعوا الاولاد التامخين منها من أن يزجوا بينهم ويمدوا منهم او مثلهم . وكل ذلك لاجل حفظ الدم — في رأيهم — نقياً طاهراً في الاسر النبيلة غير مختلط بقطرة واحدة مريية

مثال ذلك ان النبيل الصحيح في نظر ابناء بوربون وهابسبرج كان من يستطيع ان يعد ستة عشر جداً من جدوده على الوجهين ، كما هم من ذوي الشرف الصميم . ولما سلم النمساويون بزف الارشيدوقة

ماري لوز الى نبوليون الاول كان ذلك منهم تنزلاً وتضحيةً بتلك الفتاة على هيكل المصالحة السياسية في عام ١٩١٤ اطلق برنكيب السربي في سراجيفو الرصاص على الارشيدوق فرتر فردينان ولي عهد النمسا وزوجته . فقتلها واشعل الحرب العالمية التي التهمت في الدنيا كلها الاخضر واليابس ومع ان هذه الميتة المروعة ألهمت جميع البشر ثوب الحداد في ما بعد ، لم يسمح النمسيون بدفن الارشيدوق القليل بالحفاوة المعتادة لمثله ، لحض ان زوجته صوفيا المقتولة معه كانت شريكته في الدفن . وهي لا تستحق في نظرهم المظاهر التكريمية التي خصتها القوانين والتقاليد بمن هم في مكانته . فضنوا بذلك عليه كيلا تتال امرأته عن طريقه شيئاً لا تستحقه

ولم تكن زوجة الارشيدوق حقيرة بحد ذاتها . لكنها لم تكن من مرتبة سموه الامبراطوري . وقد توصلت بذكائها وحكمتها الى رفع مكانتها في اعين النبلاء النمسيين حتى رقاها صاحب العرش فرنسيس يوسف من رتبة كوتة الى دوق . وسمح لها بحضور حفلات البلاط الرسمية على ان تتخذ لها مقاماً في صف التشريفات ، بعد كل سيدات الاسرة الهبسبرجية . مع ان مقام زوجها ولي العهد ، لو هي كانت من ذوات الدم المتناهي في الزرقه لحوها ، بسبب موت الامبراطورة ، مركز ربة القصر بلا منازع . وكان زوجها عند اقترانه بها قد تخلى عن حقوقه في وراثة العرش . لكن لطافتها وحسن سلوكها ما لبثا ان أعادا اليه ذلك الحق ، على ان يسحروه اولادها في ما بعد

كانت صوفيا هذه كوتة بوهيمية فقيرة من اسرة شوتك ، ولكن متعلمة اديبة تعمل مربية لثانية اولاد في قصر الارشيدوق فريدريك . فأحبها فرتر فردينان الذي جعله مصرع ابن عمه رودلف في مايرلنج وارثاً للعرش . وكان قبل رؤيتها يكره الزواج ويرفض الدعوات المتوالية عليه من قصور الملوك لهذا الغرض . واقترن بها منزلاً بمحض ارادته عن كل حق له في العرش لكنها اجتهدت كثيراً في مراعاة الاصول المرتبة وانتهاز الفرص السانحة دون استعجال الحوادث ولا استبطاء الامور المرهونة باوقاتها . ولما استقبلها اخيراً الامبراطور غليوم الثاني الالماني زوجة لولي عهد النمسا وصرف النظر عن كل الملاحظات المختصة بها ادرك الناس ان لها في الدوائر العليا معاونين كباراً يشدون ازرها . ويكفي ان بوهيميا باسرها وجدت بمحض الامل في ان تجلس فئاتها يوماً على العرش الامبراطوري عاملاً يستزيدها اخلاصاً لهذا العرش وتعلقاً به ومن المعلوم ان الامبراطور فرنسيس يوسف لم يسترح طول عمره من تأثير الصدمة الهائلة التي اصابتها : مصرع ابنه رودلف الذي كان انسان عينه . فلم يجسر احد على مقاربتة في موضوع الخلافة بعد تصريحه مرة بأن «موضوع الخلافة لا يطرح للبحث الا بعد موتي . ومن عادة الذين لا يجدون مطعماً في العيش ان يعيشوا طويلاً» . وقد صدق في حدسه فعاش طويلاً

جداً . ولعله كان في قلبه يلوم نفسه على معارضته لرودلف في هواه ويتمنى لو عاش هذا الولد كما يشاء مقترناً بمحبوبته الوضيعة على ان يلقى هذه النهاية الرائعة ويضيف الى سلسلة بلايا الهبسبرجين حلقة جديدة

كان رودلف قد اقترن دون محبة بالاميرة ستيفاني ابنة ليوبولد الثاني ملك بلجيكا . ولم تستمل هذه العروس بمسلكها عواطف احد من سلالة هابسبرج . ولا سيما زوجها . فقد ضايقته بغيرتها (الصحيحة الاساس) وزادته نفوراً منها ، وابتعاداً عنها ، حتى تحول ميله عنها أخيراً الى بغض شديد لها . وصار يأنف محض رؤيتها ويشمئز من سماع صوتها . فلما رأى الكونتة فتسيرا ابنة احدى الاسر المقبولة في البلاط النمساوي طارئة وعملت عيناه الا عنها ، وغرق في بحر حبها الى قمة رأسه . وفكر طويلاً في التخلص من امرأته والاقتران بها . وفافوض أباه الشيخ في التخلي عن حقوقه في العرش . وطلب من قداسة البابا اذنًا خاصًا بالطلاق من ستيفاني فأبى عليه الحبر الاعظم ذلك طبعاً . كما وبخه أبوه على هذه الفكرة السقيمة توبيخاً صارماً . وبعد ذلك ذهبت الكونتة فتسيرا لزيارته في مقر الصيد والفنص في مايرلنج . فلم يخرج احد منهما حيّاً ومع ان الامبراطور عرف حالاً وقائع الفاجعة التي ظلت طول عهده مكتومة عن العالم لم يتخذ قراراً بحق احد مكثفياً بابعاد الاشخاص المطلعين على تفاصيلها الى اماكن نائية حيث ضمن العرش لهم معاشاً جيداً لقاء الصمت الابدي التام . ففعل الامبراطور المفجوع بانه اراد معاونته ولي العهد الجديد في امر أباه على وحيدته وثكيلته بسببه . وكان بالطبع يستغرب يد القضاء والقدر التي جعلت بعد هذه الفاجعة الوارث الجديد لعرش النمسا من النصف الذي فقد بحبه الوحيد بسببه وبالطبع لم يَبْحُ فرنسيس يوسف لاحد بتحوّل رأيه . لكنه على كل حال لان بعد الفاجعة . واذا ذكرنا انه كان على صوفيا شوتك ان تغلب على مطامح ستين ارشيدوقاً وارشيدوقه يتقدمونها مقاماً ، وعلى اصول تقتضي ارجاع ثلثئة سنة من الجدود الى الوراء ، وعلى التنازل الرسمي العلني من زوجها عن كل حقوقه ، عرفنا اهمية المعصية التي كان على هذه المرأة ان تخوضها . لكن بتركيب السري وضع لكل هذه الامور حداً في صيف ١٩١٤

وفي عام ١٩٠٩ مات ليوبولد الثاني ملك بلجيكا جده الملك ليوبولد الثالث الحالي . فأنكشف عند موته سر زيجته المورغانية بالبارونة دي فوغان . هذه المرأة المتناهية في الذكاء كانت حقيرة الاصل ابنة بواب فقير . اقترنت اولاً بضابط صغير فلم تسعد بزواجها . وعاشت مدة طويلة عيشة غير مرتبة . ومع ذلك تمكنت بدهائها وسحر عينيها من التسلط أخيراً على قلب ليوبولد بعد ما اخشوشن وتصلب . وكان من ادهى رجال عصره في الادارة والسياسة والتجارة .

ولم تقف معه عند حد الحب والغرام . بل اجبرته على الاقتران بها بحسب نواമيس الكنيسة . فصار اولادها منه شرعيين . واستولت بالتالي على جانب كبير من ثروته الواسعة ، مع ان ليوبولد الثاني كان من اشهر المتلاعبين بقلوب النساء في عصره ، وقد انشأ بعض من اجل النساء واذكاهن علاقات سرية به . وبالطبع طمحت كثيرات منهن الى المقام الذي تفردت البارونة دي فوغان بالاستيلاء عليه

والزواج المورغاني يحفظه النبلاء غالباً سرّياً ، تفادياً من الاقويل الملازمة له والصعوبات الممكنة تكديسها في سبيله . على ان هذا التكنم يثير دائماً في اذهان العامة ريباً واشتباهاً بما يخالف القوانين . مع انه في واقع الحال ليس خالياً من القداسة الكنسية كما رأيت . لكن الشعب لا يكتفي بذلك بل يتمشى في احترامه على التقاليد والعادات . ودونك دليلاً على ذلك : عندما اقترن الغرندوق بولس الروسي بالسيدة بستلكور اسرع القيصر نقولا الثاني الى طرده من روسيا . فعاش مدة طويلة في باريس منفيّاً من بلاده . مع ان نافية المبجل نفسه كاد في صباه يعقد لنفسه مثل هذا الزواج . فقد ولع جلالته قبل ان صار ذا جلالة براقصة بولندية واستولدها صبيين تعلموا على نفقته في مدارس باريس ولم يسمح لها بدخول روسيا . بينما والدتها كانت حرة في الدخول والخروج . واخيراً شاد لها قصرأ في بطرسبرج سنة ١٩٠٦ اما الكنيسة الارثوذكسية فلم تعترف بتأناً بدينك الولدين . حال كونها اعترفت بزيجة الغرندوق بولس وعلى الرغم من ذلك ظل الغرندوق بولس مع زواجه المقدس مطروداً من الهيئة الاجتماعية بينما القيصر نقولا مع زواجه غير الشرعي بالراقصة البولندية ظل مبعجلاً مطاعاً ولا بد ان القيصرة اليكس التي ولدت لنقولا الثاني اربع بنات قبل ان تحفته بولد قضت اعواماً طويلاً تتحسر على كون زوجها قد ولد صبيين من سواها وهي لا تلد غير البنات

وقد انتبه القارىء طبعاً الى أن ما حدانا الى طرق موضوع الزواج المورغاني هو طلب ادوارد الثامن ملك انكلترا أن يعقد له زواج كهذا على السيدة واليس ورفيلد مطلقة ارنست سمبسون وزوج آخر قبله . وأن المستر بلدوين رئيس الوزارة قال في مجلس الامة لمؤيدي رأي الملك ان مثل هذا الزواج غير ميسور في القانون البريطاني

وهو ادرى طبعاً بما يوجد ولا يوجد في دائرة القانون . اما نحن فنعلم ان الملك جورج الرابع ، عم الملكة فكتوريا الشهيرة ، وكان يدعى « اول سيد في اوربا » The First Gentleman in Europe اقترن بالسيدة فتز هربرت ، وطلقها واقترن قبل ارتقائه الى العرش بالاميرة كارولين اوف برنسويك . ويؤثر عنها انها هي ايضاً لم تطق معاشرته فغادت الى منزلها في فرنسا ولم تعد الا عند ما لاح لها بارق امل بان تصير ملكة . لكن زوجها كان يمقتها . وقد

حاول تطليقها عبثاً . ولما اقبلت يوم حفلة التتويج الى وستمنستر لتشارك واياه في الجلوس على العرش أقفل الباب في وجهها ولم يسمح لها بالدخول . والملك جورج الاول اقترن بالدوقة اوف كيندل وهي ذات دم غير ملكي . والملك وليم الثالث اقترن بالكونتيسة اوغسطينا فون هوروك الالمانية ثم ان جد الملكة ماري الوالدة الحالية البرنس تك ابن ملك قرتمبرج اقترن بكونتيسة هنغارية قراناً ظل عدة اعوام غير معترف به . ثم قبلت بعد ذلك وجعلت دوقة تك وصار ابنها دوقة واقترن بالاميرة ماري ادلايد وابنتهما الاميرة ماري هي الملكة الوالدة في انكلترا اليوم .
ومما يستحق الذكر في هذا المجال ان الاميرة فكتوريا ابنة شقيق الملك ادوارد السابع اجبت السير الكسندر ريمزي شقيق ارل دهلوزي الحالي . ولم يكن على الاطلاق كفو لها . فتخلت عن ألقابها ومقامها واقترنت به ، رافضة يد الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا الذي عاد فاقترن بابنة عمها الاميرة فكتوريا ايننا

ثم ان جورج الخامس ملك انكلترا والد الملك الحالي كاد يقع له في اوائل صباه حادث يقرب من الزيجات المورغانية . والمصدر الذي نستقي معلوماتنا منه لا يفضلها بصراحة بل يكتفي بالاشارة الى ان جدته الملكة فكتوريا كانت وقتئذ في قيد الحياة . وللقلوب المتحدرة منها وثاق كان شديداً جداً في عهدها . فاستدعتهُ ولم تشدد عليه النكير كما فعل فرنسيس يوسف النمساوي بوحيدة . بل ذكرتهُ بلهجة حازمة بسمو مقامه والواجبات التي عليه لشخصيته المحترمة اولاً في عيون الناس . ولاولئك الناس ثانياً . ولاجداده العظام وللتاريخ الانكليزي ثالثاً . وارتته السهولة في ان يختار لنفسه رفيقة حرة بان تجلس يوماً على عرش بريطانيا العظمى . وهكذا ثاب الى الفتى اليافع رشاده ، وسد المنفذ المفتوح في قلبه للهيبة الباكر المتقد حوله

وكان ايتل فريدريك ثاني ابناء الامبراطور الالمانى غليوم الثاني ناوياً ان يقترن باحدى راقصات برلين لولم يتدارك الامر والده ويرسلهُ الى فرقة عسكرية مخيمة في زوبوت على شاطئ البلطيك . فكث هناك ستة اشهر . ثم ابرق الى والده قائلاً انه يتوب عن حب الراقصات جميعاً . ويقترن بابة اميرة يختارها جلالتهُ له . وبعد اربعة اسابيع احتفل با كليله سنة ١٩٠٦ على صوفيا شرلوت غرندوقة اولدنبيرج . لكنه لم يكمل شهر العسل حتى هبت في قرارة قلبه عادته الكامنة في البدن ، واحيا ليلة ساهرة لبعض الراقصات لم تحضرها الفرندوقة طبعاً لانها كانت في الطريق عائدة الى بيت ابيها

فاستدعاه غليوم اليه سرّاً ، ويقال انه ضربهُ ضرباً مبرحاً جعلهُ يهرب من امام ابيه احمر الوجه متهيجاً . وعلى كل اصلح الامبراطور بين الزوجين فتصالحا وعاشا كما يمكن الى ان نشبت الحرب العالمية فانتظم الامير مع اخوته في صفوف الجيش وعملت صوفيا في الصليب الاحمر .

وبعد الحرب تغيرت الاحوال والمراكر فلم يكثرث احدها للآخر وتبادلا تهمة الخيانة الزوجية وانتهى بهما الامر الى الطلاق في ديسمبر ١٩٢٦ وكانت صوفيا هذه اشد الناس ابتهاجا بسقوط حكم هوهنزولرن لانه جعل طلاقها ممكنا من دون اذن الامبراطور . لان غليوم الثاني كان صارما جدا في هذه الامور ، صرامة لان فيه بعد سقوطه عن العرش الى حد انه اجاز لنفسه الزواج بعد قليل من وفاة الامبراطورة التي كان يحبها حباً جماً

ومن حوادث هذا النوع في المانيا ان الامير يواكيم البرت البروسي ابن حاكم برنسيك أحب الممثلة صلزر . فدرى أبوه بعزمه على الاقتران بها . فسجل في وصيته الاخيرة مادة تشترط عليه في حالة زواجه بفتاة غير نبيلة ان يتخلى عن قسطه من ميراثه الكبير . فلكي يبطل الامير يواكيم فعل هذه الوصية أخذ الفتاة الى لندن حيث استأجر نبيلاً نمسويًا فقيراً يدعى البارون فكتور فون لينبرج فعقد له عليها لقاء مبلغ معين من المال . وبعد الاكليل على الاثر افترق العروسان كل في سبيله فعادت الصبية الى المانيا تطلب من محاكمها الطلاق من زوجها الشرعي النبيل النمسوي بحجة هجره اياها واهماله امرها . لكن الامبراطور غليوم الثاني درى بالامر . وكان رضاه بمقتضى قانون أسرة هوهنزولرن الخاص ضرورياً لجعل الزواج بين أفرادها سريعاً — حتى ان كان الاكليل كنسيًا فرفض ذي الجلالة يجرحه ويلغيه — فأصدر الامبراطور أمره قبل اصدار المحكمة حكمها بالطلاق ، بنفي البارونة النمسوية فون لينبرج من المانيا بحجة انها اجنبية غير مرغوب فيها . وأرسل في الوقت عينه الامير يواكيم الى احدى المستعمرات الالمانية القصية في افريقيا في مهمة عسكرية

ففى الامير مكرهاً لكنه بعد اثني عشر شهراً من مكاتبات سرية بينه وبين حبيبته التي بسمو رضاها في عينه على رضى كل الامبراطورة ومن جرى مجراها ، فر من مقره من دون اذن ولحق بها في أوروبا . فلم يسع الامبراطور عند ذلك الا طرده من الجيش الالمانى ومن المانيا جماعة مشير الى سفراته بالاعاز الى الحكومات الأجنبية كي تمنع منه التكريم المعتاد للذين في منزلته ولم يكن هذا الامر مهمًا لديه ، فقد تخلص من حرمان أبيه من الميراث العظيم . ونال قسطه الوافر من المال المتروك . وعاش مع زوجته المحبوبة خارج المانيا بترف وسعادة ، الى ان خلع الشعب عن العرش الالمانى ذلك الامبراطور المتحكم في حظيه . فصار حرًا مع زوجته التي لا تحمل لقب اميرة بحسب اصول النبلاء المشروعة والمسجلة في تقويم غوثا

ولا شك ان الناس قد رحبت صدورهم اليوم عن ذي قبل واصبحوا لا يشاركون الاسر النبيلة في كل آرائها في الزيجات المورغانية ، وادركوا مع الشاعر العربي ان الفتى من يقول هاء ندا ليس الفتى من يقول كان ابي

قوى الدفاع الاوربية

أقسامها وقواتها وطرق تنظيمها

— ٢ —

فرنسا

يحق لفرنسا ان تفخر بين الدول الاوربية بأقوى جيش بري في اوربا الغربية وأعظم قوة جوية واكبر مجموعة من الدبابات والمدافع وبأنها شيدت أقوى الاستحكامات على حدودها الشرقية وبمنمو صناعة المؤونة والذخيرة عندها وبأنها تحتفظ بقدر كبير جداً من الذهب الاحتياطي وبمجاهدات ومواثيق ومحالفات تربطها بدول صديقة كروسيا وبولندة وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ورومانيا وبريطانيا العظمى

ان الجيش الفرنسي في مقدمة الحيوش الاوربية عدداً وسلاحاً. ومنذ نشرت مجلة «ريشودى دوموند» مقالها الخطير الذي كتبه الماريشال بيتان عملت الحكومة الفرنسية بأرائه التي دوتها في هذا المقال. وكان الماريشال قد دعا فيه الى مد أجل خدمة مجندي سنة ١٩٣٥ لان مجندي سنة ١٩٣٦ سيكونون اقل من المطلوب لنقص المواليد في فرنسا اثناء سنة ١٩١٥ وهو النقص الناشء عن الحرب الكبرى. ويعتقد الماريشال بيتان «ان مجندي سنة ١٩٣٧ و١٩٣٨ و١٩٣٩ سيكونون اقل من المطلوب كذلك لان نقص المواليد في فرنسا استمر حتى نهاية الحرب العظمى. وكان من آرائه التي صرح بها ايضاً في مقالاته «ان هناك سيلاً واحداً الى منع الحرب وهو ان نكون أقوىاء. وقانون جعل الخدمة العسكرية سنتين هو الاجراء الوحيد الذي يستطيع ان يطمئن الفرنسيين وحلفاءهم ويضعف أمانى الخصم ويعزز السلام الاوربي تعزيزاً عظيماً» وفي منتصف شهر نوفمبر ١٩٣٦ نشرت المجلة المذكورة مقالاً للجنرال «فيجنان» القائد العام للجيش الفرنسي سابقاً حذّر فيه فرنسا من جيش المانيا الذي اصبح الآن من القوة بحيث يستطيع القيام بهجوم فجائي يعقبه بحرب طاحنة. ثم قال ان الجيش الفرنسي يجب ان يكون متأهباً لمواجهة تهديد من متوالين ذلك ان فرنسا لا تستطيع حشد قواتها على الحدود لان هذا يشل حركة التعبئة الداخلية كما أنها لا تستطيع تحويل الخدمة الاجبارية الى خدمة تطوعية في الجيش ورأى الجنرال «ديجاز» ان حل هذا الموقف يتم بالطرق الآتية :

اولاً : ان تكون جنود الحصون والقلاع مستعدة في كل وقت لتعبئة أقصى قوة لحماية الاستحكامات المشيدة

ثانياً : ابقاء وحدات متحركة كبيرة وان تكون ميكانيكية في المناطق الواقعة على الحدود
ثالثاً : ايجاد قوة متحركة من الجنود مكونة من وحدات كبيرة يمكن جعلها متأهبة للعمل
في أسرع وقت

ولكي يمكن الوصول الى انشاء هذا النظام يقتضي ان يزداد عدد المجندين من ١٢٠ ألفاً
الى ٢٠٠ ألف وأن يخفض سن الاقتراع الى حد يسمح بزيادة خمسين الف جندي وتعديل مدة
الخدمة حتى يتيسر تحسين التدريب العسكري
هذا هو رأي آخر لاحد قادة فرنسا المبرزين. ولا ندري الى اي حد انتفع بهاتين المشورتين
الفيتتين من الناحية الفرنسية الوطنية لمقاومة الخطر

ومع ذلك فان فرنسا لا بد ان تكون مطمئنة ودليل ذلك ما صرح به المسيو دالاديه وزير الدفاع
لما وقف يوم ٤ نوفمبر ١٩٣٦ أمام اللجنة الحربية في مجلس النواب يشرح مكانة فرنسا الحربية قائلاً
أنه يدعو الى الاطمئنان وان موقف المانيا ومقامها الحربيين لا يدعوان الى ارتياح المانيا نفسها
وصرح بأنها لن تتمكن قبل مرور عام من اتمام مشروعات التجنيد . ومع ذلك ففي نيته تجديد
الشباب الفرنسي في سن الثامنة عشرة كما ينوي في الوقت نفسه انشاء معهد للأبحاث العلمية للدفاع
عن فرنسا ولم يستطع ان يخفي تقدم ادخال الوسائل الميكانيكية الحديثة في الجيش الألماني
والتطور السريع في انشاء الطرق والسكك الحديدية في منطقة حوض الرين وهذا مما يشجع
الألمان على القيام بمفاجأة سريعة . وعقدت الحكومة الفرنسية النية على ان تتفق على زيادة وسائل
الدفاع البري والجوي والبحري في السنوات الأربع المقبلة مبلغاً يقدر بـ ١٨٢٦٠٠٠.٠٠٠ جنيه
وفي الوقت نفسه نرى المستر لويد جورج السياسي الانجليزي قد ألقى خطاباً سياسياً خطيراً
قال فيه ان فرنسا أقوى الدول الأوروبية في العالم اليوم وانها تتم بحيش مدرب بلغ عدده خمسة
ملايين جندي وان المانيا لا يمكن ان تبلغ مبلغ فرنسا من حيث التدريب العسكري الا بعد سنوات
لأن الجندي لا يكون جندياً بكل معنى الكلمة الا بعد تدريب متقن وعناية كبيرة
ولا ندري صحة هذا الرأي فقد قال بعضهم ان لويد جورج يحاول تسويق موقف المانيا من

سياسة التسليح باظهار فرنسا بمظهر الدولة القوية الخطرة !

والجمهورية الفرنسية لها أملاك واسعة تحتفظ فيها بقوات عديدة من جميع الاسلحة فان لها
في الجزائر ومراكش وتونس وافريقيا الغربية الفرنسية وافريقيا الاستوائية الفرنسية ومدغشقر
والصومال الفرنسي وريونيون والهند الفرنسية وخالدونيا الجديدة والهند الصينية وغيانا وغيرها من
جزر المحيط الهادي . وكذلك لها في بلدان الانتداب سوريا ولبنان وكامرون قوات مؤلفة
من جميع الأسلحة

وتبلغ مساحة فرنسا ٥٥١٦٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٤٢ مليون نسمة وجيشها يبلغ عدده في وقت السلم ٦٤٢٨٧٥ من هؤلاء ٢١٣٦٠٠٠ من جنود المستعمرات . ومن السهل عليها ان تعي في وقت الحرب ما لا يقل عن أربعة ملايين جندي

والخدمة العسكرية اجبارية في فرنسا . وهي مقسمة الى ١٨ منطقة عسكرية على رأس كل منطقة ضابط برتبة جنرال يتولى قيادة القوات العسكرية للجيش والقوات الاقليمية وهو مسئول عن الاقتراع والتدريب العسكري والتعبئة في منطقته بمساعدة هيئة قيادته ومكاتب تجنيد منطقته ومراكز التعبئة فيها . أما قوات المستعمرات فتتبع كل منها نظامها الخاص بها . وتتألف العناصر العسكرية العليا للقيادة والادارة الخاصتين بالجيش من الهيئات الآتية :

١ — المجلس الحربي الأعلى ويتألف من وزير الدفاع والحرب رئيساً له ورئيس هيئة اركان الحرب العامة وكيلاً ومارشالات فرنسا وعدد من قواد الفرق الذين في الاستبداء لا يزيد عددهم على الاثنى عشر وهؤلاء الاعضاء ينتخبون بقرار رسمي في أول كل عام

٢ — هيئة القيادة العليا برآسة رئيس هيئة اركان الحرب

٣ — هيئة التفيدش العام الدائمة لجميع الأسلحة كالمسوري والمشاة والمدفعية والنقل والمهندسين وقوات المستعمرات

٤ — هيئة اركان حرب الجيش برآسة وكيل المجلس الحربي الأعلى

٥ — وزارة الدفاع الوطني والحرب

٦ — ادارة الجغرافيا العسكرية

٧ — عدة لجان ومجالس للبحث في أعمال السكك الحديدية العسكرية والمفرقات وصناعة الذخائر . وما أشبهه . والتعليم العسكري ليس مركزاً في باريس وحدها بل هو موزع كالجيش في جميع أنحاء فرنسا وان كانت أهم معاهده في باريس مانذكره كالاتي :

مدرسة الدواست العسكرية (Ecole militaire) . المدرسة الحربية العليا . المدرسة الحربية الخاصة بسان سير . مدرسة الفنون العسكرية . مدرسة المهندسين المتقدمين في قرساي . مدرسة الادارة الحربية في قنسان ومركز تدريب السيارات في فونتبلو . مدرسة الرياضة البدنية في جوانفيل . مدرسة الطب العسكري . مدرسة المدفعية في فونتبلو . مدرسة الدبابات . والمدرسة العليا لصناعة الأسلحة في بوتو . مدرسة المواصلات والاشارة في قرساي

وبجانب هذه المعاهد الحربية فهناك في روان وترو وتور وليون ومارسيليا ونانس والجزائر عدة مدارس فنية أخرى تمد الجيش بالضباط الفنيين وكذلك بعدد ضخم من ضباط الصف ويمكن تلخيص عدد القوات العسكرية الفرنسية في البيان الآتي

المشاة وتتألف من ١٣٨ آلياً و ٣٨ أورطة مستقلة
الدبابات وتتألف من ١٢ آلياً و ٥ أورط مستقلة و ٤ بلوكات مستقلة وصنف
الخيالة وتشتمل على ٦٥ آلياً و ٨ مجموعات مستقلة و ٥ أورط مستقلة و ١٢ بلوكاً
والمدفعية وتشتمل على ٧٩ آلياً و ٥ مجموعات مستقلة و ١١ أورطة مستقلة وتسعة بلوكات
وبطاريات. أما المهندسون فيكونون ١٢ آلياً وأربع أورط مستقلة
وقوة الطيران الفرنسية من أقوى قوات الدفاع الجوية في أوروبا إن لم تكن الدولة الثانية بعد
روسيا فعدد الطائرات العسكرية البرية والبحرية في فرنسا ومستعمراتها لا يقل عن ٥٤٠٠ طائرة
قتال وتدريب من عدة طرازات وتبلغ قوتها أربعين ألف جندي وضابط. وهذه القوة العديدة
لا تشملها الزيادة الجديدة التي قررتها وزارة الطيران الفرنسية منذ شهرين بمعدل خمسين في المائة
وبذلك يصل عدد الطائرات الحربية الى نحو عشرة آلاف طائرة وتحتاج هذه الزيادة الى ألف ضابط
جديد ولقد أقر مجلس الوزراء الفرنسي تلك الزيادة وصدق على الاعهاد اللازم لها ومقداره
خمسون مليوناً من الجنيهات

روسيا

وهذه حليفتها روسيا نشرت فيها حركة التجنيد والتدريب العسكري من بحر البلطيق الى المحيط
الهادي بنشاط مدهش ونظام دقيق. ومنذ أسبوعين سمح ستالين للجنرال كليمنت فوروشيلوف
قائد الجيش الأحمر باستخدام كل ما يلزم من الوسائل لإنشاء أعظم آلة حربية عرفها التاريخ الى
اليوم. وصرح الاميرال «أورلوف» في بيان له أنه في خلال ثلاث سنوات سيكون لها ٧١٥
غواصة و ٣٠٠ سفينة حربية و ١٧٥ سفينة حربية للسواحل و ٥١٠ طائرات للاسطول ومائة بطارية
ضد الطائرات ومائة قاعدة بحرية وقد زادت ميزانية أعمال الدفاع الى ١٤٦٨١٥ مليون روبل ذهب
فترى ان روسيا تستعد استعداداً مدهشاً للحرب المقبلة وسيطر النفوذ العسكري على جميع
المصانع والمعاهد الاقتصادية والمعامل الفنية بحيث تجعلها خاضعة لمصلحة البلاد الحربية في اي
وقت. وقد فصل أخيراً مراسل جريدة «الديلي اكسبريس» في وارسوفيا مشروعاً حربيّاً واسع
النطاق لأعداد الجيش البري والبحري والجوي في روسيا بتية ان يصبح أعظم آلة حربية كما
قلنا. وقد ذكر المراسل ان أساس المشروع خمسة أمور جوهرية
اولاً: بناء سلسلة من الحصون طولها ألف ميل على محاذة حدود روسيا البولشفية من
الشرق والغرب على مثال خط ماجينو الفرنسي

ثانياً: مضاعفة عدد قوة الجيش الحاضرة في سنتين حتى يصير ثلاثة ملايين رجل
ثالثاً: زيادة سلاح الجو حتى يصير ثلاثة اضعاف ما هو عليه الآن

رابعاً : انشاء ادارة حربية جديدة تحت اشراف فورشيلوف قوميسير اعمال الدفاع
خامساً : نقل مصانع السلاح والذخيرة من اماكن تستهدف فيها الآن لغارات الاعداء الى
مقاطعات في داخلية البلاد

ويجب ان لا ننسى ان روسيا تستطيع تعبئة ١٧ مليون جندي في وقت الحرب
ان الجندية في روسيا البولشفية شرف عظيم لا يناله الا الخائزون على قسط من التعليم والذين
يرهنون على صدق وطنيتهم واخلاصهم للنظام السوفيتي . وينص دستور الشعب على ان العمال
والفلاحين فقط هم الذين لهم الحق في الدفاع عن اتحاد السوفيت بحمل السلاح اما ابناء الملاك
السابقين وشباب الطبقات الثرية من الفلاحين فيعفون من الخدمة العسكرية الاجبارية لان الخدمة
العسكرية والدفاع عن اتحاد السوفيت شرف لا يناله ولا يسمو اليه هؤلاء . ولكن اذا نشبت
الحرب دعي هؤلاء اي ابناء الملاك والفلاحين الاغنياء الى الصفوف للقيام بالاعمال الثانوية وراء
ميادين القتال . والحيش الاحمر ليس بسلاح دفاع فقط بل ان التدريب العسكري الذي يناله
رجاله ليس هو الناحية الرئيسية فيه مع ما لها من الشأن . ذلك لان الحيش اصبح في نظرهم مدرسة
واسعة النطاق تمكنهم من غرس المبادئ الشيوعية في اعماق النفوس وتربية الحيش الاحمر تركز
على ثلاث نواح هي :

- ١ — الناحية الحربية بتدريب الجنود على القواعد العسكرية وفهمها وتنفيذها
 - ٢ — الناحية الثقافية بتعليم الاميين قواعد الكتابة والقراءة وتوسيع معارف المتعلمين منهم
 - ٣ — الناحية السياسية بتعليمهم اساليب الحزب الشيوعي وقواعد خطته السياسية والاجتماعية
- ليكونوا عند عودتهم دعاة لها في المزارع والمصانع والقرى
- وروسيا اكبر دول العالم مساحة فهي تبلغ ٢١٦٦٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها
لا يقل عن ١٧٠ مليون نسمة وتحاذي حدودها حدود دول البلطيق وبولندة ورومانيا وتركيا
وايران وأفغانستان والصين ومنشوكو ويبلغ عدد الحيش البولشفيكي ١٣٠٠٠٠٠ جندي بخلاف
القوات الاقليمية ويشرف على الاعداد العسكري في الجمهورية قوميسيرية الدفاع عن الشعب وتتألف
من اثني عشر مصلحة وادارة حربية أهمها هيئة اركان الحرب العامة والقوات الروسية موزعة
على احدى عشر منطقة عسكرية

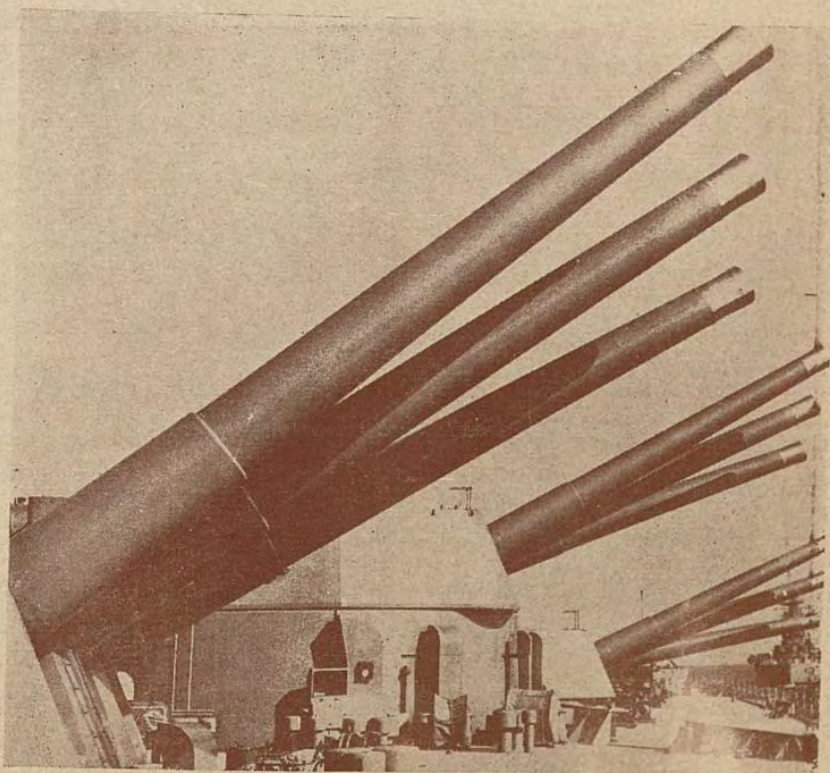
وتشتمل كل منطقة عسكرية من المناطق المذكورة على العناصر الرئيسية الآتية :

هيئة اركان الحرب للمنطقة — الادارة السياسية — قيادة القوات الجوية — ضباط قيادة
الاسلحة المختلفة — قائد خدمة التعيينات — قيادة القسم الطبي — قيادة الطب البيطري
وأهم المدارس العسكرية في روسيا هي :



جندي يقيس المسافة بآلة
دقيقة قبل اطلاق المدفع

مدافع مشرعة من
احدى البوارج



١٥ مدرسة للشاة مدة الدراسة فيها ثلاثة اعوام ونصف
 ٤ مدارس للخيالة ومدة الدراسة فيها كلشاة
 ٤ مدارس للمدفعية ومدة الدراسة فيها اربع سنوات ونصف
 مدرستان للمهندسين ومدرستان للاشارة ومدرسة الاسلحة الفنية والمواصلات والطبوغرافيا
 العسكرية وفرقة الوحدات المدرعة ومدة الدراسة في جميع هذه المدارس اربع سنوات ونصف سنة
 وهناك ايضاً ١٣ كاديمية عسكرية للضباط العظام عدد طلبتها ١٦٠٠٠ طالب ومدة الدراسة فيها خمسة
 اعوام وتشتمل بعض الجامعات على كليات للدراسة الحربية كالحقوق والآداب . وعدد هذه
 الكليات كان ست كليات في عام ١٩٣٦

وبجانب المدارس الخاصة بالجيش مؤسسات أخرى تشرف عليها قوميسيرية الحرب وتقوم
 بالتدريب العسكري الاجباري للذكور والاناث وتعرف هذه المؤسسة باسم (Osoaviachim)
 رؤساؤها من الضباط العظام في الجيش الاحمر وهذه المؤسسة تقوم بالآتي :

١ — ترقية المعارف العسكرية بين طبقات العمال الذين أتموا الخدمة العسكرية في الجيش
 العامل ووحدات المقاطعات

٢ — التدريب العسكري والسياسي للشبان الذين يرغبون في الانضمام في الجيش قبل حلول
 ميعد خدمتهم العسكرية والشبان الصالحين للخدمة العسكرية الذي لم يجندوا لسبب من الأسباب
 ٣ — تحسين المعارف العسكرية لتلاميذ المدرسة الحربية

٤ — التدريب العسكري الابتدائي والتمرين الرياضي في المدارس حيث التعليم العسكري
 غير اجباري

٥ — تعليم الفتيات العائلات المبادئ العسكرية والاعمال الحربية في مؤخره وحدات
 الجيش وفي المقدمة

٦ — تدريب قوات الاحتياط السنوي

ولما كانت الحروب الغازية ذات شأن عظيم فقد عهد الى مدرسة الكيمياء العليا في
 موسكو في تدريب الكيماويين الحربيين من الوجهة الفنية وقسمت البلاد الى قيادات عسكرية
 للغازات وقد كان تدريب الجيش الاحمر في استعمال الاسلحة الغازية والوقاية منها يتم في مدارس
 حربية خاصة فتغير هذا النظام أخيراً واستبدل تدريب الجنود في ميادين خاصة على تمرينات عملية
 موافقة لعقليات الجنود . والنقطة الجوهرية في الأمر هي ان التمرينات تتم بواسطة غازات سامة
 حقيقية كاطلاق غاز الكلوريد وغاز آدمسيت الأيركي وتسميم بقاع شاسعة « بغاز الخردل »
 أما العناية بالدفاع ضد الغازات فقد وضع في أعلى مكان من الاستعداد الحربي ولم يقصر هذا

الدفاع على الدوائر الحربية بل مداً الى السكان فوزعت عليهم جهازا واقية من شر الهجمات الغازية وقد قال ثورشيوف « لقد توصل علمائنا الى ايجاد قناع واق من الغازات بلغ حد الكمال وتقرر استعماله في الجيش وسنحتاج الى عدد هائل من هذه القناعات اذ ليس علينا ان نعد بها كل جندي فقط بل وكل عامل وكل فرد من السكان في المناطق الواقعة وراء خط القتال » ولقد أدخل الروس أسلوباً جديداً في القتال شاهد الملاحقون العسكريون للدول اثناء مناورات فريق من الجيش البولشفيكي في اوكرانيا منذ شهرين تقريباً وهو ازال الجنود بأسلحتهم الكاملة بواسطة المظلات الواقية وقد تمكنوا بهذه الوسيلة من ازال جنود أورطة كاملة بمعداتهم وراء خطوط المدافعين . وليس من شك في أن إدخال هذا النوع من أساليب القتال سيكون له أثر واضح في الحروب المقبلة التي ستشاهدها القارة الاوربية والطيران الروسي في طليعة القوات الجوية التي يعمل لها حساب كبير . فروسيا تمتلك خمسة آلاف طائرة وعدد رجالها لا يقل عن خمسين ألفاً خلا قوات الجو الاحتياطية

بريطانيا العظمى

قد تكون انجلترا بين الدول الأوربية القليلة التي ما زالت الى اليوم تتبع التجنيد الاختياري في خدمة الجيش والبحرية والطيران . ولذلك يعاني الجيش الانجليزي اليوم مشكلة يفرد بها بين قوات الدفاع الأوربية وهي مشكلة التجنيد . وقد اهتم القوم ببحث هذه المسألة بحثاً جديداً بين جدران وزارة الحربية وعلى صفحات الجرائد . واقترحت حلول كثيرة كان منها زيادة المرتبات للجنود وتعديل الزي العسكري وتحسين الحالة في الثكنات وتعليم الجنود بعض الحرف اثناء الخدمة العسكرية ووعدهم بتشغيلهم في صناعاتهم بعد انتهاء خدمتهم العاملة ان مدة الخدمة العسكرية في الجيش النظامي اثنتا عشرة سنة منها مدة تتراوح بين الثلاثة والتسعة أعوام في الخدمة الفعلية بحسب نوع السلاح (مشاة او خيالة او مدفعية) وقد بلغ الجيش الانجليزي هذا العام العدد الآتي

١٤٧٦٠٣٠ من هؤلاء ١٤٤٦٣٨٣ جنود بريطانيون و ٢٦٤٧ جنود المستعمرات والوطنيين وكان في الهند ٥٧٦٥٢٤ . وعلى هذا الاعتبار فان عدد الجيش الانجليزي النظامي هو ٢٠٤٦٥٥٤ ضابطاً وجندياً وهو يشتمل على خمس فرق ولواء مشاة ولواء دبابات ولوائين خيالة . وجيش التريوتوريال (القوات الاقليمية) وهي اشبه بقوات الميليشيا ويتلقى أفرادها التدريب العسكري لمدة محدودة في السنة في معسكرات خاصة وعدده ١٨٤٦٢٦٥ وهو يشتمل على ١٤ فرقة مشاة ولوائين خيالة وجيش الاحتياط ويتألف من الجنود الذين انتهت مدة خدمتهم الفعلية

ويستدعون لحمل السلاح عند الحاجة وعددهم ١٢١٦٢٠٠

وجيش الاحتياط الملحق او المكمل Supplementary وعدده ٢٥٦٢٩٧

وفي البيان التالي سجل قوات الجيش الانجليزي :

١٨٤٦٢٦٥	القوات الإقليمية	١٤٤٦٣٨٣	الجيش الانجليزي النظامي
٥٧٦٥٢٤	جيش الهند	٢٦٦٤٧	قوات الوطنيين في المستعمرات
٩٦٥	هيئة اركان الحرب	١٢١٦٢٠٠	الاحتياط
٥٣٧٦٣٩٢	المجموع	٢٥٦٢٩٨	الاحتياط الملحق
		١٦١٠٠	المليشيا

وكان عدده في العام الماضي ٥١٨٦١٧٤ أي ان الجيش الانجليزي زاد خلال العام ٢٠٠٠٠ تقريباً. وقد زادت الاعتمادات الخاصة بالجيش الانجليزي خلال عام ١٩٣٦ مبلغ ٤١٧٦٠٠٠ جنيه وهذا المبلغ لا يشمل على ١٥٥٠٠٠٠ ر. ١٥٥٠٠٠ ر. جنيه اقتضتها طوارئ النزاع الايطالي الحبشي فيكون مجموع الاعتمادات لميزانية الجيش الانجليزي قد وصلت اثناء العام المذكور الى ٤٩٠٢٨١٠٠٠ مقابل ٤٣٠٥٥٠٠٠ ر. جنيه في العام السابق

وخلال العامين ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ستتحول معظم وحدات الجيش الانجليزي الى قوات ميكانيكية وقد تمت منشآت قصت بها ضرورة الدفاع عن الامبراطورية في مصر والصين ومالطة وقبرص علاوة على ماسيني خلال الأعوام بعد عقد المعاهدة المصرية الانجليزية. وقد اعتمد مبلغ نصف مليون جنيه للأعمال التمهيدية في قاعدة سنغافورة التي ينتظر ان تكون أهم القواعد البحرية في الامبراطورية البريطانية وستزداد حاميتها ايضاً كما ستزداد في الصين وسيلان والسودان وفلسطين ومالطة وأعمال الدفاع في الجزر البريطانية في نشاط عجيب وأهمها في وولتش وشستر وتقام ثكنات جديدة في بيرهام وادنبرة ووارمنستر. وأعمال الدفاع الجوي في ليشفيلد ووارلى ويشرف على جميع أعمال الدفاع في الامبراطورية البريطانية مجلس دائم للدفاع الامبراطوري وهو ذو صبغة استشارية محضة ويرأس جلساته رئيس مجلس الوزراء ومن يدعوهم من الوزراء والمستشارين الاختصاصيين في المسائل التي سيجري البحث فيها وأهم الذين يدعون لهذا المجلس رئيس مجلس النواب ووزراء المالية والخارجية والمستعمرات وحكومات التاج والهند وأميرال البحرية ووزير الحرية والطيران ورئيس هيئة اركان حرب البحرية ورئيس هيئة اركان حرب الجيش والطيران والسكرتير الدائم لوزارة الخارجية كما ان هناك ايضاً مجلساً للجيش يرأس أعماله وزير الحرية والجيش الانجليزي موزع في أنحاء بريطانيا وشمال ايرلندة ويبلغ عدد المناطق العسكرية فيها

سناً والمستعمرات البريطانية والدول المشمولة بالانتداب الانجليزي ومصر وفي البيان التالي توزيع القوات الانجليزية في العالم : —

٢١٦	عدن	٢٦٦٩	جبل طارق
١١٩	جزر مورشوس	٣٤٧٩	مالطة
٣٦٩	سيلان	٤٠٩	برموده
٤٦٣٨٦	الملايا	٦٦٩	جامايكا
٧٦٦٢٤	الصين	١٩٣	قبرص
٥٧٥٢٤	الهند	١٦٩٧٠	فلسطين
١١٣٤٦٦	الجزر البريطانية	٩٦٥٩٦	مصر
٢٠٤٦٥٥٤	المجموع	١٦٨٦٥	السودان

اما التعليم العسكري في بريطانيا العظمى فيقوم على المعاهد الآتية :

- ١ — اكاڊمية ساند هرست الملكية لتخريج ضباط المشاة والخيالة ومدة التعليم سنتان
- ٢ — اكاڊمية ووليتش الملكية لتخريج ضباط المدفعية والمهندسين
- ٣ — كلية اركان الحرب في كمبرلي وزميلتها في كويتا بالهند ومدة الدراسة طمان وعدد طلبتها لايتجاوز المائتين والغرض منها تعليم الضباط المتقدمين لها للدراسات العالية في العلوم العسكرية
- ٤ — مدرسة الضباط العظام ومقرها الوقفي في «شيرتس» لتعليم البكباشية ومدتها ثلاثة اشهر وتنفرد فرق الدراسة ثلاث مرات سنوياً ويشمل برنامجها التدريب التكتيكي العالي للقوات الكبيرة والتعليم النظري والعمل الخاص بقيادة القوات من جميع الأسلحة

اما قوة الطيران الملكية فتشتمل على ما لا يقل الآن ، عن ٢٥٠٠ طائرة من جميع الانواع قاذفات القنابل والمحاربة والتمرين . والقوات الجوية الانجليزية موزعة بين داخلية انجلترا والسواحل البريطانية والشرق الادنى (شرق الاردن وفلسطين) والعراق والهند وعدن والبحر الابيض المتوسط ومصر والشرق الاقصى ويبلغ عدد رجال القوات الجوية ٣٥٠٠٠

ويجري العمل الآن بسرعة عجيبة في سبيل تعزيز السلاح الجوي الانجليزي ومضاعفة طائراته وعدد رجاله وانشاء احتياطي كبير من الضباط والجنود للارتفاع بهم وقت الحاجة

اما دولة ايرلندة الحرة فيزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين قليلاً ومساحتها ٦٩ الف كيلو متر مربع وجيشها من احدث الحيوش الاوربية يبلغ عدده اليوم ١١٤٥٣ ضابطاً وجندياً وللجيش كلياته ومدارسه العسكرية ، ولكن قوة الطيران فيه صغيرة لا تزيد على ١٨ طائرة قوتها ٥٤١٠ احصنة منها اربعة فقط صالحة للاعمال الحربية

الكولونيل

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

المقالة فريدة

في الثمانين من عمره الحافل

مستوى الحياة ورخائها حالة ان الآخري
لا يستطيعون ان يضيفوا الى ارتقاء الانسان
شيئاً يلمس وينظر ويسمع كالسيارة والمصباح
الكهربائي ووسائل المحادثات الكهربائية .
وليس شئ يخشاه الناس ويتجنبونه كالبحث
الصريح في شؤون الجنس والضمير . فالتناس
يقفون من هذه المباحث وكان معتقداتهم
الخاصة بهذه الموضوعين اركان ينهض عليها
صرح الحضارة ، فاذا تبدلت او تحولت انهار ذلك
الصرح على رؤوسهم . بل لقد يسري اليهم شئ
من الريب اذا علموا ان اساتذة الطب و النفس
اكبوا على دراسة فرويد و كتاباته ولا يبعدان
يستنكروا كل سعي من شأنه ان يفضي الى تأثر
النظام الجنائي والتعليمي بتعاليمه
كان خصوم فرويد اسرع من اصدقائه
الى ادراك ان سر مكائنه العالمية في منطوق تعاليمه
الخاصة بالاصلاح الاجتماعي والادبي . ان
الكشف عن حقائق الطبيعة نتيجة العقول
الحررة المدربة على البحث الساعية الى زيادة

كما نقول ان لا كرامة لني في وطنه .
ولكن امتداد الحياة البشرية بفضل تقدم
العلوم وتطبيقها فسمح المجال امام رواد الافكار
الى زيادة في حياتهم بوجه عام تمهد لهم
السبيل لاعتراف الناس بفضالهم . بل ان
الشيخوخة في ميادين الفلسفة والعلم تقترن عادة
بسلطة عجيبة مع ان الفيلسوف او العالم يكون
في الغالب قد تخطى السن التي يستطيع فيها ان
يضيف شيئاً جديداً الى كنوز المعرفة

الا ان فرويد وقد بلغ الثمانين يشذ عن
عن ذلك . ان السنين لم تبل ما في بحثه من
جدة ولا مالا باسمه من سلطان . ان ذكره
لا يزال يثير عواصف من النقد والاعجاب في
آن . والناس ما برحوا منذ ظهرت نظرياته
يوالون فيه ويعادون . وليس لتعليل ذلك بعيد
النال . فالطريق المفروش الممهّد للباحث في
العلوم الطبيعية والكيميائية محرم بعض التحريم
على رواد العلوم النفسية والاجتماعية لان
الاولين تفضي مكتشفاتهم ومخترعاتهم الى رفع

سلطة الانسان على الطبيعة وعلى النفس .
ولذلك لا يستطيع العلم ان يقف بمعزل عن
المشكلات الاجتماعية والنفسية العامة بل ان
علم كل عالم ينطوي على تبعة تحمل صاحبه على
السعي الى استخدام علمه في سبيل الحرية
والتعقل اللذين لا تقدم للعلم من دونهما . وقد
كان هم فرويد واتباعه ان يستعملوا مكتشفاتهم
في سبيل تحرير الانسان من الاستعباد للكبت
والتقاليد والمحرمات . فنظريته النفسية تطوي
على آراء تهدم النزعات التي تقوم عليها النظم
الفاشستية كالحضوع لزعيم واحد هو بمثابة
شيخ القبيلة في العصور البدائية اذ كان كاهناً
ومشرعاً وقائداً في آن . لذلك حظر في المانيا
على اي كان ان يكون من اتباع فرويد

الا ان كل هذا لم يحل بين فرويد وحياته
هادئة مطمئنة . فن اقوال الفرنسيين التي
صارت مثلاً ان الامة السعيدة لا تاريخ لها
ولكن هذا القول اصدق اليوم على العالم
المبدع منه على الاعم . فقد ولد فرويد سنة
١٨٥٦ في ما يعرف الآن بتشكوسلوفاكيا من
والدين يهوديين . ودرس الطب والفسمولوجية
في فينا حيث أنشأ عيادة خاصة بالطب النفسي
Psychiatry في سنة ١٨٨٦ . بعد سنة قضاه
في باريس تلميذاً لشاركو . واشترك مع جوزف
بروير Breuer في وضع اساليبه الخاص بمعالجة
الحالات العصبية حوالي سنة ١٨٩٣ وشرع
بعدها في نشر سلسلة من الكتب والرسائل

تحتوي على بحوث في العلاج وقواعد لنظرية
سيكولوجية جديدة . فلما نشر كتابه (تفسير
الاحلام) سنة ١٩٠٠ طارصيته كل مطار واصبح
مقدم علماء النفس على بر اوربا ومنذ نشر كتابه
« وراء مبدأ اللذة » سنة ١٩٢٢ اتجه فكره الى
النواحي البيولوجية والفلسفية التي تقتضيها نظريته

ليس في خلقه ما يستوقف النظر . فهو
يرغب عن الجدال مع انه اشترك في وقت ما
في جدال سيكولوجي عنيف مع علامتين يونغ
وادلر . ولكنه الآن وقد ناهز الثمانين
يحتب كل هذا . لقد انقضى الزمن الذي كان
تلاميذه ومريدوه يعتبرونه معصوماً عن الخطأ
وكل ما يرجوه محبوه الآن ان لا يشهدوه
على قيد الحياة حريق كتبه في ميدان عام !

ان جانباً كبيراً من علم السيكلوجيا
الحديث يرجع الى تعاليمه الخاصة بالدافع الجنسي
وتأثيره في الحياة والامراض العصبية وشفائها
بالتحليل النفسي . وقد تسربت تعاليمه الى
الادب فأصبح غير قليل من القصص التي
تكتب وتشر الآن قائماً على قواعد التحليل
النفسي وصلة الحالات النفسية والجسدية
والاعمال العامة بالباحث الجنسي وكتبه . بل
ان طائفة من كتب السير الحديثة قامت على
هذا المبدأ ونخص بالذكر منها كتاب « ماري
انطوانيت » الذي كتبه الكاتب الالمانى المبدع
ستيفان زفيج

هل يستطيع العلم ان يتقهر الحضارة

رأي السر رتشارد غريغوري

ومن بواعث السخرية في الحضارة الحديثة ان تأثر المجتمع بوسائل الانتاج الكثير لم يكن زيادة الرخاء والرفاهة بل زيادة الفاقة والشقاء والانهطاط ببعض اساليب العلم والاختراع الى دركات القتل والتدمير

ولما كان العلم قد وسع من سيطرة الانسان على قوى الطبيعة فعليه ان يتحمل التبعة الناشئة عن ذلك . ولكن المهم ان الاسلوب العلمي الذي استعمل في كشف اسرار الطبيعة والسيطرة على قواها يجب ان يستعمل في دراسة المجتمع والسعي الى حل مشكلاته

ان نظام التوزيع الاقتصادي لا يزال قائماً على قواعد ترتد الى ما قبل العصر العلمي ولا يصلح لهذا العصر الذي اصبحت آيته الكثيرة في الانتاج لا القلة

ان في مكنة العلم ان يجهز الامة بكل ما تحتاج اليه وفقاً لزيادة عدد الناس ولارتفاع مستوى معيشتهم . ولكن استعمال هذه القوى على خير وجه ليس امراً مقررّاً ولا يعرف بداهة بل يجب ان يكون نتيجة البحث والمعرفة والروح التي يقضيها الاسلوب العلمي

اذا درس عالم من علماء الحشرات وكرمل ووصف طبائمه دعي بحته علماً ولكن اذا درس باحث آخر المجتمع الانساني درساً قائماً على النقد وبأسلوب البحث العلمي انكر عليه ان يحته هذا علم

ان علماء الطبيعة والكيمياء طالما ترددوا في التسليم بأن الاقتصاد والسياسة نظراً وعملاً والتاريخ والاجتماع من العلم . الا ان الصوت أخذ يرتفع من دوائر العلم بأن على العلماء الذين مكّنوا الانسان من السيطرة على قوى الطبيعة يجب ان يوجهوه الى استعمال هذه القوى استعمالاً يتفق مع سلامة المجتمع وارتقائه وقد كتب السر رتشارد غريغوري محرر

مجلة نايتشر مقالاً قال فيه ان الواجب يقضي على رجل العلم بأن يبذل كل ما في وسعه لاستعمال القوى التي يمكن منها الناس استعمالاً نافعاً والا فان العالم مصير حتماً الى كومة من الرماد ان تأثير العلم في المجتمع بلغ مرتبة يصح عندها ان نقول ان البحث في البيولوجيا الاجتماعية اهم كثيراً من البحث في موضوعات العلوم الطبيعية المحضة كتركيب الذرة وغيره

أهتر انواع الفيتامين

يدعى « سترين » وفوائده

اذا خلا الطعام من فيتامين (O) أصيب
أكل ذلك الطعام بمرض يدعى الاسكربوط .
وكانت السفن في قديم الزمان تنقل في مخازنها
زجاجات تحتوي على عصير الليمون لان أياماً

وأسماع كانت تنقضي قلما ينزل البحارة الى مرفأ يأخذون منه طعاماً يحتوي على هذا الفيتامين فيعوضهم العصير مما يحتاجون وهم لا يدرون ما هو تماماً والظاهر ان ثمار جميع اشجار الموالح تحتوي على هذا الفيتامين . ولكن الفلفل الاحمر المشهور في البحر باسم باريكا اغنى النباتات به . ولذلك عمد اليه الاستاذ سانت جورجى احد اساتذة جامعة سفييد بالبحر فاستخرج منه فيتامين [C] نقياً صافياً من اعراض الاسكربوط نزف الدم في اللثة والبشرة . وفي بعض الاحوال لا يقف النزف ولو استعمل حامض خاص بذلك او لو استعمل فيتامين [C] نفسه . ولكن استعمال عصير الليمون او عصير الباريكا لا يخيب في منع النزف . فقرر الاستاذ سانت جورجى انه لا بد من وجود شيء آخر في الليمون والباريكا غير فيتامين [C] وعلى ذلك بدأ بحثه بمعاونة اربعة من الباحثين

فأفضى البحث الى اكتشاف فيتامين جديد وسم بحرف P الفرانجي استخرج الاستاذ سانت جورجى من مقدار من الليمون وزن ٢٠٠ كيلو غرام ما وزنه غرامان من المركب الجديد ولكنه خال من اي اثر من فيتامين (C) ودماه باسم « سترين »

وميل البشرة الى النزف مما يمكن قياسه بمضخة تفرغ اي « شفت » وبالتجربة ثبت ان فيتامين (C) لا يؤثر في الاوعية الشعرية من حيث مقاومتها للنزف ولكن الفيتامين الجديد (اي سترين) يزيد مقاومتها . ولذلك لا ينحصر استعماله في الاسكربوط بل في حالة تصاب بها البشرة يقع حمر ناشئة من ضعف الاوعية الشعرية التي يجري فيها الدم حيث تظهر هذه البقع فيحقن صاحبها بحقن يختلف مقدارها من ٢٠ مليغراما الى ٤٠ مليغراماً من السترين فتزول البقع

جائزة نوبل الكيميائية

الاستاذ ديبى وبحث المحلولات

منحت جائزة نوبل الكيميائية عن سنة ١٩٣٦ للاستاذ پير ديبى Debye مدير معهد القيصر قلم لمعلم الطبيعة ببرلين وأستاذ الطبيعة في جامعة ليبش . وهو صاحب نظرية مشهورة في علمي الكيمياء والطبيعة، تعرف باسمه واسم مر يكه فيها العالم هكل Huckle وبها يتمكن

الكيميائيون من قياس قدرة الايصال الكهربائي في محلول موصل للكهربائية قياساً دقيقاً وتطبيقها ظهر ان تركيب الماء الجزئي اقرب الى تركيب الالماس منه الى تركيب البخار وله علاوة على ذلك مباحث دقيقة جداً في العوازل insulators الكهربائية قائمة على

بواعثه وعلماء الطبيعة المحضة يهمهم كل ما يتعلق
بتركيب الجزيء الاساسي

ومن مباحثه الاساسية ، طريقة ادق من
طريقة اينشتين في معرفة قدرة الجوامد على
امتصاص الحرارة . فالمادة الجامدة الواحدة
تختلف قدرتها على امتصاص الحرارة باختلاف
حرارتها . فاذا كانت باردة جداً ، اي اذا
كانت حرارتها بضع مئات من الدرجات تحت
الصفر ، قلّت قدرتها على امتصاص الحرارة
حتى تكاد تكون معدومة . وطريقة دبي تمكن
الباحثين من قياس هذه القدرة ، وهي علاوة
على فائدتها العلمية المحضة لها فائدة صناعية ،
لم تكن مقصودة بالذات اولاً

فكرة طريفة في توزيع الشحنة الكهربائية في
جزيء متعادل

فمعظم الجزيئات تحتوي على قدر متعادل
من الكهرباء الموجبة والكهربائية السالبة .
ولكن توزيعها في الجزيء ليس متعادلاً
بل تميل الى التجمع على رأي ، في طرفي
الجزيء فتغلب السالبة في احدهما والموجبة في
الاخر . فاذا عرض سائل فيه جزيئات من
هذا القبيل لفعل حقل كهربائي اتجهت الجزيئات
الى جهة الطاقة الكهربائية التي تؤثر فيها ، وهذا
يغير من خواص ذلك السائل الكهربائية .
فالهندسون من ناحيتهم يهمهم ما يصيب هذه
الخواص الكهربائية من التغير وكيف يتم وما

زلال البيض لوقف النزف

استخلاص مادة من هذا الخليط ، اذا اضيفت
الى الدم في انبوب من انابيب التجارب خثرتة
على طريقة معينة

فوجب بعد ذلك تجربة هذه المادة بالناس ،
فتطوع لذلك طائفة منهم ، فخربت التجارب
بهم ، فأسفرت عن ان حقن هذه المادة
تجعل تخثر دمهم أسرع مما هو عادة ، وعلاوة
على ذلك ثبت ان الحقن بها لا يؤثر أي تأثير ضار
وكانت الخطوة التالية ، امتحان هذه
المادة في المصابين بالهيموفيليا ، فظهر ان المدة
التي تنقضي قبل التخثر تقصر بعد الحقن بهذه
المادة . ولكن من المشهور عند الاطباء ان المدة
التي تنقضي قبل التخثر في المصابين بالهيموفيليا

الهيموفيليا اسم مرض وراثي ، اهم اعراضه
الميل الى النزف عند ما يصاب صاحبه بجرح
خارجي او داخلي ، فلا يستطيع وقف النزف
ثم يفضي الى الموت . وقد قرأنا في التيمس
والمورتنغ پوست ان طريقة جديدة لوقف
النزف في المصابين بالهيموفيليا قد اكتشفت
قوامها استعمال زلال البيض على مارتوت جريدة
اللانست الطبية

كان احد الباحثين في شقيلد معيّناً بالبحث
في موضوع لا صلة له بالنزف ولا بالهيموفيليا
فوجد انه اذا اخذ زلال البيض وخلطه ببرومور
البوتاسيوم ووضعه في مستنبت خاص على درجة
٣٧ مئوية مدة ثلاثة ايام ، اصبح في المستطاع

كثيرة القلب والاختلاف فعمد الباحثون الى تجارب ادى ومنها تجربة باحد المصايين بعد قلع ضرسه . اذ المعروف ان قلع الاضراس في المصايين بالهيموفيليا عمل مخوف بالخطر ،

لثلاً يفضي النزف الى الموت . فحقن بعضهم بهذه المادة ثم قلع ضرسه فثبت ان قلع اضراس هؤلاء بعد حقنهم بها ينجم من خطر محتمل وموت محتمل

القلب على ميكروب السبريتو كوكس

ميكروب السبريتو كوكس يغطي جسم الانسان وباطن انفه وحلقه وينفذ اليه عند ما يأنس ضعفاً في موقع منه فيحدث التهاب الحلق او « بنت الحمراء » او الحمى القرمزية او حمى النفاس وغيرها من الامراض المميتة وقد قرأنا الآن في رسالة العلم الاسبوعية ان عالمين اميركيين من علماء جامعة جونز هبكنز استعمالاً مادة كيميائية في مكافحة هذا الميكروب فأصابته نجاحاً باهراً في ١٧ حادثة من ١٩ حادثة جرباها فيها علاوة على تجارب متعددة في الفئران

فتصبح لقمة سائغة لكريات الدم البيض فتقلب عليها . لذلك قال احد مكتشفي هذا العلاج ان استعمال هذه المادة لا يفيد في المصايين الذين اشفوا لان مقدرتهم على مغالبة الميكروبات حتى بعد إضعافها لا تكون كافية للقلب عليها

*

التربة وعنصر البور

اكتشف في سنة ١٩٣٢ مرض يصيب البنجر فيضعف ويهزل وحار الباحث في سببه الى ان وقفوا اخيراً الى اكتشاف سببه وهو نقص عنصر البور Boron من التربة التي يزرع فيها . فهو من هذا القبيل كمرض الجحوظ (اي الغواتر عند ما تجحظ العينان وتنتفخ الرقبة) الذي يرجع بعض سببه الى نقص عنصر البور . وقد لوحظ ان المناطق التي يكثر فيها هذا المرض في سويسرا يقل في تربتها وهوائها عنصر البور هذا . وان الذين يعيشون على شواطئ البحار قلما يصابون به لان في ماء البحر وهوائه اثر من هذا العنصر الحيوي

وهذه المادة توجد في شكلين اولهما محلول احمر قاني يستعمل حقناً تحت الجلد ويعرف باسم بروتوزيل (Prontosil) والآخر قرص من مسحوق ايض لا طعم له يشبه قرص الاسبيرين ويؤخذ عن طريق الفم . ويدعى بروتيلين Prontylin اي انها ليسا مادة واحدة ولكنهما مادتان متقاربتان جداً من ناحية التركيب الكيميائي وتصنعان في شركة الاصباغ الالمانية

هاتان المادتان لا تفتكان بميكروبات السبريتو كوكس ولكنهما تضعفان الميكروبات

السمك والفلور في الماء

عنصر الفلور قريب من عنصر الكلور المستعمل في تعقيم الماء في المدن بعد تصفيته من الشوائب . وهو يستعمل في شركة مياه القاهرة لهذا الغرض ايضاً

وقد يتسرب عنصر الفلور الى الماء . فاذا شرب الاطفال ماء فيه قليل من عنصر الفلور اصبحت اسنانهم ببقع غريبة . واذاً فلا بد من امتحان الماء حتى يثبت ان ليس فيه اي اثر من آثار الفلور

وقد وجد الدكتور « نف » احد علماء معهد كاليفورنيا التكنولوجي ان السمك الذي يعيش في ماء فيه عنصر الفلور ، يصاب اسنانه ببقع شبيهة بالبقع التي تصاب بها اسنان الاطفال . فاذا استطاع ان يربط بين مقدار الفلور الذي في الماء والبقع التي تصيب اسنان السمك فقد استطاع بعد ذلك الاعتماد على السمك في كشف الفلور بدلاً من الاعتماد على الامتحان الكيميائي المعقد

*

جزار فمريبا النميات وسفوفه

يؤخذ من تجارب اجراها الدكتور لوييه Lupet في احد المعاهد الاميركية العلمية بمدينة سانت لويس ان جدار خلية البصل يفقد عند انتقاله من الحياة الى الموت مقدرة على عكس

الاشعة التي فوق البنفسجي . فالحلايا الحية في صورة مصورة بهذه الاشعة تكون سوداء واما الحلايا الميتة فتكون بيضاء

فدرجة الشفوف لهذه الاشعة في الحلايا يستعمل الآن مقياساً او قاعدة لتشخيص الموت فيها وعليه يعتمد هذا الباحث في ناحية من دراسة تركيب المادة الحية من الناحية الطبيعية الكيميائية

*

الدرع المفضضة

اثبت احد المخترعين الاميركيين ان الالواح الفلزية التي تصنع منها دروع الدبابات والبوارج والطائرات تكون امنع على رصاص البنادق اذ جعلت مفضضة . وقد جرب تجاربه في فيلادلفيا امام خبراء الحرية والبحرية فأطلق الرصاص من مسافة خمسين ذراعاً على لوح من مادة معينة وسمك معين فاخترق الرصاص اللوح . ثم اخذ لوحاً مفضضاً من المادة نفسها وكان سمكه اقل قليلاً من اللوح المبسوط وأطلق عليه الرصاص من المسافة نفسها فلم يخترقه بل انحرف عن سطوح الغضون . وهذه الغضون ليست مستديرة بل حادة الزوايا وانحراف سطوحها بعضها على بعض ٤٥ درجة فاذا اصابتها رصاصة لم تصبها عمودياً بل تصبها منحرفة فتزلق على السطح المنحرف ويضيع معظم فعلها

من دقة هذه الانابيب انه يمكن ادخالها من
سم الخياط (ثقب الابر)

*

اسراع النمو في النبات وبزوره

في معهد فسيولوجية النبات التابعة لأكاديمية
العلوم بمدينة كييف بروسيا عاصمة اوكرانيا عالم
كبير يدعى شولودني

هذا العالم اكتشف طريقة تمكنه من
تسريع النمو في بذور النبات اذا صحّت فليس
ما يمنع تطبيقها في الزراعة

كان بعض الباحثين في نمو النبات يعلمون
انه اذا اعيق انتشار البذور بعدم بلها بلاً كافياً
او بتعريضها لحرارة اقل من الحرارة اللازمة
ثم اذا وضعت هذه البذور في رتبة سوية رطوبة
وحرارة كان افراخها وازهارها وثمارها
أسرع من العادة

فخطر للعالم شولودني ان يبحث في تفسير
هذه الظاهرة فقال في نفسه لعلّ جنين البذور
وهو يستجمع القوة للانتاش من دون ان يتاح
له ، يجمع مقداراً من هرمونات النمو اكبر
من المقدار الذي يتاح للجنين الذي ينتش انتاشاً
عادياً . فأخذ بذوراً جافة وبأسها بسائل يحتوي
على هرمون النمو فكانت النتيجة في الشوفان
كما توقع على ما اذاعه في مجلة نايتشر الانكليزية
فقد تأخر انتاش هذه البذور بعد بلها ثم اسرع
نموها فأزهرت نحو اثني عشر يوماً قبل بذور
اخرى لم تبلّ الاً بالماء

الضوء الازرق والحمراء النبات

للألوان المختلفة في الضوء تأثير مختلف
في سرعة نمو النبات . وقد ظهر حديثاً من
محارب جربها الدكتور كارر من علماء المعهد
السمثسوني الاميركي ان بعض هذه الألوان
الضوئية اذا وجه الى بذور آخذة في الانتاش
حملها على الميل بعضها الى بعض أو على الابتعاد
بعضها عن بعض

فقد زرع الدكتور كارر بذوراً من نبات
الشوفان ثم عرضها لاضواء مختلفة الألوان
فوجد ان البذور المعرضة للضوء الازرق
تميل بعضها الى بعض علاوة على ميلها الى جهة
الضوء . اما الضوء الاحمر فكان تأثيره على
عكس ما تقدم اي ان البذور ابتعدت بعضها
عن بعض بتأثيره . ثم ان البذور التي عرضت
للضوء البرتقالي فاقت خضرتها خضرة البذور
المجاورة لها اي التي لم تعرض لهذا الضوء .
والبذور المعرضة للضوء الازرق المحض
اشتدت صفرتها

وقد كانت جذور هذه النباتات على أطولها
حيث عرضت البذور للنور الازرق وعلى أقصرها
حيث عرضت للنور البرتقالي

*

أدوية الانابيب للحقن

تصنع الآن انابيب دقيقة جداً من
النيلون لتستعمل في حقن تحت الجلد . وقد بلغ

الماء الثقيل والفضائل الحيوية

يعلم القارئ ان ذرات الايدروجين صنفان وان وزن أحدهما ضعف وزن الآخر . والماء الذي تدخل الذرات الثقيلة في تركيبه يعرف بالماء الثقيل . وقد نال الاستاذ يوري الاميركي جائزة نوبل الكيمياء جزاء له على مكتشفاته في هذا الموضوع

هل الماء الثقيل كالماء العادي في تأثيره في الاحياء ؟ أخذ العالمان كري وتريليس من اساتذة جامعة كولومبيا طائفة من نبات ذي خلية واحدة وقسمها قسمين وضعا أحدهما في ماء ثقيل والآخر في ماء عادي فثبت لهما ان عمل التركيب الضوئي في الأولى (اي الطائفة التي في الماء الثقيل) أبطأ جداً منه في الثانية وان النسبة ٤٠ الى ١٠٠

*

قاذفة قنابل جبارة

صنعت في بريطانيا طائرة جبارة من قاذفات القنابل وضعت رسومها وبنيت وامتخت في اقل من سنة وينظر ان يصنع كثير على غرارها ولا تزال تفصيلات بنائها سراً مكتوماً ولكن مما يعرف عنها ان المسافة بين طرفي جناحيها ١٢٠ قدماً وهي مجهزة بمحركين من طراز برستول بغاسوس قوة كل منهما ألف حصان وفيها طواب متحركة وفي الطوابي مدافع تستطيع بتحريكها في كل جهة ان تقي كل جزء من اجزاء الطائرة . وفي

باطنها رفوف صفت عليها قنابل متفاوتة في حجمها . ومما يمتاز به هذه الطائرة على غيرها من الطائرات انها ليست فضية اللون بل طليت طلاء يجعلها خافية عن البصر عندما تكون محلفة في الفضاء

*

البرد يؤثر في العقل أولاً

جرب السير جوزف باركروفت الاستاذ في جامعة كمبرج تجربة خطيرة ولكن بنفسه . ذلك أنه دخل غرفة باردة شديدة البرد وخلع ملابسه ولبث فيها حتى كاد يموت برداً . وقد فعل ذلك لكي يراقب تأثير البرد في جسمه وعقله فوجد ان العقل يتأثر أولاً بالبرد فيفقد صفة الاقدام والاحساس بالحياء من تعرض الجسم لانظار الناس وهو مجرد من الملابس

*

مرفع رؤس لقنابل غاز الدمع

من الغازات الحربية غاز يستعمله رجال البوليس في تفريق المظاهرات او تعقب بعض اللصوص يثير اغشية العين المخاطية فيهم منها الدمع . وقد صنع من عهد قريب مدفع يطلق قنابل هذا الغاز متوالية اي أنه على قاعدة المدفع الرشاش ولكن بدلاً من ان تكون قنابل مفرقات قاتلة تكون محتوية على غاز الدمع الذي يعرقل اعمال الجناة والمجرمين والمتظاهرين من دون ان يضر العيون ضرراً باقي الاثر

مكتبة المقتطف

كتابان في علم النفس

- ١ — الشخصية : تأليف محمد عطية الابراشي
- ٢ — خلاصة علم النفس : تأليف احمد فؤاد الالهواني

— ١ —

الاستاذ محمد عطية الابراشي ، خريج جامعتي اكستر ولندن واحد مفتشي وزارة المعارف المصرية ، من الشبان المصريين الذين جمعوا الى نشاط الشباب حكمة الكهول . فهو لا يني عن البحث والتنقيب وكتابة الرسائل وتأليف الكتب ، علاوة على عمله الفني بالوزارة ، لانه يحس ان له في الحيلة التي تخصص فيها ، رسالة يؤديها . وهذا كتاب « الشخصية » أحدث ما اهداه الينا من آثاره

نعم انه افرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع في كتاب « علم النفس » الذي ألفه بالاشتراك مع الاستاذ حامد عبد القادر . ولكنه رأى بعد ذلك ان « موضوعاً كالشخصية يحتاج الى كثير من التفصيل والتثيل » فوضع هذا الكتاب

منهاج البحث بسط العناصر الخلقية والعقلية والاجتماعية والجسمية ، التي تتألف منها الشخصية وضرب الامثال على ذلك من سير العظماء والحكماء في الشرق والغرب . وهذا البسط يشتمل على نحو النصف الاول من الكتاب . اما النصف الثاني ، فيبين بانواع الشخصية ، كالشخصية العملية التي تتمثل في القواد ورجال الاعمال ، والشخصية الخلقية او الفكرية وهي التي تبرز في العلماء والفلاسفة ، واوصاف كل منهما او الفرق بين النوعين ، وبواعث تعزيزها واضعافها . والفصل الاخير في اضطراب الشخصية وانقسامها

والكتاب من اوله الى آخره ، ممتع لمن يريد مجرّد المطالعة ، ومفيد لمن يريد ان يلقى على شخصيته ضوء العلم الكشاف . ولسنا نظن ان في وسع احد ان يطالع فصلاً من فصوله ، الا ويرى نفسه منساقاً الى تحليل نفسه . وان من طالع كيف كان انتصار روزفلت الحاسم في الانتخابات الاخيرة ، مع ما تألب عليه من الخصوم ، وكيف عزى ذلك الى تفوق شخصيته وأخذها بألباب الجماهير ، ليدرك ان موضوع الشخصية مما يجب ان نعتني به في عهدنا الجديد ، وان هذا الكتاب اول كتاب طبع على حدة باللغة العربية في هذا الموضوع ، وهو من اجل الكتب فائدة عقلية وعملية

— ٢ —

اجاد الاستاذ احمد فؤاد الاهواني مؤلف «خلاصة علم النفس» في قوله في مفتتح الكتاب «... والحياة التي نقصدها هي حياة الانسان في صلته بالمجتمع الذي يعيش فيه، لانه لا يعيش منفرداً، ولا يمكن ان يعيش الا في مجتمع يتصل افرادهُ ويتباعدون، تتضارب مصالحهم، وتختلف غاياتهم ويخرجون من هذه المعركة الحامية بما ينشدونه من الحياة وهو حفظ الحياة اولاً، ثم السعادة ثانياً «واذاً لكي تصل الى الاحتفاظ بكيانك، وتوفير السعادة في الحياة يجب ان تدرس الميدان الذي تنزل فيه، لتحقيق مطالبك، وتنجح في اغراضك، وهذا الميدان هو افراد المجتمع، الذين ستحتك بهم في اعمالك، وتختلف وايامهم في اغراضك، وتحتاج اليهم لمعوتك والعطف عليك، وتسخرهم في تنفيذ غاياتك، ويستغلونك في تنفيذ غاياتهم. ولن تصل الى هذا كله الا بالضوء تلقينه على سلوك الناس، حتى تتعرف سبلهم، وتذكر اغراضهم... وتلازم بين نفسك وبينهم، وتوفق الى الطموح الى المثل الاعلى الذي تشده في الحياة. والمصباح الذي ينير حجب النفوس، ويزيل ما يغشيها من ظلام كثيف هو علم النفس الحديث...»

جميع النظريات السيكولوجية، من الاستبطان الى التحليل النفسي، الى الرأي النموذجي الى السلوكي، الى غيرها من الآراء والمذاهب، انما ترمي الى شق طريق يمكننا من الوصول الى غاية واحدة، هي معرفة نفوسنا ونفوس الناس الذين تتصل بهم كل يوم. وقديماً قال احد علماء اليونان «اعرف نفسك» ولايزال قوله هذا من ابعاد الغايات التي يتجه اليها الانسان في طلب الحكمة الفصل الاول من الكتاب تلخيص موفيق لموضوع علم النفس وميدانه ومناهج البحث فيه. واذا لاح للقارئ بعد مطالعة هذا الفصل، ان مناهج البحث مختلفة، ومتناقضة أحياناً، فلان علم النفس لم يلق عنه تمام الخرافات ويعلم استقلاله بفرض وأسلوب الا من عهد قريب. وكاتب هذه السطور يذكر الاستاذ وليم مكدوجال احد اعلام البحث النفسي الحديث، عندما وقف في منصة الرئاسة في قسم علم النفس بمجمع تقدم العلوم البريطاني في تورتو سنة ١٩٢٤ وأعلن «استقلال علم النفس». فلتسلس الطريق امر لا بد منه في علم يتناول أعقد الموضوعات ومايزال في مهده. وبعد ذلك تتوالى فصول الكتاب، متناولة نواحي مختلفة من الحياة العقلية، من الشعور وصلته بالجهاز العصبي، الى الغرائز، الى العادة، الى الارادة، الى التخيل والتصور الى... الى... وكل ذلك في تبويب واضح وأسلوب جزل واسناد دقيق

والى الذين طالعوا الطبعة الاولى من هذا الكتاب، نقول ان الطبعة الثانية التي بين أيدينا، أوفى وأتم من الاولى، لان المؤلف لم ين منذ ظهرت الطبعة الاولى، عن اتمام البحث ومتابعة التقدم المطرد في هذا العلم الحي السائر الى الامام بخطوات الجبارة

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

تأليف توفيق الطويل — نشرتها لجنة الجامعيين لنشر العلم — طبعت في دار النشر الحديث

صفحاتها ٣٢٨ صفحة قطع وسط

في تاريخ البشر اخبار حروب ومعارك شبت نيرانها بين عنصرين من عناصر البشر او بين حضارتين تقومان على فلسفتين متناقضتين من فلسفات الحكم والاجتماع، فكان الفوز النهائي في تلك الحروب او المعارك حداً من حدود التاريخ، خذل عنده عنصر وتسود آخر كما في معركة متوروس، او ضعفت مدينة وزهت اخرى كما في معركة ماراثون، او كبتت فكرة وانتصرت اخرى كما في معركة سراتوغا وجنيسبرج في الحرب الاهلية الاميركية

ويذكر كاتب هذه السطور انه لما درس التاريخ القديم وكان موضوع الدرس في احد الايام يدور من حول معركة ماراثون، التي فاز فيها اليونان على الفرس، وقف الاستاذ هنيبة ليكن في عقولنا نتائج تلك المعركة، التي تحسب من معارك التاريخ الفاصلة فذكر اهم نتائجها وفي مقدمتها اندحار نظام الحكم السائد في الشرق ممثلاً في فارس وخضوعها لمعاهل مطلق، امام قواعد الحكم الديمقراطي ممثلاً في دويلات اليونان. وقال انه لو فاز الفرس في ماراثون لسيطر حكامهم على اليونان، ولما كنا شهدنا في الغالب تلك النهضة الفنية الفكرية التي تحسب وليدة النشاط في الحياة اليونانية الحرة

كذلك يقال في معركة متوروس التي هزم فيها هسدروبال اخو هنيبال فكان بدء فوز روما على قرطاجنة في الحروب البونية وسيطرتها على العالم المعروف حينئذ. فان الاستاذ برستد المؤرخ الاميركي المشهور يقول في احد كتبه التاريخية ونظنه «العصور القديمة» ان النزاع بين روما وقرطاجنة لم يكن نزاعاً بين مدينتين قويتين، تسعى كل منهما الى السيطرة على الاخرى والانفراد بالسيادة في البلدان المجاورة للبحر المتوسط، بل كان صراعاً كذلك بين عنصرين كبيرين من عناصر البشر، هما العنصر المعروف بالهندي الاوربي، والعنصر السامي، وما كانت روما وقرطاجنة سوى مقدمتي هذين الجيشين الكبيرين المصطفين للقتال على جانبي البحر المتوسط. وقد روي ان هنيبال صاح عندما رأى رأس اخيه هسدروبال يتدحرج امامه: قرطاجنة اني اشهد انخذالك

والظاهر ان المؤلف لم يأخذ بمخازير هذا الرأي. فالاستاذ محمد فريد ابو حديد يقول في تقديمه للكتاب: «ويلوح لي ان المؤلف الفاضل لا يذهب مع اصحاب الرأي المتقدم فانه وان علم ان قرطاجنة لها رجم بالساميين لم يجعلها ممثلة الشرق في نزاع الاجناس بل نظر نظرة اخرى... فهو لا يعصب لها ولا يراها تمثل مثلاً من أمثلة الشرق العليا بل انه لينظر الى المثل العليا لروما على انها اقرب الى تمثيل مثل الانسانية عامة»

ثم يقول الاستاذ ابو حديد : « . . . وهو يتحدث عن حوادث نضال قرطاجنة وروما حديث من يريد ان يتغلغل دون السطح ليتخذ من بحته عظة تنفعنا في حاضرنا ، فهو يريد ان يوجه انظارنا الى ان قرطاجنة قد فنت لانها كانت جدرة بالفناء ، وان روما قد بقيت ونمت لانها كانت جدرة بالبقاء والنمو . ثم هو يشير لنا وهو يسير في حديثه الى الاسرار التي أهلت كلا من المدينتين الى مصيرها وجعلتها جدرة بما نالها »

فالكتاب بحث يجمع بين التاريخ والاجتماع والادب على أوفى وجهٍ وجديرٌ بأن يكون من الكتب التي تقرب التاريخ الى قوس القراء

تاريخ المسألة المصرية

من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٩١٠

ترجمه من الانكليزية الى العربية الاستاذان عبد الحميد العبادي ومحمد بدران . الطبعة الثانية في ٤٣٢ صفحة
عودتنا لجملة التأليف والترجمة والنشر المؤلفة من افضل اساتذتنا العاملين لنشر الثقافة وخير البلد باخلاص وهدوء ووفاء — اخراج الكتب الممتازة المفيدة . ومن أحدث ما أخرجه هذا الكتاب والباب الاول منه وعنوانه — انتهاب مصر — يذكر الوسائل القاسية والاعراض المتلوية التي اخذت بها انكلترا وفرنسا في معاملة الخديوي اسماعيل اثر عجزه عن توفية اقساط الدين الذي استدانته من المالىين الاوربيين وكان هؤلاء المالىون من المساعدين له على التورط في استدانته والاسراف في انفاقه — وأدت الى ارهاق المصريين واغتيال اسماعيل باشا صديق ناظر المالية حينذاك وعزل الخديوي — والباب الثاني منه وعنوانه احتلال مصر ذكر استمرار الوسائل التحكيمية المؤلفة وما ادت اليه من استفزاز النفوس ونشر الدسائس وشبوب الثورة العربية لمقاومة التدخل الاجنبي ولا نصاب الوطنيين وتصدي الانكليز لاجسادها وتحقيق غرضهم منذ فتح قنال السويس باحتلال مصر . وفي الباب الثالث وعنوانه — ادارة مصر — ذكر الآثار المادية لسياسة كرومر الاقتصادية وضعف الآثار الادبية للإدارة الانكليزية — وفي الفصل الرابع ما تلاعه كرومر من الرجعية في ادارة مصر واخفاق السيرالدين غورست المعتمد الانكليزي الذي حل محل اللورد كرومر في قتل الحركة الوطنية الذي كان يزعما حينذاك الشهيدان مصطفى كامل ومحمد فريد — ومحاولة مد امتياز قنال السويس ورفض الجمعية العمومية المصرية مشروع هذا المد — والكتاب مملوء بالحوادث والعبر التي يجب علينا نحن المصريين مداومة دراستها وتذكرها والاستفادة من العظات التي تطوي عليها ونحتاج اليها في تسديد ادارة حكومتنا ومعاملتنا للاجانب لذلك اود ان يقتنيه كل مصري يعتني بشؤون حكومته ووطنه

الاني

النتائج السياسية للحرب العظمى

ألف الاستاذ المؤرخ رمزي ميور « Ramsay Muir » وترجمه الى العربية الاستاذ محمد بدران

رمزي ميور في طليعة المؤرخين المعاصرين . بدأ حياته كمحاضر عام ١٩٠٠ وعين استاذاً للتاريخ الحديث في جامعة ليشربول عام ١٩٠٦ ثم انتخب عام ١٩١٣ استاذاً في جامعة مانشستر . ولما انتخب عضواً في البرلمان الانجليزي عن الاحرار عام ١٩٢٣ استقال من الجامعة ثم انتخب رئيساً لاتحاد الاحرار الوطني . وقد اشتهر الاستاذ « رمزي ميور » بالتعمق في ابجائه التاريخية والسياسية وله عدة مؤلفات نفيسة لا غنى عنها للمؤلف والمؤرخ أهمها « توسع أوروبا » (١٩١٧) والتاريخ البريطاني (١٩٢٨) والنتائج السياسية للحرب العظمى . . . الخ الذي نقله اخيراً الاستاذ محمد بدران ناظر مدرسة بنبا قادن الابتدائية وعينت بشره لجنة التأليف والترجمة والنشر والكتاب خلاصة تاريخ العالم في دور من ادوار الانتقال الذي يصفه المترجم بأنه لا يكاد يختلف عن الفوضى في شيء ثم اضاف اليه المترجم فصلاً من عنده شرح فيه النزاع الصيني والياباني والمسألة الحبشية والحركة النازية وما وقع في البلقان والشرق الادنى من احداث مشكلات ومعاهدات فهو يصف الروح القومية . تلك الروح التي جعلت الشعوب تشعر بما بينها من روابط اللغة والجنس والتقاليد واساليب الحياة وتحس « بوحدتها » وتعزز بقوميتها . ويصف المدنية الصناعية واثرها والنزعة الاستعمارية التي تعد من العوامل القوية في تغيير شكل العالم . والروح العسكرية التي أملت على الشعوب اعتقادها ان القوة الحربية هي مصدر القوة والعظمة . ويصف قيام الديموقراطية قبل الحرب الكبرى واخيراً الدعوة الى الحركة الدولية

وعطف المؤلف على التسويات السياسية التي أعقبت الحرب الكبرى ورسمت خريطة جديدة لأوروبا وأحدثت التغييرات المعروفة خارج القارة . وتكلم ايضاً عن التطورات الكبرى التي أحدثتها الحرب في شعوب العالم . فقد رأيناها تقضي على سيادة الطبقات الحاكمة القديمة بينما قامت نظم اجتماعية جديدة قللت الفروق الاجتماعية ومنحت الطبقات العاملة حظاً اكبر من الثروة والسلطة . وكانت من نتائج الحرب المحسوسة اقامة ديموقراطيات سياسية تامة في معظم الدول الأوروبية . فتغيرت اساليب الحياة وأعيد توزيع الثروة بين الطبقات . كما انقلب النظام الاجتماعي في روسيا من أساسه

لكن هذه التغييرات أعقبت خيبة أمل واضطراب مما ادى الى قيام فريق من الزعماء في وجهها كما حدث في ايطاليا وألمانيا والبرتغال وبعض دول البلقان وأقاموا حكومات ديكتاتورية

جديدة على أنقاض الحكومات الديموقراطية . وتكلم المؤلف عن العلاقة الجديدة ، بين اوربا والعالم الاسلامي عقب الحرب فقد وقف نهائياً سلطان الدول الاوربية الذي كان آخذاً في الاتساع وقامت دول جديدة على انقاض الحكومات القديمة كما حدث في تركيا ويران والعراق وبلاد العرب . بعضها تكون بالفعل وبعضها في دور التكوين . بعضها تام الاستقلال وبعضها تشرف عليه اوربا

وبحث المؤلف جيداً حوادث الهند وقلاقلها وافكار اجناسها المتعددة التي تسود هذه القارة الواسعة وكذلك تكلم عن انهضاء السيادة السحرية القديمة التي كانت تتمتع بها اوربا في بلاد الصين مع نمو الفوضى في انحاءها . تلك الفوضى الحزبة التي نلقاها في كثير من البلاد خارج اوربا

وقد يكون الفصل السادس من هذا الكتاب أنفس ما بحث بعناية وهو الفصل الخاص بتبديل مركز بريطانيا كإمبراطورية كبيرة . فليس في العالم كله مجتمع أثرت الحرب في مصائره كما أثرت في بريطانيا وما يتجمع حولها ويرتبط بها من الشعوب المؤلفة في انحاء العالم . وقد كان اهم ما انتجته الحرب ضعف الروابط التي تؤلف بين اعضاء الامبراطورية فأصبحت الاملاك المستقلة تطلب لنفسها حق تعيين سفراء من قبلها لدى الدول الاجنبية كما عينت كل من كندا ويراندا سفيراً لها في واشنطن . وطالبت هذه الاملاك ايضاً بحق عقد معاهدات مستقلة مع الدول الاجنبية فرأينا حكومة جنوب افريقية تعقد معاهدة مع المانيا اعترفت بها بريطانيا . ونص في معاهدات لوكارنو صراحة على ان بريطانيا وحدها هي التي ترتبط بالتعهدات المدونة في هذه المعاهدات وان الاملاك المستقلة لا شأن لها بها . وبهذه الطريقة أصبحت الامبراطورية البريطانية بعد الحرب هيئة سياسية مفككة العرى والدول التي تؤلفها تكاد تكون مستقلة لا ترتبط بها الا في خضوعها اسمياً لتاج واحد

ويرى الجنرال «سمطس» وهو من أعظم ساسة الامبراطورية كلها ان الحركة اللامركزية في الامبراطورية وصلت الى أبعد حد حتى أصبحت انحلالاً حقيقياً وهو يدعو الى تقوية الرابطة بين اجزاء الامبراطورية ويجب ان لا يسمح لها بهذا الانحلال التدريجي

والكتاب مكتوب بأسلوب مشوق يغري بمطالعة ومزود بالخرائط التوضيحية فنهى المترجم واللجنة وزجو ان يكون الكتاب مقدمة لغيره ومشجعاً للمؤلفين الذين يكتبون في الشؤون السياسية المعاصرة

(.....)

المآسي التاريخية الكبرى

تأليف حسن الشريف — مطبعة الهلال — صفحاته ٢٨٦ قطع المقتطف

ما أكثر ما يمجده الباحث من المآسي والعبر بين جدران القصور وفي زوايا التاريخ ، فإذا انقاد له في وصفها قلم رشيق وعلم راسع ، كان حديثها من أمتع الاحاديث وألذّها وأعظمها فائدة ، يقرأ كالروايات الموضوعة ، مع ان خيال الروائي قد لا يجرؤ على ابتداع مواقف تبلى في غرابته بعض ما تبلىه حقائق التاريخ . ثم انها تلقي ضوءاً كشفافاً على احوال القصور والملوك والمسلكات والمقرّبين والمقرّبات وعاداتهم الاجتماعية والحلقية ، فيكشف من الحقائق ما هو جدير بتدبرنا في سبيل العبرة والعظة

وقد تمّ كلّ هذا للاستاذ حسن الشريف ، فجاءت فصول هذا الكتاب آيةً في بابها . فالفصل يملأ في الغالب نحو خمسة عشرة صفحة في المتوسط ، فيها من التفاصيل القدر الكافي لفهم الموضوع ، وقد اختارها المؤلف من مطوّلات كثيرة ليست في متناول كلّ قارئ . ثم ساقها في أسلوب بارع كلّهُ تشويق وإغرائاً بمواصلة المطالعة . ففيها اندمج فن المؤرخ بفن الروائي هنا قصة النضال بين ملك انكلترا شارل الاول ونواب شعبه ، وهو نضال بين الملكية المطلقة والملكية المقيّدة ، أفضى الى حرب اهلية قاتلى محاكمة الملك واعدامه . فاذا طالع القارئ هذا الفصل ، طابت له المقابلة ، لما وقع حديثاً في انكلترا ، في سبيل الدفاع عن الحقوق التي اكتسبتها الامة من ملوكها ورسّختها بالممارسة وصارتها بالتقاليد وادرك كيف تماثل الاغراض وتختلف الاساليب وهنا قصة المركيزة ده برانفيليه ، وهي السيدة التي سمّت والدها وشقيقها وعاشقها في سبيل تحقيق شهواتها . وحبّذا الحال لو ان الاستاذ حسن الشريف اضاف الى ثنايا قصتها ، شيئاً عن نفسيها الاجرامية كما يكشف عنها علم النفس الحديث ، فانه لو فعل لاضاف الى قصة الرواية التاريخية ، فائدة النفوذ الى ناحية من نفس « اكبر مجرمة في التاريخ »

هنا ريشيلو ولويس الرابع عشر وبورنات وفاي والمملكة اورتانس والامبراطورة اوجيني — جميع هؤلاء وغيرهم روحون وبحيثون في هذه الفصول ، تتقاذفهم الرغبات والشهوات ، في جو حافل بالدسائس تدبر ومحاك خيوطها ، هذا ومقدّرات الامم في ايديهم ، وليس بالنادر ان يكون حادث يسير في امر خاص باعثاً على انقلاب عظيم او ثورة او حرب

ولا ريب عندنا — ونحن في عصر تحتاج فيه افراداً وامة الى دراسة التاريخ وتدبر عبره — ان الاستاذ حسن الشريف قد ادى خدمة الى الامة في هذه الناحية من حياتها العقلية ، باصداره هذا الكتاب الذي يحجب الجمهور بالمطالعات التاريخية

هدايا دار الهلال

١ — فاروق الاول

من بواعث الفأل والاستبشار ان نستقبل العهد الجديد ، وبين أيدينا كتاب في نشأة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ، ودمقراطيته العالية ، وعظمه العظيم ، وذكاؤه المتوقد ، وتدينه العميق ، ووطنيته الصادقة ، لان ملكاً متصفاً بهذه السجايا الخلقية والعقلية العالية ، خير قدوة لشعب ، ينظر الى المعاهدة التي عقدت وأبرمت أخيراً ، على انها مفتتح لانهائية ، مفتتح عهد جديد من الكفاح لا من القناعة ، كفاح ضد الضعف والجهل والنواكل ، وفي سبيل الصحة والقوة ، والعلم والابتكار ، والاستقلال الاقتصادي ببنية بماننا ونشاطنا

ولقد أجاد المؤلف الاستاذ طاهر الطناحي ، في تصوير هذه النواحي العالية ، في حضرة صاحب الجلالة ، مرتداً بها الى أصولها من الوراثة والتربية في كنف المغفور له والده العظيم . وأجادت دار الهلال كذلك في اخراج الكتاب ، زاهي الرونق طبعاً وتصويراً

٢ — كمال اتاتورك

لايسع احداً زار تركيا الحديثة ، زيارة بحث ودرس الا ان يعترف بان كمال اتاتورك صاحب الفضل الاول في تجديد معالمها ، واغتصاب استقلالها بحدّ السيف ، وتنظيم حكومتها الجمهورية ، ونافخ روح الحياة في شبيها وشبانها ، ورجالها ونساءها على السواء . ان طابعه الشخصي في كل مجمع ومدرسة وكل ملجأ ومستشفى . بل في كل مزرعة حديثة تربي فيها فسائل الاشجار ، ومصنع جديد تحاول ان تستغني به تركيا عن ان تكون عيالا على الغرب فكيف اتيج لرجل فردم ان يتغلب على السوس ينخر في عظام « مريض اوربا » المشفي ، ويدحر ما تألب عليه من القوى داخل البلاد وخارجها ، وما هي الادوار التي تقلب فيها هذا الرجل من ضابط في الجيش التركي القديم ، الى مقام زعيم من اكبر الزعماء في العصر الحديث ؟ انك تجد كل هذا مفصلاً تفصيلاً دقيقاً في كتاب كمال اتاتورك الذي ألفه الاستاذ محمد محمد توفيق . ان الكتاب قصة رجل وتاريخ امة بعثت بعثاً جديداً . وفيه علاوة على ما في التاريخ الحي من اغراء وتشويق ، عبر وحكم لمن يعنون بالبناء والانشاء

٣ — هنري الخامس

نقلنا في عدد سابق (ديسمبر صفحة ٥٤٤) جانباً من كلمة كتبها الاستاذ سامي الجريديني مقدمة لترجمة هنري الخامس وهي من امهات مسرحيات شكسبير ، فيها جميع المزايا التي اصبحت بها امير مسرحي العالم على الاطلاق — حكم في اقوال الحكماء والمجانين استخلاصها عقل فذ الى اسرار الحياة ، وصور لطائف الناس رسمها بقلم ساحر صادق استشف صاحبها ما وراء الظواهر من خفايا

وترجمة شكيمير لانتاح الآلاف أصحاب الاحاطة والتمق في فنون ادبيه واسرار فنيه والذين
أسمح لهم البيان وانقاد القلم . والاستاذ سامي الجريديني ناقل هذه الرواية ، وغيرها من آثار
هذا الشاعر الخالد ، في طليعة هؤلاء في لغتنا العربية

علم الآثار

تأليف الاستاذ جاردنر وترجمة الاستاذين محمود حمزة الامين بالمتحف المصري والدكتور فكي محمد حسن
الامين بدار الآثار العربية ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط محلى بسبعة وعشرون صورة
هذه هي الرسالة الرابعة من سلسلة المعارف العامة لخلاصة العلم الحديث التي تصدرها لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، لنشر الثقافة الصحيحة بين جمهور القراء ، والمطالع للكتاب يرى
انه على صغر حجمه بالقياس الى ما شمله من الدراسات قد جاء مستوفياً للفكرة التي وضع من
اجلها . فعلم الآثار كما قال المترجمان في الرسالة التي نحن بصددتها الآن « استعراض سريع لتاريخ
علوم الآثار وللنتائج التي توصل اليها المقتبون والآثاريون »

واهم ما جاء في الكتاب وصف شامل لأعمال علم الآثار ، وايضاح دقيق لآثار ما قبل
التاريخ ، ودراسة الآثار في بلاد اليونان وغيرها ، ودراسة الاحجار الكريمة ، والمعملة ، وعلم
الاساطير ، وأحدث المكتشفات الاثرية في القطر المصري ، وبلاد ما بين النهرين ، كما تناول
البحث في الكتاب مستقبل علم الآثار وغير ذلك مما يراه القارئ مبسوطاً بين دفتيه
وانتأري لزماً علينا ، ان نشير هنا الى ضعف الصور الايضاحية الى حد ان بعضها مطموس
لا فائدة منه لمن يريد التعرف على علم الآثار ويعتمد في الغالب على وضوح الصور وحسن بيانها
للفنايل والدقائق

كما اننا نشك في ان تكون الصورة رقم ٢٥ للمملكة نفرتيتي بحسب ما كتب تحتها تعريفاً لها .
وهذا كله نتيجة مباشرة للسرعة التي احاطت باخراج الكتاب . وكما نود ان يضيف المترجمان شيئاً
اكثرياً عن علم الآثار المصرية حتى يكون الكتاب مستوفياً للفرض الذي اخرج من اجله وهو
تقريب الناشئ الشرقي عموماً والمصري خصوصاً . نعم انهما يترجمان ، ولكن هذا — كما نرى —
لا يمكن ان يقوم حائلاً دون تحقيق هذه الغاية حتى ولو كانت النية معقودة على وضع مؤلف
خاص بالفن المصري . والا فلا معنى لتسمية الرسالة بعلم الآثار بينما هي تتناول بافاضة الآثار
الاغريقية وحدها

وانتا وان كنا قد لاحظنا بان الكتاب لم يلم الايام العالمي الشامل في اختصار بمميزات الآثار
بعضها عن بعض وطوابعها البارزة في كل منها ، الا اننا من ناحية اخرى لا يمكن ان نكرر هذا
المجهود القيم الذي بذل في كتاب نود ان يكون حلقة في سلسلة طويلة من المعارف العامة التي تعمل
اللجنة على نشرها

الدكتور احمد موسى

وقد أخرجت الجامعة من نحو ثمانى سنوات أول مجلة عربية ربية في الترية وهي « مجلة الترية الحديثة » وخصّصت صفحاتها للبحث العام في الترية الحديثة واقتباس المبادئ النيرة وتطبيقها على مشكلات الترية في الشرق الأدنى . فأصبحت هذه المجلة بادارة الدكتور امير بقطر مرجعاً يعترف بفضلها في موضوعها في العالم العربي

ولعل أشهر الاساليب التي جربناها في الترية العامة ، هي المحاضرات التي ينظمها قسم الخدمة العامة ، كل سنة ويشترك فيها عشرات من قادة الرأي والفكر ويحضرها الوف من محبي العلم والادب ثانياً — ان المعهد الاهلي في جميع أنحاء العالم مشهور بطبعه طلابه بطابع حرية الفكر والبحث والنقد . والتقدم في البلدان الديمقراطية ، يستند الى هذه الحرية . حتى في الولايات المتحدة ، المشهورة بتقاليدها الحرة ، نجد الحرية على أوسعها في المعاهد الاهلية ، بل ان العراقيين التي اعترضت سبيل الحرية ، كانت أقوى في معاهد الدولة منها في المعاهد الخاصة

وقد عني اساتذة جامعتنا بإنشاء تقليد الاستقلال الفكري في طلبتنا ولا سيما طلبة الفصول العالية وعلى وجه خاص في العلوم الاجتماعية والفلسفة وآداب النفس والدين ، معتمدين على اساليب تحفز الى البحث والنقد وتكوين الرأي السليم . وقد بلغ من عنايتنا بهذا الاسلوب ان بعض طلبتنا الذين تخرجوا وطلبوا العلوم الفنية في معاهد اخرى لا ينون عن الاعراب لنا عما جنوه من الفائدة في ميدان البحث الحر . والتقاليد الديمقراطية من أنبل القواعد في الاسلام ، ومصر الآن ، ديناً وسياسة بلاد ديمقراطية . فترية حرية الفكر والبحث والنقد في طلبتنا ، على ان تفضي هذه الحرية الى الحكم السليم ، من أهم ما يستطيع ان يقوم به معهدنا في هذه البلاد

ثالثاً — ان تربية الشخصية واتماء المملكات والصفات الخلقية العالية من اهم ما تؤديه المعاهد الاهلية لطلابها . فالفصول الصغيرة ، والاتصال اليومي بين المدرس والطالب ، في حجرة الدراسة وميدان اللعب وهو الاجتماع ، يجعل من المعهد الاهلي قلباً يفرغ فيه خلق الطالب . اما المعاهد التي يباغ فيها الطلاب بضعة آلاف فقد صرفت النظر عن السعي سعياً خاصاً الى التكوين الخلقى . وقد ظهر كتاب يدعى الانكليز وانكلترا ، اثبت فيه صاحبه ان الفساد والارتكاب الفاشيين في حياة انكلترا العامة قبل نحو مائتى سنة ، زالا بفعل التكوين الخلقى العالي في مدارس انكلترا الاهلية . وجامعة القاهرة الاميركية في جميع اقسامها ، تعلق شأنها عظيمًا على ضرورة الاتصاف بالصفات الخلقية العالية . فالاجتماعات الروحية العامة ، والصلوات الديمقراطية بين المدرسين والطالب ، وتعين مستشار خاص لكل فصل من الفصول ، ودروس الفلسفة وآداب النفس والديانة — جميع هذه تنشئ جوًا يمكن ان تنرس فيه المبادئ الروحية والخلقية العالية في نفوس التلاميذ هذه نواحٍ من الغرض العالي الذي تتطاع اليه وهذا بعض ما بذلناه حتى الآن في هذا السبيل

فهرس الجزء الاول من المجلد التسعين

- ١ الغدد والحياة : مشاهد رائعة من المباحث الحديثة
- ٩ عودة المحارب (انشودة افريقية) : للشاعر المهندس علي محمود طه
- ١٠ المارستانات العربية : للدكتور سامي حداد
- ١٦ اقوى من الزمن (قصيدة) لفكتور هوجو
- ١٧ عمل الجامعة تلخيص : رأي الفياسوف هويتهد : لاسماعيل مظهر
- ٢١ كلية الآداب : حديث للدكتور طه حسين بك
- ٢٥ كلية الحقوق : حديث للدكتور السهوري
- ٢٧ كلية الهندسة : حديث للدكتور عبد الرحمن الساوي بك
- ٣٠ كلية التجارة : حديث لمحمد حمدي بك
- ٣٤ كلية الزراعة : حديث لمحمد توفيق الحفناوي بك
- ٣٩ جامعة القاهرة الاميركية : حديث للدكتور رسل جولد
- ٤١ سميراميس : مسرحية لبول فاليري : نقلها خليل هندواي
- ٥٢ الكيمياء الصناعية : لعوض جندي
- ٥٧ تمدد الكون منشؤه ومصيره : لنقولا الحداد
- ٦٤ الحضارة الحثية : لقيصر صادر
- ٧١ مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الديماطي
- ٧٥ حيوانات مشهورة وصحة اسمائها : للفريق الدكتور امين المعلوف باشا
- ٧٨ حديث اليمن رحلة جغرافية عمرانية : لاجد وصفي زكريا
- ٨٣ حديقه المقتطف * كواكب الادب الاسباني : لويي ده فيجا
- ٨٩ سير الزمان * نضال خفي في اليابان : الزواج المورغاني لامين الغريب : قوى الدفاع الاوربية
- ١٠٩ باب الاخبار العلمية * العلامة فرويد . هل يستطيع العلم ان ينقذ الحضارة . احدث انواع
الفيثامين . جائزة نوبل الكيمياء . زلال البيض يوقف التزف . التغلب على مكروب
الستربتوكوكس . التربة وعنصر البور . السمك والفيل في الماء . جدار خلايا النبات وشقوقه .
الدروع المغضنة . ادق الانابيب للحقن . اسراع النمو في النبات وبدوره . قاذفة قتال
جبارة . البرد يؤثر في العقل اولا . مدفع رشاش لقنابل غاز الدمع
- ١١٨ مكتبة المقتطف * وفيها احدى عشر كتاباً في المطبوعات الحديثة